كتاب علم اجتماع العولمة

د. شحاتة صيام

افتتاحيـــة الكتـــاب

مقدمة نظرية

يعد مفهوم العولمة من المصطلحات حداثة في أضمومه الخطاب المعاصر اللبيرالية . وأرجو الا يفهم من ذلك انه مفهوم جديد البته. ومع أنه ليس جديدا إذ يرجع إلي بدايات القرن التاسع عشر وقت أن كان يحلم المفكرين بوجود فضاء عالمي واحد يتأسس من خلال سوق تبادلية ، ومع ذلك فهو يحمل نفحات جديدة، تلك التي تتمثل في ثورة المعلومات التي ثقلتها الثورة التقنية ، بهدف ضرب الأركان الثقافية والاقتصادية والسياسية من أجل سيادة شكل من العدمية باسم العولمة المعاصرة والتخلي المنهجي عن المصالح والمعايير والتقاليد المحلية كلها.

وإذا كانت الدولة القومية ما فوق الاثنية قد دفقت في الماضي ضد المصالح الطبيعة ، فإنها اليوم تحمل نفس المصير وتدفع عن مصالح فئوية غاية في الضيق في حل من المصالحو الآمال الوطنية، لتدخل في أممية سرية .

أنه وفق هذا المعني ، فإن العولمة تعمل علي تراجع الدولة عن مبدأ الإنتاج ، والزج بها في إطار المضاربة وإعادة التوزيع وإعادة توزيع الثروة والتركيزعلي التعددية ، والرضوخ للاملاءات الواضحة من قبل اصحاب القطبية الاحادية، وعدم الأهلية السياسية للسيادة الوطنية، والترويج لعدم المقدرة الجوهرية للحكومات الوطنية التي تبحث عن غطاء خارجي لها من خلال أصحاب القطبية الاحادية .

اذن فان المرحلة الراهنة من تطور المجتمع العالم تتميز بتزايد حدة الترويج الأيديولوجي للنظام الرأسمالي الذي أضحى بمثابة أرض الميعاد أو نهاية التاريخ . وإذا كان عصرنا هو عصر انتصار الرأسمالية، وانتهاج سياسات السوق الحر، يفصح عن أزمة كبيرة نتيجة تفرد الرأسمالية و بسط ذراعيها على كل أصقاع العالم .انه منذ نهاية الثمانينيات من القرن الحالي الماضي والعالم يشهد نشاطاً أيديولوجيا متزايدا في البلدان الرأسمالية انعكس في ظهور وصفات تنموية رأسمالية، تلك أضحت موضة أيديولوجية.

وإذا كان العالم برمته اليوم خاصة بعد انتصار ما يسمى بقوات الحلفاء في حرب الخليج الثانية وإنتهاء الحرب الباردة .تعلن عن تأسيس النظام الكوني الجديد فإنه بات علي التكونيات الاقتصادية الاجتماعية أن تشيج وجهها ،أو حتى الدولة القومية . إنه في ظل التوسع العالمي يمكننا الحديث عن دولة رأس المال العالمية

التي تجمع بين طياتها المركز والهامش معا، والتي في الوقت عينه تتجاوز حدود الأمة – الدولة، وتخرج بعيدا عن حدود جغرافية الأوطان والحكومات . إنه لم تعد الحدود القومية أو حتى خطوط الاستواء سداً منيعا أمام استقطاب الاقتصاديات برمتها حيث إن نمط الاستقطاب الجديد هو بمثابة عولمة للاقتصاديات الوطنية التي بمقتضاها تنذوي إلى الأبد الدولة المستقلة، وتولج في منظومة إنتاجية عالمية واحدة وفق قوانين السوق . إن أيديولوجيا الاندماج في منظومة الرأسمالية العالمية، أو التكيف مع قوانين السوق، ما هي إلا نوعاً من الأيديولوجيا التي تسعى إلى الدفاع عن مصالح هذه المنظومة وضرورتها، في مقابل تأبيد التخلف والتهميش للدول الضعيفة[1].

وتعد عملية الاستقطاب الجديد الذي يشدد عليها النظام الرأسمالي العالمي، نوعاً من العولمة المتصاعدة، أو بقول آخر، إنها إعادة إنتاج رأسماليات جديدة في الإطار الكوني ، أو أنها دعوة للتجنيس العالمي .ويجدر أن نشير إلى أن الدعوة لتجنيس العالم، أو ما يطلق عليه بالعولمة، ما هي إلا مرحلة جديدة قديمة في الوقت آنه . فهي مرحلة قديمة إذا ترى أن نظام السوق الحر هو علاج كوني لجميع المشاكل التي تكتنفه، وحيث أنه نظاما جديداً فهو يري أن الليبرالية الرأسمالية هي نهاية المطاف أو نهاية التاريخ أو ما نطلق عليها بالامبريالية العلياوبقول آخر إن عولمة الاقتصاديات، أو تعميم الرأسمالية بشكل فج على الصعيد العالمي يعني أفول الهيمنة الوطنية وإشاحة سيطرة الدولة بعيداً عن عمليات التراكم، ذلك الذي يطلق عليه في الأدبيات السوسيولوجية بشيوع الفوضى في الاقتصاديات التابعة وتشويهها، وتقويض عملية الاستقلال الوطني[2].

إذا كانت العولمة بمعنى معين سوف تحدث كل ما أشرنا إليه توا، فإنها بمعنى آخر سوف تتيح للأفراد والشركات متعدية القوميات وبيوت الأموال الدولية والمراكز العالمية العبث في كل مكان – وإن كان بعيدا –من اقتصاديات الهوامش

---

[1]- مايكل تانزر، " الشركات المتعددة الجنسيات " في : مايكل تانزر وآخرون من الاقتصاد القومي إلى الاقتصاد الكوني ، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة . الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨١ ، ص ١٢.

[2] - فيصل جميل سعد، العولمة الجديدة، آلية جديدة في تفكيك النظام العالمي الجديد في : الطريق، مجلة ، العدد الثاني، بيروت، مارس – ابريل ١٩٩٦ ، ص ص ١٧٣- ١٧٥.

أو التوابع أو المحيطات، الأمر الذي سوف يساهم بقوة عن طريق آليات السوق في إفقار ونهب خيرات هذه البلدان ويجعلها محيطا مدمراً ومن الأهمية بمكان أن نوضح أن عولمة الاقتصاديات لا تأتي طواعية أو من تلقاء نفسها.وإنما تستند إلى مجموعة من الآليات هي :تكنولوجيا الإنتاج ، ورأس المال التمويلي ، والتسويق، وتدويل النماذج التنموية[1].

إنه من خلال هذه الآليات يعمل النظام العالمي على خلق دولة واحدة تقوم بتقسيم الإنتاج وفق مبدأ تراتبي بين الأقاليم الجغرافية (مثل الشمال والجنوب، أو الشرق و الغرب) والذي من شأنه أن يعمل على تزايد حدة المركزية، فضلا عن تزايد وتأثر التبعية. إنه بمقتضى ذلك الأمر، فقد يطغي على الشكل العالمي الانشطار بين ما يسمى بالدولة الريعية – أقصد المركز– والدولة تحت الريعية – أقصد التوابع والمحيطات –ذلك الانشطار الذي يسمح للأولي باعتبارها طبقة عالمية متفوقة أن تجرد الثانية من فوائضها الاجتماعية خاصة في . استيلائه على الريع المطلق الذي يأخذ طابعاً نقدياً مالياً[2].

وجدير بالإبانة أنه في إطار ما يسمى بالعولمة، فإننا نعيش ما يسمى بطغيان الرأسمالية المالية، تلك الظاهرة التي طرحت نفسها بقوة منذ نهاية القرن الماضي، خاصة حينما غيرت الرأسمالية من جلدها وتخلت عن مرحلة المنافسة إلى مرحلة الاحتكار .والواقع أن هذا التحول لم يدم هو الآخر طويلاً، إذ إنه إبان القرن الفائق تم النكوص عنه، إذ جرى التحول من الرأسمالية بشكلها الإحتكاري إلى الرأسمالية في تشكلها المالي، ذلك الشكل الذي يسعى حثيثا نحو الاستثمارات الأكثر ربحاً، إنه بهذا التحول فقد بات النظام الرأسمالي نظاماً ريعياً، بل قل طفيليا، حيث يعيش على جزء من توظيف المال بدلاً من الاستثمار.[٣]

وحري بنا أن نشير إلى أن الطابع الريعي للنظام الرأسمالي جاء مع سيطرة رأس المال الأمريكي على الصناعة والتجارة والمال في العالم خاصة مع إعادة تعمير أوربا الغربية، وتناقص السيولة الدولية، و انهيار النظام النقدي الدولي، والاندفاع مباشرة في توظيف الأموال وشراء العملات والمضاربة فيها .إن التحول

---

[1]- سمير أمين ، إمبراطورية الفوضى، ترجمة سناء أبوشقرا، دارالفارابي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩١ ، ص ١٠٤.

[2] - خالد المنبوبي، دولة العالم : في نظرية الدولة وإخراجاتها العربية، تبر الزمان، تونس ، ١٩٩٣ ، ص ٣٨.

[3] - فؤاد مرسي، الرأسمالية تجدد نفسها، عالم المعرفة، العدد الكويت، مارس ١٩٩٠ ، ص ٢٣٤.

في طبيعة رأس المال، وبعده عن الإنتاج، يجعلنا نري أن الاقتصاد الرأسمالي نفسه يطغي عليه الصفا المالية، وبذا يكون قد افترق بغير رجعة عما يسمى بالاقتصاد الحقيقي أو المنتج، وهذا ما جعل البعض ينعته بالاقتصاد الرمزي، ذلك الاقتصاد الذي يجعل كل همه هو جني الريوع، أو القيام بالمتاجرة في المال كسلعة، في مقابل إهمال الأرباح التي تتولد عن العملية الإنتاجية .ومن الأهمية بمكان أن نعي هنا أن هذه العملية هي التي جعلت الدولة النامية تئن من وطأة الجبال الشاهقة من الديون التي فرضتها بيوت المال الدولية في إطار عمليات التدويل[١].

إن عولمة الاقتصاديات العالمية أو الكونية تعني تكريس ما يسمى بالتخطيط المركزيGlobalaney على مستوى العالم .ولما كان الهدف الأول من ذلك يتمحور في تنظيم وتوحيد النشاط الاقتصادي حول العالم بطريقة تسعى إلى تزايد معدلات الربح، فإن النظام الكوني يشكل نسقاً عضوياً يتوقع من كل جزء فيه أن يخدم الكل . إنه في إطار ذلك لم يعد يتسم إلى العالم على أنه مجموعة من الأوطان، بل هو سوق واحد فحسب، يتسم بالكوزموبوليتانية.

إن طرح هذا التصور يعكس في الواقع تحديا أساسياً لقضية القومية أو قل إن الحدود السياسية للأمة – الدولة، تصبح أيديولوجية واهمة، إذ تسقط معها حسابات الحدود والتخوم القومية، ويمثل تدويلاً وتجنيساً لأيديولوجية واحدة ووحيدة، هي أيديولوجيا السوق الرأسمالية، تلك التي تسعى إلى تعميق الطابع المالي الدولي[٢]. وبذا فإن دولة العالم الرأسمالية تسعى إلى تحويل لاقتصاديات العالمية إلى بلدان تقوم وفق أسس اقتصادية متخلفة، وذلك بهدف إبقائه هدفًا للاستغلال. إن التحولات الاجتماعية الاقتصادية للبلدان النامية، تفترض إقامة طرازا رأسمالية، انطلاقا من أن الرأسمالية هي نهاية التاريخ ومرحلة ناضجة لابد من بلوغها .إن ضغط الرأسمالية من أعلى لطرح أيديولوجيا السوق في هذه البلدان لاتتناسب مع طبيعة البناء الاقتصادي فيها، الأمر الذي يجعل من الرأسمالية فيها ذات طبيعة خاصة، وذات درجات متدنية من النضج، ولا تقوى أمام عمليات المنافسة[٣]. وعلى هدي ما سبق فإن الرأسمالية التي

---

[1] - خديجة صفوت، الإسلام السياسي و رأس المال الهارب، سينا للنشر،الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٤ ، ص ٩٢.

[2]– ريتشار بارينيث ورونالد مولد ، من الكونية إلى مركز التسويق الكوني في : مايكل تانزر وآخرون، من الاقتصاد القومي.. ، مرجع سابق، ص ص ٤٢، ٢٣.

[3]- Ray B. India : Natve of society and present crisis . New ?Delhi. 1983 P. 32

تفرض ذاتها في الدول الهامشية، هي مجرد بديل رديء عن مثيلتها التي تتواجد في الدولة المركزية. إن طرح نموذج خاص للرأسمالية في البلدان التابعة، يعني أن هذه الرأسمالية هي حثالة النظام العالمي، لأن معنى المضي قدماً نحو هذا النموذج هو بقاء التبعية و استمرار النفوذ الرأسمالي، وفرض مزيد من السيطرة على كافة الأصعدة، ووضع الاعتبارات الخارجية فوق كل قضية وطنية، ناهيك عن كون الطبقة الرأسمالية طبقة كومبرادورية[1].

وإذا كانت أولى الوصفات التي قدمتها الدولة الريعية إلى الأخرى غير الريعية لاكتمال النمو الرأسمالي، هو ضرب أداة التطور فيها، أقصد تخلي الدولي عن أدوارها، فإن بمفهوم سوسيولوجي، أن النظام الرأسمالي يسعى إلى إنهاء وجود نمط إنتاج الدولة، وأحياء وإعادة إنتاج العلاقات الرأسمالية .إن ذلك يعد انقلابا كيفيا، حيث اختفاء صور الإنتاج العام، وإيجاد صيغ إنتاجية خاصة، تكون قبلتها دوما تجاه الخارج.[2]

إن وقوع الدول النامية في حبائل النظام العالمي، ومن ثم الخضوع طواعية لأوامر البيوت المالية الدولية، جعل هذه البلدان تحت رهن المشورة الدولية لتطبيق الخصخصة، تلك التي تسعى في المقام الأول إلى رهن عملية الاستغلال، وقبر الدولة إلى النهاية، وعدم الأخذ بمبدأ التخطيط وإطلاق قوى السوق بدون حدود . أن موافقة الدولة في العالم الثالث على استيراد أيديولوجيات تنموية من العالم الغربي، ضرب بقوة التوازنات الاجتماعية ومسائل توزيع الثروة .لقد أثر تطبيق السياسات الاقتصادية الجديدة على المصالح وعلى علاقات القوى بينها، في حين سعت هذه السياسات إلى تعزيز مصالح الطبقة الرأسمالية فإنها وقفت بقوة أمام مصالحة الطبقات الأخرى. وتكشف عملية إعادة إنتاج الرأسمالية في إطار الليبرالية الجديدة بشكل صارخ انحياز الدولة للطبقة الرأسمالية، أو قل تحولها بشكل واضح عن السياسات الشعبوية التي سادت في فترة الستينيات . إن التحول والوقوف في صف

---

[1]- معين ناصف، التطور اللارأسمالي في بلدان العالم الثالث، مؤسسة دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٧.

[2]– المرجع نفسه، ص ٨٠ . ويمكن مراجعة :

- Allen S. Y. The training of Gocal Development Fund officials and Decenteralization organizational policy and development. Univ of Louisville kenty . 1983 .

–شحاتة صيام، التصنيع والبناء الطبقي :دراسة بنائية تاريخية ، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ص

هذه الطبقة – أقصد الرأسمالية – يعني أن ثمة تغيراً واضحاً حدث في حجمها وقوتها، ذلك الذي يكشف عنه طبيعة مواقعها وأدوارها الجديدة.

وبيد أن الأيديولوجية التنموية الواحدة والوحيدة التي تفرض ذاته – بقـوة – الآن تعمل على وجود تكوينات اجتماعية اقتصادية تسودها الملكية الخاصة وتعمـل وفق آليات السوق وقوانين العرض والطلب، فإن المجتمع المصري منذ نهاية عقـد الثمانينيات وبداية التسعينيات وهو يسعى حثيثا نحو تحقيق هذه الآلية وتدشين هـذا النظام بل وتثبيته .وإذا كانت مصر قبل ذلك التاريخ كانت تغلف أركـان وجودهـا الملكية العام، وتلعب الدولة في كل مناشط التنمية دوراً محوريـاً، فإنـه لإحـداث التحول الرأسمالي كان لابد من أفول أدوارها وإزاحتها من الطريق . ولتحقيق ذلك كان لابد من إحداث ما يلي:

أولاً :إعادة النظر في كثير من التشريعات والتنظيمات التي تعوق عملية التحول الرأسمالي، وتقف عقبة كأداء في سبيل ملكية الأجانب لمصادر الثروة وأدوات الإنتاج.

ثانياً :منح القطاع الخاص دوراً فعالاً في عملية التنمية، وإنهاء الوجود الفعلي للقطاع العام وقبره وإهالة التراب عليه.

ثالثاً :العمل على تسييد آليات السوق سواء في وضع السياسات الـسعرية أو النقدية أو المالية أو الاستثمارية. إن السياسات الجديدة التي دشنت باسم الدولة عملت على ترسيخ دعائم نظام رأسمالي حر، ومن ثم بات من السهولة بمكـان انخراطـه داخل قسمة العمل الدولية .فإذا كانت الدولة قد لعبت من قبـل دوراً واضـحاً فـي إحداث التغيرات الهيكلية والسياسية، فإنها اليـوم باتـت أداة لاسـتنزاف الفـوائض الاقتصادية وأداة طيعة في يد الرأسمالي الدولي، ناهيك عن تحولها

من مؤسسة إنتاجية إلى مؤسسة استهلاكية، بذا تكون قد تحولت من نموذج الدولة القائد إلى نموذج الدولة التابع[1]..

وإذا كنا فيما سبق مما طرحنا في إطار مفهوم الدولة العالمية ننطلق من مفهوم العولمة والكونية، فإن مفهوم الخصخصة كأيديولوجية تنموية يعد المصطلح المحوري الذي نكشف عنه في إطار الواقع المصري .أن تفحص هذا العمل واهتمامه بمسألة الخصخصة من الناحية السوسيولوجية، هو محاولة فهم هذا النموذج والكشف عن التناقضات التي تغلفه من ناحية التمايزات والانحيازت الاجتماعية.

وعلى الرغم من سعة هذا المنطلق الفكري والنظري المتصل لهذا الموضوع، فإنه من المهم أن نثير مجموعة من التحديدات ونحن نتناول هذا الموضوع، و هي:

أولاً :إننا نركز اهتمامنا وحسب على التحولات في دورما يفسر ظهورالخصخصة كأيديولوجيا تنموية مستوردة.

ثانياً :إن الانطلاق من مفهوم الخصخصة في إطار الليبرالية الجديدة يجعلنا نضع أيدينا على الشكل والمحتوى لهذه السياسية، فضلاً عن توضيح الأساسي الفلسفي والأيديولوجي لها.

ثالثًا :إضافة إلى ما سبق، إن ذلك يساهم في الكشف، ليس فقط عن الجـذور التاريخية للخطاب التنموي الحديث الذي يطرح ذاته بقوة في دولة العالم، بل أيـضا يساهم في الكشف عن شروطه الاقتصادية والاجتماعية والـسياسية، وعـن مبـرر وجوده .أو بكلام آخر، إن ذلك يوضح بشكل جلي علاقة الجواني بالبرانى في ضوء الكل العالمي.

انه حسبما تقدم فإن العولمة تسعي إلي إحداث اختزال في التوازن الشامل في الوعي ، ناهيك عن فتح المجال أمام حضور الرغبة والشهوة وانفلاتهما مـن رقابـة الوعي . أن الفكاك من حضورالوعي، يجعل الذات البشرية لا تتصرف مـن خـلال العقل، وإنما من خلال الشهوة الجنسية ، وهـو مـا جعـل التكونيـات الاجتماعيـة

---

[1] للمزيد حول ذلك راجع. –

- سعد حافظ ، آليات التحول الرأسمالي ومستقبل التنمية في مصر، في جودة عبد الخالق "محررا "، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية في مصر والوطن العربي، مركز البحوث العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤ ، ص ٩٧.

الاقتصادية الاجتماعية لا تستطيع أن تحمي نفسها من الهجمات الثقافية الخارجيـــة ، إذ في إطار ذلك بات المدلول في حل عن التعليل ومفصوماً عن الواقع.

وأحرى بنا أن نسجل هنا، أنه في إطار العولمة ، فإن العلاقة بــين المتقــدم والمتخلف يمكن النظر إليها في ضوء ما يسمي بما وراء الثقافات، إذ مـــن خلالهـــا يمكن الكشف عن العلاقة بين الجزء والكل في إطار العالم ، وما يتم في إطار هــذه العلاقة من أفعال عملية إما لتطوريها أو التخلف عنها أو للحد من تأثيراتها ، وهــذا ما يجعل مفهوم الثقافة هنا مفهوماً غنياً أو فقيراً . أن انعدام حركة الثقافة في إطـــار هذه العلاقة ، بما يعكسه من ثأتيرات سواء إيجابية أو سلبية هو ما يحكم علي غنـــي أو فقر ثقافة ما في دولة متخلفة أو العكس في دولة غنية . وهذا ما يمكن أن تعكسه كلمات روبتسون (١٩٨٧).

"..... تفيد مفاهيم الثقافة في إطار افتراضاتها المضمرة في فهم العلاقات بين الكل والجزء بين الأفراد والمجتمعات وبين المجتمعات والعالم ككل .أو قل إنها تقدم مختلف الآليات التي يتم بها تفعيل الثقافة وتطبيقها علي " نحو عملي .... ".[1]

أنه في ضوء مفهوم ما وراء الثقافات فإن الرأسمالية العالمية تعمل علـــي وأد التعددية والتنوع في الخطاب ، يهدف خلق ثقافة واحدة وحيث تعمـــل علـــي وجـــود صورة كلية للعالم باعتباره مكان واحداً وإطاراً الذي لا يجد التنوع مكان في إطـــاره . وطبيعي ومن هذه الحالة أن تحاول العولمة أن تجد نمطـــاً ثقافيـــاً جديـــداً يتـــسم بالتهميش للثقافة واحدة تمتطي ظهر الهيمنة الاقتصادية والسياسية الغربية . لقضاء علي الهويات الوطنية .

فبدلا من وجود الثقافة القومية التي تعمل علي الاندماج والتجـــانس الثقـــافي المحلي، وأن الثقافة الغربية هي التي تزيح أوتمسخ الثقافة المحلية بـــأخري وافـــدة ، فإن الثقافة الحالية تشير إلي الاندماج الثقافي والتفكك الثقافي في إطار الدولة العالمية الواحدة ، ومن ثم تفكيك للثقافة والهوية الأهلية، ذلك الذي يجعلنـــا نـــري أن تعيـــد العولمة إنتاج مفهوم الغنوصية لمبدأ مقدس بالنسبة لها،الا وهـــو الليبراليـــة ، الـــذي تيزلف له كل أصقاع العالم حتي لا يتم التدخل في شئونها سواء بشكل سافر وسريع

1- Roberton R., Golobalization Theory and Civilization analysis, Comparative Civilization Review, No . 17,1987. P . 22.

أو عن طريق اطباق القرارات الدولية عليها من أجل ترتيبها واحضارها . بـل قـل لاخفاء الثقافة الوطنية .

أن دخول العالم في إطار المعادلة الثقافية كما تفرضها الرأسمالية الدولية ، يجعل العامل الاقتصادي فهما للعاملين الاعلامي والثقافي في حلية صراع الهويات الحضارية . أو بمعني أخر أن توشيج الراوبط بين المستوي الاقتصادي مع الصعدين الثقافي والاعلامي، شكل رأس الحربة للخوض قدما في صراع الحضارات ، من أجل تسييد ثقافة رأسمالية عالمية واحدة ، ومن ثم إنهاء الهوية والخصوصيات الوطنية، وتفيد العلاقات الإنسانية ومراجعة سلم القيم والمعايير الوطنية ، واختزال الحدود الوطنية وإعادة إنتاج الجغرافيا من جديد.

أنه في ضوء كل ما تقدم ، وفي ظل هذا الاقتراب النظري الذي حاولنا توليفه، فإن الكتاب الراهن جاء ليعالج تأثير العولمة ليس فقط في قطاع معين ، وإنما في كل مناحي المجتمع المصري . أنه يسيح مع تأثيرات العولمة لكي يرصد تأثيراتها علي بني المجتمع ومكوناته ، وما انعكس ذلك علي طبيعة الذات داخلياً وخارجياً . أن العولمة لم تبق ولم تذر، إذ أصابت في مقتل الأخضر واليابس في المجتمع المصري وهو ما توضحه فصول الكتاب الراهن .

وقبل أن أنهي هذه المقدمة يعن لي أن أتقدم بالشكر والتقدير إلـي كـل مـن ساعدوني ، وأثروا الحوار معي لكي يخرج هذا العمل إلي النور. أن ديوني لكثيرين لا حصر لها ، وأخص بالذكر الأستاذة شيماء علي والأنسة سمر سعيد . الذين كانوا لهم كل الفضل . وأرجو قد وفيت ديوني و أن أكون علي قدر هذا الجهد و أن أكون قد وفقت. والله من واء القصد.

شحاته صيام

مصر الجديدة في يوليو

٢٠٠٨



الفصل الأول

العولمة الجزئية :

التخلف والنظام العالمي

مقدمة:

أضحت قضية التنمية في الدولة النامية غداة حصولها على الاستقلال السياسي، من القضايا الملحة التي طرحت نفسها بإلحاح شديد على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، باعتبارها الآلية الرئيسية للتقدم والتحديث، وتجاوز التخلف الذي غلف كل أركان الوجود . وتعد التنمية المجتمعية الطريق الذي تتفاعل في إطاره كل من الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ضمن منظومة شاملة تشكل الجسر التاريخي بين حالات الانكسار والتدني التي تعيشها، وتحقيق التنمية الشاملة.

وإذا كانت أدبيات التنمية المعاصرة تجمع على أن التخلف ما يزال يمثل عقبة صعبة أمام تقدم بلدان العالم الثالث، وأن آلياتها للتخلص من واقعها المتخلف يتمثل في إنجاز التنمية المجتمعية، فإن تحقيق العدالة الاجتماعية وإشباع الاحتياجات الاجتماعية تمثل لب هذه التنمية، بما تحمله من دلالات عديدة، مثل تغيير القيم والعلاقات الاجتماعية، وتغيير الهيكل الاقتصادي والطبقي، وزيادة عملية المشاركة السياسية، وتعديل العلاقات الخارجية مع المنظومة العالمية . ويجدر أن نشير إلى أن تحقيق التنمية المجتمعية تتوقف على الحصول على الاستقلال، أي تأمين الإرادة القومية اقتصادياً وسياسياً وثقافيًا عن إرادة العوامل الخارجية المسيطرة.

لقد أدركت بلدان العالم الثالث بعد إحراز استقلالها السياسي، أن التنمية بأبعادها الشاملة هي الوسيلة الناجعة للقضاء على الاختلالات التي لحقت بهياكلها الاقتصادية، وتصحيح العلاقة بين الموارد المادية والطاقات البشرية، فضلاً عن تنويع الاقتصاد القومي، واستيعاب فائض قوة العمل الزراعي، وتقليل عملية اعتماد الاقتصادية القومية على السوق الرأسمالية العالمية . وعلي الرغم من وضوح أسباب اندفاع العالم الثالث لطي سنوات التخلف وإنجاز التنمية، إلا أن هناك من يرى أن هذه البلدان تسعى إلى إيجاد ثلاثة أهداف محورية هي : رفع مستوى معيشة السكان، وارتفاع نصيب الفرد من الدخل القومي، وتحسين ميزان المدفوعات.

وبيد أن دوافع بلدان العالم الثالث واضحة وضوح الشمس في إنجاز عملية التقدم والتحديث، إلا أن هذه العملية تتوقف على مجموعة كبيرة من المتغيرات المحلية والعالمية (الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية).ويمكن في هذا الإطار أن

نذكر أنه من بين هذه المتغيرات، ندرة رءوس الأموال، وضيق الأسواق، وعجز الزراعة عن تحقيق فائض اقتصادي، وانخفاض المهارات وارتفاع الأمية، ناهيك عن الطابع الاحتكاري الذي تتمتع به التكنولوجية العالمية، التي عن طريقها باتت الدول "المتقدمة " مصنعاً عالمياً، بينما أضحت الدول النامية" الريف" الذي يؤدي وظيفته التقليدية المتمثلة في ضخ مواده الأولية اللازمة لإدارة عجلة هذا المصنع.

إن التقسيم الدولي للعمل بين المصنع العالمي والريف خلق علاقات غير طبيعية تقوم على أساس النمو غير المتكافئ بين دول المركز والمحيط، وسير الأخير في كنف الأول من خلال علاقة الاعتماد والتبعية، تلك العلاقة التاريخية التي تعد وجهين (التقدم والتخلف) لعملة واحدة. إن طرح شعار التنمية والتحديث على صعيد بلدان العالم الثالث يعتبر رد فعل طبيعاً وانعكاساً للفارق الحادث بين تطور المركز الرأسمالية والهوامش المحيطة، ذلك الذي ارتبط طويلاً بعدم وجود صناعات وطنية نتيجة محاربة الأولى لإقامة الصناعات الحديثة، وتصفية الصناعات التقليدية في الثانية بهدف إبقاء بلدان الهوامش سوقًا لمنتجات المراكز العالمية، ومن ثم إبقاء هذه البلدان كتوابع تزوده بالمواد الأولية . إن تطور العلاقة بين المنظومة الرأسمالية العالمية وبلدان العالم الثالث وفق قسمة العمل الدولية فرض ضرورة النهوض بعمليات التنمية، وذلك باعتبار أن تنمية العالم الثالث يعد جزءاً متمماً لسلسلة النضال العام ضد الإمبريالية واستغلالها للإنسان في العالم الثالث . وفيما يلي سوف نحاول التعريج على بعض الأدبيات المتصلة بالتخلف والتبعية.

أولاً :في طبيعة التخلف :

يعتبر التخلف الاقتصادي الذي تشهده مجتمعات العالم الثالث ظاهرة تاريخية، إذ نشأ في ظروف معينة، وفي مرحلة تاريخية محددة .وعلى وجه التحديد ارتبط وجود هذه الظاهرة وتفاقمها في هذه الدول بظهور وتطورالنظام الرأسمالي الصناعي الذي عرفته بلدان أوربا .فقبل ظهور الرأسمالية وتحولها إلى نظام كوني في القرن التاسع عشر لم تكن هذه الدول بالمعنى المعاصر للمفهوم،إذ كان التطورالاقتصادي والاجتماعي بطيئاً ويمتد لفترات طويلة في ظل التشكيلات الاجتماعية لما قبل الرأسمالية . وعلى الرغم من أن التشكيلات الاجتماعية لما قبل الرأسمالية التي ران عليها الركود فترة طويلة كانت عوامل التطور فيها بطيئة وئيدة، وأن التحول من

نمط إنتاجي إلى آخر كان يتم في فترات زمنية متباعدة، إلا أنها لم تكـن متماثلـة وكاملة في حلقات التطور، إذ كان هناك فروق كمية واضحة بينها. ويوضح التطور التاريخي لاقتصاديات تشكيلات ما قبل الرأسمالية، أنه قبل بزوغ وتبلـور النظـام الرأسمالي لم تكن هناك تباينات واضحة بين المجتمعات الأوربيـة وغيرهـا مـن المجتمعات الإنسانية، إذ كان من الطبيعي أن يكون نصيب المجتمعات غيرالأوربية يفوق نصيب البلدان التي تشكل اليوم مجموعة البلدان المتقدمة وذلك بحكـم تفوقهـا الجغرافي والعددي[1].

والحقيقة التاريخية التي نود الأشارة إليها في هذا الصدد تؤكد أن الفوارق بين الدول قبل ظهور الرأسمالية كانت محددوة وتمثل تبايناً في الكم وليس في النوع ، أضف إلي ذلك وهو الأهم أن الاختلاف في درجات التطور الاقتصادي بين الدول ترتبط بعلاقات سببية ، بمعني أن التخلف النسبي لدولة ما يرجع بالضرورة إلي تقدم نسبي في دولة أخرى أو العكس. فقد كانت التباينات ترجع بالضرورة إلى الظروف الموضوعية والذاتية داخل الدول . على أن الفهم الحقيقي لظهور التخلف كمحور أصيل في تفسير تطور المجتمعات النامية يفرض علينا الرجوع إلى التاريخ قليلاً . فمع ظهور هذه المرحلة الرأسمالية في أوربا – التي امتدت بين القرن الرابع عشر والقرن السابع عشر – بدأت علاقات القوى العالمية تتجه في صالح الدول الأوربية التي عرفت مرحلة الرأسمالية التجاري، وانتهت إلى وجود أنماط من السيطرة الكولونيالية على الدول المتخلفة.

وجدير بالذكر أن البلدان الأوربية قد بدأت منذ ١٨٨٥ في اقتسام الدول التي تعرف بالمتخلفة الآن، ويعد ذلك بداية جديدة في التاريخ الإنساني، إذ عرف إبانها مرحلة جديدة من الإمبريالية تشكلت خطوطها من خلال الضغوط الاقتصادية التي خبرتها أوربا آنذاك . ومنذ ذلك الوقت وقد بدأ العالم يبدو وكأنه نظام كوني خاضع لسيطرة القوى الأوربية .لقد ارتكز هذا النظام العالمي على الغزو والقوة، وفي إطار

---

[1] - توماس سنتش الاقتصاد السياسي للتخلف وآليته (الجزء الثاني)، ترجمة فالح عبد الجبار ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ١٢ .

هذه الآليات جاءت الدول الأوربية غنية وقوية ومسيطرة، وغيرها من الدول فقيرة وضعيفة وخاضعة . لذا يمكن القول إن ١٨٨٥ تمثل بداية واضحة لفترة الإمبريالية العليا، وعهداً جديداً لاستغلال الدول المتقدمة للدول المتخلفة[1] .

والواقع أن الفترة التي عرفت بالكولونيالية قد لعبت دوراً مزدوجاً، أحدهما في نمو وتطور الرأسمالية من ناحية، والآخر في أضعاف وتدني الدول النامية، إذ قاد التوسع التجاري إلى سيطرة رأس المال على الأسواق الواسعة عبر البحار ، ومن ثم توسيع نطاق السيطرة لتكوين السوق العالمي سيطرة الرأسمالية . أضف إلى ذلك أن ما تكون من أرباح وثروات نتيجة النهب المنظم والمستمر كان يمثل أحد مصادر التراكم الرأسمالي في أيدي الطبقة الرأسمالية . إن نهب الذهب و الفضة وتجارة العبيد كانت تمثل العلاقات البارزة في مهد الرأسمالي.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر أن الخصيصة الأساسية التي عرفتها فترة الكولونيالية تكمن في أن وسيلة نهب الشعوب تتمركز في رأس المال التجاري، تلك التي تختلف عن فترة الاستعمال التي رافقت نمو وتطور الرأسمالية الصناعية، حيث أن وسيلة الاستغلال ونهب الشعوب كانت تتمثل في رأس المال المالي . إن أساليب نهب واستغلال ثروات وخيرات البلدان المتخلفة عبر الفترة الكولونيالية كانت أساليب غير اقتصادية، إذ اعتمدت على أساليب اللصوصية والخداع واستخدام القوة والعنف في أعمال القرصنة والنهب المباشر، كما أن تحويل ثروات وموارد البلدان النامية لم يكن يحتاج إلى تغيرات جوهرية في الهياكل الاقتصادية للبلدان المتخلفة في الفترة الاستعمارية، بل كان يحتاج إلى إخضاع شعوب هذه البلدان بالقوة أو عن طريق التحالفات مع الفئات الاجتماعية الموجودة في هذه البلدان التي ارتبطت مصالحها برأس المال التجاري الأوربي .إن النتيجة الأساسية التي تولدت عن ذلك أن

---

[1] - السيد الحسيني، التنمية والتخلف دراسة بنائية تاريخية، دار سجل العرب، الطبعة الأولى ، القاهرة، ١٩٨٠ ، ص ١٥ ...وعن العلاقات الاستعمارية وبداية اقتسام العالم وتكون النظام الكوني للرأسمالية راجع:

Worsley P., The third world, weidefiled and Nicolson,London, 1977 , PP., 21-31.

أصبحت البلدان النامية مجبرة على ترك فائضها الاقتصادي ليتحرك تجاه العواصم الاستعمارية، ويتحول بعد ذلك إلى رأسمال قائم في مجموعة الاستثمارات التي تعمل على أراضيها.

صفوة القول هنا، إنه بسبب النمو غير المتساوي بين الدول الرأسمالية والدول النامية في مرحلة ما قبل الرأسمالية، فإن الدول النامية أضحت فريسة سهلة انقضت عليها البلدان الرأسمالية وتمكنت من تحويل القسط الأكبر منها إلى المستعمرات وأشباه مستعمرات وبلدان تابعة . إن النشاط الهمجي الذي عملت به البلدان الرأسمالية خلف تغيرات جذرية مهمة، زلزلت به أركان بنية الإنتاج المحلي، ومن ثم إحداث تشوهات واضحة في المسار الاقتصادي والاجتماعي نتيجة النهب المنظم للموارد والفائض الاقتصادي في البلدان المتخلفة. تلك هي بداية العملية التاريخية

لظهور وتكوين التخلف الذي صاحب نشوء وتطور.الرأسمالية على النطاق العالمي [1].

لقد ساهم النظام الرأسمالي العالمي منذ وجوده في طرح مجموعة من التحولات الأساسية على النظام العالمي، حتى أضحت هذه المنظومة مراكز أساسية تسيطر على الدول المتخلفة التي تعد توابع محيطة، ومن خلال هذه العلاقة بسطت الأولى نفوذها على الثانية . إن علاقة التبعية أو العولمة الجزئية بين المركز والمحيط تتمثل في استغلال الطرف الأول لثروات وموارد الطرف الثاني . فكانت بمثابة علاقة جذب من المحيط وضخ في المركز [*]

---

[1]-رمزي زكي، **المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية،** عالم المعرف ، وحول هذه القضايا – العدد ٨٤ ، الكويت، ١٩٨٤ ، ص ص ٣١– ٣٥يمكن الرجوع إلي:

Owen R. and Sutcliffe B., (eds.) , Studies in the theory of Imperialism, Longman, London , 1972.

- هاري ماجدوف، **الإمبريالية من عصر الاستعمار حتى اليوم،** .مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى ،بيروت، ١٩٨١.

- ماركس وإنجلز، في الاستعمار، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق، د .ت.

- لينين، **الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، المختارات**، المجلد (١) الجزء الثاني، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١ ،ص ص ٢٩٧– ٤٣١، - السيد الحسيني، التنمية والتخلف... ، مرجع سابق، ص ١٦.

وسمير أمين، **حول التبعية والتوسع العالمي للرأسمالية في:** قضايا فكرية، الكتاب الثاني مصريين التبعية والاختيار الاشتراكي (محمود العالم) مشرفًا، القاهرة، يناير، .١٩٨٦ ، ص ٣٠.

(*)حول فكر المركز والمحيط، راجع:

– سمير أمين، **أزمة المجتمع العربي**، دار المستقبل العربي، .٢٨ – الطبعة الأولى ،القاهرة، ١٩٨٥ ، ص ص ١١

.وجدير بالتوضيح أن معظم الدول النامية حتى النصف الأول من القرن العشرين باتت تؤدي دوراً إيجابياً للنظام الرأسمالي العالمي، وآخر سلبيا لبناءاتها القومية، والذي كان من شأنه المساهمة في تدهور هياكلها الإنتاجية، وتدني مستوى معيشة سكانها، وازدياد الهوة الحضارية بينها، ناهيك عن تكريس تبعيتها .وثمة مراحل ثلاث شهدتها العلاقة بين النظام الرأسمالي وبلدان الأولى تتميز ": " Pripheral Countriesالأطراف المحيطة بنهب الثروات وتجارة العبيد وتصدير صناعات المركز إلى المحيط، والثانية تتضمن تصدير رأس المال والمنافسة على احتواء المواد الخام وازدهار الاحتكار، أما الثالثة فتنطوي على علاقة التبعية أي ما بعد الكولونيالية التي فيها يلعب رأس المال الأجنبي والشركات متعددة القوميات دوراً بارزاً في تعطيل حركة التنمية ووأد كل عمليات التنمية التحديث[1] .

لقد حاولت الاتجاهات النظرية المختلفة فهم ظاهرة تخلف دول العالم الثالث . فمن خلال تصور كل اتجاه انطلقت الرؤى وتباينت في إيجاد تفسير محدد لهذه الظاهرة[2] . ويشير الواقع التاريخي والمعاصر أن القضية الأساسية التي تجابه البلدان النامية تتمحور حول قضية التخلف، وكيفية طي هذه المجتمعات سنواتها وتجاوزها لعبور طريق التنمية المتكاملة أقصد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وكذا تجاوز وضعية التخلف التي تعيشها .لقد تشكلت الملامح الخاصة لتخلف العالم الثالث – كما ذكرنا من قبل – نتيجة إدماج النظام الرأسمالي العالمي لهذه البلدان

---

[1] - السيد الحسيني، **التصنيع والتنمية : دراسة في طبيعة النظام الاقتصادي العالمي**، مقدمة الترجمة العربية لكتاب آلان منتجوي، التصنيع في الدول النامية، ترجمة وتقديم السيد الحسيني، مطابع سجل العرب، طبعة أولى ،القاهرة، ١٩٨٢ ، ص ٥ ... وأيضاً:
Bob Sutacliffe, Imperialism and Industrialism in the third world, Owen R. and sutacliffe B, studies in the theory of Imperialism, Op. Cit., PP. ١٧٢ – ١٧٣.

[2] - للمزيد عن الاتجاهات النظرية لفهم ظاهرة التخلف أنظر:
– السيد الحسيني، التنمية والتخلف، مرجع سابق.
– طلال البابا، قضايا التخلف والتنمية في العالم الثالث في .المنهج، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٣.
– محمود عبد المولى ، العالم الثالث ونمو التخلف، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٢ .
وأيضاً :رمزي زكي، الأزمة الراهنة في الفكر التنموي، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الثاني، يوليو، ١٩٨٠ . وأيضًا :جونار ميردال، نقد النمو، ترجمة عيسي عصفور، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٠ .
وأيضًا: توماس سنتش، الاقتصاد السياسي للتخلف، مرجع سابق.

وتكريس تبعيتها، وترسيخ نظام السيطرة والاستنزاف والنهب، وذلك بإقامة الاقتصاديات الخادمة والتابعة للمراكز الرأسمالية العالمية.

لقد نتج عن هذا الإدماج عمليات تشوه الهياكل الإنتاجية القائمة في هذه البلدان، وأيضاً العمليات الموضوعية التاريخية التي كانت تتم داخلها مثل : عمليات تطور تقسيم العمل الاجتماعي، وإحداث تراكم رأسمالي، والانتقال من نمط الإنتاج الطبيعي إلى الإنتاج السلعي، وتكوين سوق داخلية واسعة . لقد ترتب على إعاقة التطورالطبيعي لتلك العمليات أن تعددت هياكلها الإنتاجية الاقتصادية، إلى جانب تكامل هذه الهياكل خارجياً مع السوق الرأسمالي العالمي . لقد تم تاريخياً إدماج مجتمعات العالم الثالث على نحو غير متكافئ وغير متساو في النظام الرأسمالي العالمي طبقًا لنمط معين من التقسيم الدولي، بحيث أصبح التبادل اللامتكافئ والتبعية أو العولمة الجزئية هما جوهر العلاقة التي تربط مجتمعات العالم الثالث بالبلاد الرأسمالية . وعلى هذا فإن ثمة شروطاً أساسية تفرض نفسها في هذا الإطار، الا وهي ضرورة البحث في العوامل التاريخية التي ساهمت في إيجاد هذه العلاقة غير المتكافئة والتي قوامها النهب والسيطرة من جانب الرأسمالية المتطورة، والتخلف والتدني والتبعية في بلدان العالم الثالث[1] .

ثانيًا :حول تراث العولمة الجزئية:

يمكن تصنيف الكتابات التي تناولت العلاقة بين إلى ثلاث Peripheral المراكز الرأسمالي والأطراف مراحل أساسية: الأولى – تتمثل في كتابات ماركس وإنجلز– وتتضمن النهب للثروات والعبيد وتصدير الصناعات الرأسمالية إلى الأطراف. والمرحلة الثانية – والمثال البين عليها رؤى لينين – والتي تقوم على تصدير رأس المال، والتنافس من أجل الحصول على المواد الخام، ونمو الاحتكار. أما المرحلة الثالثة فتنطوي على علاقات العولمة الجزيئة أو ما يسمي ما بعد الكولونيالية، تلك المرحلة الأكثر تعقيدا عن سابقتيها إذ في هذه المرحلة يكون لرأس المال الأجنبي المندمجات وإعادة الأرباح ، (International Corporation) الدولية إلى البلد المصدر، وشروط التجارة غير المتكافئة، الدول المهم في تشويه

1- Taylor J., From Modernization to mode of production: A Critique of siociologies of Develoment and underdevelopment, The Macmillan pressm London, 1981 , P. 101.

وتقييد وإبطاء الحركة التنموية . وغني عن البيان أنه في كل من هذه المراحل تقوم الأطراف بتزويد المراكز بكل احتياجاتها[1] .

وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن مفهومي التخلف والتبعية يستخدمان لتحديد هوية وواقع مجتمعات العالم الثالث، وهذا الاستخدام يتم في إطار التحديد التاريخي والاجتماعي لتلك البلدان بحسبانها تكوينات اقتصادية واجتماعية تمثل درجات متدنية في سلم التطور الاجتماعي الاقتصادي التاريخي. إن ظاهرة العالم الثالث ووضعه القائم جاءت (في إطارها التاريخي) نتيجة مجموعة من العوامل يرتبط بعها بظهور الرأسمالية الغربية وتطورها في القرنين التاسع عشر والعشرين، والبعض الآخر يتصل بالبناءات والقوى الداخلية لهذه البلدان [٢]. بمعنى آخر أن الوضع الراهن في العالم المتقدم اقتصادياً هو نتيجة للثورة الصناعية، والآثار المترتبة عليها في علاقات أوربا الخارجية، وتبلور الظاهرة الإمبريالية في ارتباطها بتطور النظام الرأسمالي . إن انقسام العالم إلى متقدمين ومتخلفين، لا يمكن فهمه دون إدخال البعد التاريخي في الحساب، وبدون فهم أن تقدم المتقدمين وتخلف المتخلفين هما وجهان لعملة واحدة وجزء من عملية تاريخية واحدة[٣]. والواقع أن مدرسة التبعية تقف موقفاً مضاداً لأفكار نظرية التحديث.

فإذا كانت نظرية التحديث ترجع التخلف الذي تعيشه بلدان العالم الثالث إلى الطبيعة الثقافية الجامدة التقليدية لشعوب هذه البلدان، وكذا عدم الاحتكاك بالثقافة الغربية والنهل منها، فإن نظرية التبعية منذ البداية ترى أن الاحتكاك كان سارياً وموجوداً حتى الآن، فكما هو ماضي هو حاضر أيضاً، ولكنه لم يأت بجديد، وإنما أدى إلى تكريس التخلف وتنميته . إن هذا الاحتكاك من وجهة نظر مدرسة التبعية لم يؤد إلى التغير والتحديث، بل أدى إلى تكريس التخلف والدوران في فلك التبعية للمراكز الرأسمالية. والسبب في ذلك يرجع بالضرورة إلى العلاقة التاريخية بين

1- نجاح واكيم، **العالم الثالث والثورة**، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى ،بيروت، ١٩٨٢ ، ص ص ١٢٩–١٠٩ .

2 – Taylor J., From Modernization to Mode of Production, Op. Cit. PP.101 102.

3 – على الدين هلال، **الاقتصاد السياسي وقضايا التنمية المعاصرة السياسة الدولية**، العدد ٧٥ ، مركز الدراسات والاستراتيجية، القاهرة، .يناير ١٩٨٤ ، ص ٥٤.

المراكز والتوابع، تلك العلاقة غير المتكافئة التي قوامها استغلال الأولى للثاني وظهور أشكال الخضوع والسيطرة، أو التقدم والتخلف [1] .

إن الاحتكاك بالرأسمالية طبقًا لمفهوم نظرية التحديث الغربية، لم يؤد – طبقًا لآراء فرانك – إلا إلى تمفصل أساليب الإنتاج، ومن ثم إلى التبعية وتداخل هذه التكوينات في فلك الرأسمالية العالمية، أو بمعنى آخر الزج بهذه التكوينات داخل تقسيم العمل الدولي.[٢] ونتيجة لذلك يرى "رونالد شيلكوت Chilcote" أن تخلف بلدان العالم الثالث جاء نتيجة خروج الاقتصاد والسياسة بعيداً عن تأثير وسيطرة وعدم تحكم أبناء هذه الدول . ولزيادة التخصيص، فإنه حينما تتحدد شروط قيام الاقتصاد الدولي من خلال العلاق ات غير المتكافئة بين الدول، فإن هذه العلاقة تقوم على السيطرة، ومن ثم الاتساع والنمو في الدول المتقدمة، ووأد كل عمليات النمو في الدول المتخلفة .كل ذلك أضحى بمثابة الضوء الأخضر لدخول البلدان الأخيرة في فلك المنظومة الرأسمالي العالمية. ويعتبر مفهوم التبعية في ارتباطه بمفهوم السيطرة أداة رئيسية لفهم واقع البلدان النامية الراهن، أي لفهم واقع التخلف . وإذا كان من الممكن تعريف التبعية الاقتصادية أو العولمة الجزئية عموماً بأنها درجة غير متكافئة للاعتماد والتأثير في المجال الاقتصادي بين الطرف الرأسمالي والطرف المتخلف، فإنه يمكن بناء على هذا المفهوم تعريف موقف التبعية على أنه تلك العلاقة غير المتكافئة بين المتقدم والمتخلف من المنظومة العالمية، والتي بمقتضاها يعتمد المتخلف اعتماداً كاملاً على المتقدم. والمتفحص لهذا التعريف يمكنه أن يستنتج أنه يستند إلى وعي العلاقة الجدلية بين المفاهيم الثلاث التخلف والسيطرة والتبعية."

إن العلاقة بين التقدم والتخلف في إطار العولمة الجزئية تعد نتيجة موضوعية للعلاقة غير المتكافئة – تاريخياً – بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة .وفي ضوء ذلك جاء تعريف " دوس سانتوس" (١٩٦٨) للتبعية كما يلي ...... " : التبعية هي ذلك الوضع المتدني في اقتصاديات مجموعة من البلدان، وتنمية وتوسع اقتصاديات

[1]- أحمد زايد، **الدولة في العالم الثالث : رؤية سوسيولوجية**، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، القاهرة، ١٩٨٥ ، ص ٤٦ – ص ٤٥.

[2] – Archie Mafeje , " Neo – colonialism , state capitalism, or Revelation " . in: Guklind P., waterman P., (eds.) , Affrican social studies: A Radial Reader , Heinemann, London, 1977 , P.413.

مجموعة أخرى من البلدان، تلك التي تكون نتيجة علاقة الاعتماد المتبادل بين اثنين أو أكثر من الاقتصاديات في التجارة العالمية . وحقيقة الأمر أن علاقة الاعتماد والتبعية تتجلي عندما تسيطر بعض هذه الأقطار على الأخرى، الأمر الذي نتج عنه ذلك التقدم التوسع في إحداها، بينما الأقطار الأخرى أضحت متخلفة وتعمل في فلك الأولى ، والواقع أن هذه العلاقة تأتي كانعكاس مباشر للاتساع والتقدم الذي يكون سلبياً في تأثيره على التنمية المباشرة للبلدان المتخلفة......"[1].

إذن إن نموذج التبعية يفترض في الأساس وجود نظام دينامي للتبادل غير المتكافئ، أي نمط من العلاقات غير المتناسقة بحيث تكون على الدوام في مصلحة أحد الطرفين وتؤدي إلى إضرار الطرف الآخر، أو على الأقل تحابي طرف أكثر من الطرف الآخر نسبياً .ونتيجة لذلك يظهر داخل المنظومة الدولية نمط من التفاعل بين طرف مهيمن بين المركز وآخر تابع، أو بحسب تعبير جالتونج Galtung بين العواصم والهامش، أو بحسب تصور فرانك Frank والتوابع أو وفق تعبير سمير أمين بين المركز والمحيط.

إن النتيجة النهائية لعلاقات التبعية هي التطور الاقتصادية للمركز، ونقص النمو والتخلف للمحيط . ففي حين أن العواصم واثقة من نفسها وتعتمد على الذات إلى حد كبير، فإن التوابع تقبع تابعة في العادة وراضخة الأجنبية . إن النظام الدولي غير المتكافئ يبرز بوضوح أكثر إثارة للدهشة في المتاجرة التي كانت قد أقيمت خلال العهد الكولونيالي، والتي ظلت منذ ذلك الحين تفعل مفعولها برغم التحرر من الاستعمار على نطاق واسع.

وإذا كان مفهوم التبعية عن سانتوس قد ركز على نموذج السيطرة، وان نموذج مدرسة قد ركز الا كلا ومن بينهم راؤول بريبيش " Prebisch "على

---

[1]- Chilcote., R., Dependency: Acritical synthesis of Literature , Latin Americal pers pectives, Vol, I, No. I, 1976, P.4

ويمكن الرجوع أيضاً حول هذه القضايا إلى:

– سمير أمين، **التطور اللامتكافئ دراسة في التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطة**، ترجمة برهان غليون، دار الطليعة، طبعة ثانية، بيروت، ٨٠.

– التراكم على الصعيد العالمي : **نقد نظرية التخلف**، ترجمة حسن قبيسي، دار ابن خلدون، الطبعة الثانية، بيروت،١٩٧٩ .

–جورج نوفاك، **التطور المتفاوت والمركب والثورة في أمريكا اللاتينية** :رد على فرانك، ترجمة يشير السباعي، دراسات، القاهرة، د .ت.

شروط التجارة الدولية. فإن أوزفالدو سنكلSunkel" يطور المفهوم في ضوء تفسير الشئون الأجنبية ١٩٧٢.

فيرى ...... " أن العوامل الخارجية تصبح من الأمور الواضحة ليست كعامل خارجي إضافي ولكن كعامل جوهري في تفسير التبعية، تلك العلاقة التي تتنوع أحياناً، أو تختفي نتيجة للسياسات المالية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية، ومختلف التأثيرات الداخلية للبلدان المتخلفة أحياناً أخرى .وهكذا فإن مفهوم التبعية جاء لربط تطورات ما بعد الحرب العالمية الثانية بالرأسمالية العالمية، وللتمييز بين طبيعة العمليات المحلية للتنمية، وما يتمحور حول اتجاهات الرأسمالية العالمية، تلك العمليات التي تتعلق بصيانة وتعزيز التراكم لامتيازات الجماعات الخاصة مثل استمرار الوجود الفعلي للطبقات الهامشية"[١].

والمدقق لهذه الأفكار يرى أنها تركز على جانبين، الأول منها يركز على علاقات الدول وبعضها ببعض، بمعنى خضوع نظام ضعيف لسيطرة نظام قوي عبر الحدود وهو ما يطلق عليه " بالتبعية الخارجية " أو " التبعية كعلاقة " .أما الجانب الآخر، فيتمحور حول النظر إلى التبعية على أنها عامل أساسي لحدوث تغيرات داخلية، لعل أهمها تمفصل وتداخل عناصر التكوين التابع، أو بمعنى السيطرة ضد الاستقلال .وثمة فرق بين بينهما، ذلك يكمن في أن الاتجاه الأخير يركز على الديناميات الداخلية للتكوين الاجتماعي التابع، تلك التي تعد انعكاسًا لديناميات التكوين الاجتماعي المسيطر أو الرأسمالي [٢] .

ولقد طرح أيضاً فرانك " Frank " تحليلاً نظرياً لظاهرة تخلف العالم الثالث، والقضية المحورية التي انطلق منها فرانك مفادها أن التخلف المعاصر – في جانب كبير منه – يعتبر المحصلة الرئيسية للعلاقات الاقتصادية التاريخية بين المتقدم والمتخلف من الدول . أي أن فرانك في مقولته يرى أن التخلف نتاجاً للتنمية .لقد قدم فرانك إطاراً تصورياً استوعب فيه شبكة العلاقات الإنسانية في إطار دولي، وفي ضوئه ذا التصور يرى أن توسيع النظام الرأسمالية أدى به من ذلك إلى

---

[1] –Chilcote , Dependency ...... , Op. Cit., P. ٥

[2] – السيد الحسيني، **نظرية التبعية : حوار وجدل، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، محمد الجوهري** " مشرفاً "، دار المعارف، طبعة أولى ،القاهرة ١٩٨١ ، ص ٢١.

أن ثمة سيطرة من العواصم على التوابع سواء على مستوى الدول المتخلفة الواحدة، أو على مستوى الدول المتقدمة والمتخلفة أيضاً[1] .

وبيد أن نظرية أنماط التحديث والبناء الفوقي تميل إلى تفسير نقص النمو فقط بمصطلح اختلال التوازن البنيوي المحلي، وتتجاهل الارتباطات القاطعة بين البنيتين الداخلية والخارجية لكل مجتمع، فإن هذا الاستبصار هو ما ينضوي تحت إسهامات مدرسة التبعية . ولسنا بحاجة إلى القول بأن هناك عدداً كبيراً من الاختلافات بين صياغة نظرية وأخري، وهي اختلافات مهمة . إذ نجد أن مفهوم التبعية بتعبير أكثر عمومية، يهدف إلى رصد هيمنة الشعوب المتقدمة داخل المنظومة الدولية، وما تضعه من عراقيل في طريق التنمية الداخلية للاقتصاديات المتخلفة . لقد عرف دوس سانتوس " Santos " التابع بأنه الاقتصاد الذي يحدده تطور أن مفهوم وتوسع اقتصاد آخر، بينما يرى سنكل " Sunkel " التبعية يرتبط بالضغوط والتعقيدات الخارجية التي كثيراً ما تفعل مفعولها بواسطة آليات مالية واقتصادية وتكنولوجية وثقافية، وتساهم في نقص النمو الداخلي ومن ثم تكريس الامتيازات التي تفرز الذات من جهة، والوجود المستمر لطبقة هامشية من جهة أخرى . إن القيمة الكبرى لمختلف صياغات التبعية تكمن في إزالتها للحدود الاصطناعية ليس فقط بين العملية القومية والدولية، بل وكذلك بين أبعاد التفاعل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري والأيديولوجي[2] .

والمتأمل في كتابات مدرسة التبعية يجدها تحذو حذو المفهوم الذي دفع به " Santosسانتوس الذي يركز على أن أداء اقتصاديات البلدان التابعة هو دال علي أداء الاقتصاديات المتروبولية . والحقيقة أن مفهوم التبعية أعقد من ذلك التعريف بكثير، إذ يقتصر فهم التبعية على أنها تكيف سلبي ويتناقض ذلك بحدة مع الاعتراف الشكلي المتضمن في شرح التعريف بأن للتبعية دينامية داخلية، فضلاً علي أنه يجرد البلدان التابعة من أي قدرة على التغير . إن المدخل الصحيح لأى تعريف جامع مانع للتبعية لابد وأن يكمن في تجاوز النزعة الاقتصادية والميكانيكية في التعريف ، ما نجده أن في التعريف الذي أتى به جيمس كابوراسو" Caporaso " الذي يعرف التبعية على أنها نمط لعلاقات القوة "Power Relation" غير متجانسة التي تنهض

1 – السيد الحسيني، التنمية والتخلف ...... ، مرجع سابق، ص ١٤١.

2- Sunkel O., Big Busines and " Dependencia " , foreign affairs, Vol. ٥٠ , April 1972 , P. 519.

على درجة عالية من تعرض البلدان التابعة لانتقام وشراسة دول المركز.وأنه بهذا ينقل المفهوم إلى أدبيات القو ة والسلطة، أي إلى الوضع الذي بمقتضاه يتفاعل طرفان في أي موقف . لذا إننا نري أن التبعية طبقًا لهذا التعريف هي ناتج لتنظيم هيرراكي عالمي لتقسيم العمل والتبادل ، فيسمح لأحد الأطراف بالنمو الاقتصادي والاجتماعي، ويصيب الآخر بالسقوط والتضعضع [1] .

ويتضح من كل ما تقدم أن أدبيات التبعية أنها ركزت بشكل ملحوظ على السياق التاريخي للمجتمعات الوطنية، فعملية التنمية لم يعد ينظر إليها على أنها الانتقال بين مرحلتين، أو عملية تطورية من نموذج إلى آخر، أو الانتقال من التطور إلى التخلف، وأن الصعوبات والعقبات أمام التنمية تبتعد عن الداخل، أو نتيجة لعوامل الاندماج مع النظام الرأسمالي العالمي، والحق أن هناك من تعدي هذه الرؤى ليرى أن مشكلة التنمية ترتبط بالأحرى بقضايا الانفتاح والتكامل والتفكك . لقد ركز هذا النهج على مجموعة جديدة من المشاكل من بينها، المشاكل المرتبطة بالتبعية التكنولوجية، وأثر أنظمة المواصلات على البلدان التابعة وآثارالطبيعة المتغيرة للنظام الرأسمالي العالمي، وخاصة الشركات متعددة الجنسيات. انه حسب ذلك فإن النظام الرأسمالي بات نظاماً باطنياً من حيث النشأة كما كان يعتبرونه أصحاب النهج الكلاسيكي .

ويتصل بكل القضايا السابقة قضية جديدة يطرحها "تربورن " Therborn وهي التي ترتبط بالتصورات المتعلقة " بالهامش والمركز . انه يرى أنها تصورات فضفاضة مجازية، ولا تسمح لنا بفهم التفاعل الدينامي ما بين التشكيلية الاجتماعية والنظام العالمي، لذا فهو يرى أن مدرسة التبعية تبدو غير ملائمة، ويستند في ذلك إلى حقيقة أن وجود نظام رأسمالي عالمي يعني بالضرورة وجود علاقة تبعية متبادلة بين كافة أطرافه . وبالتالي فمن الأهمية بمكان أن نفهمها في ضوء نمط ولوج " Mode of insertion " في النظام العالمي . ذلك الذي يفرض علينا استحضار بعدين : الأول هو نمط الدخول، أما البعد الثاني فيتمثل في نمط التغلغل.

---

[1] - Caporaso J., Dependence, Dependency in Globa; system: A structural and Behavioural analysis " , International organization , Vol. 32, No. I, 1981 , P. 3, PP. 13 – 14.

راجع أيضاً :محمد السيد سعيد، **التبعية والشركات متعددة الجنسيات**، المنار العدد الثالث، السنة الأولى ،باريس، مارس ١٩٨٥ ، ص ١٠١.

وحيث أن البعد الأول "Mode of system Penetration " يتعلق بكيفية الدخول إلى النظام الرأسمالي، فإن البعد الثاني يرتبط بكيفية تأثير الدخول في هذا النظام على العلاقات الداخلية في التشكيلة الاجتماعية . ويضيف تربون أيضاً أن هناك بوابتين لدخول العالم الرأسمالي، الأولى تتمثل في عملية "الإخضاع" والأخرى تتمثل في "المشاركةDomination " ففي البوابة الأولى يتم سحب التشكيلة " "Participationالاجتماعية إلى العالم الرأسمالي من خلال الاستعمار وآلياته المختلفة، أما البوابة الثانية وهي المشاركة فتتم عن طريق التغلغل الذي يأخذ محورين، الأول هو "التكامل" والآخر هو "الاحتواء" . ففي ظل المحور الأول يعمل النظام الرأسمالي على السيطرة على كافة الجوانب الاجتماعية جاعلاً من العلاقات الاجتماعية فيها علاقات رأسمالية وسلعية . أما المحورالآخر وهو الاحتواء فيعمل على ربط التشكيلة الاجتماعية بالنظام العالمي بأردية براقة تسمح له باستغلاله واستنزافه [1].

وإذا كان مدرسة التبعية (باران، فرانك، سانتوس، كاردوسو، سنكل، سمير أمين، والرشتاين) تركز بالأساس على التمييز بين المركز والهامش، وأن وحدة التحليل الأساسية لديها هي الاقتصاد الرأسمالي العالمي، وتفسر الظواهر المختلفة في ضوء علاقتها بالنظام ككل أو بأحد

جزئياته، فإن هناك نقدًا آخراً يوجه لهذه المدرسة يتمثل في أنه جعل قضية العالم الثالث هي التبعية، وأنه لا يركز بالقدر الكافي على العملية التي بمقتضاها تتكون الطبقات والعلاقات الاجتماعية المرتبطة بالإنتاج في العالم الثالث، وكذلك عدم التركيز على العلاقة بين تكون الطبقات وسلطة الدولة والطبقة الحاكمة، تلك التي تجعلنا نغض الطرف عن فهم ديناميات التخلف والتبعية . وتذهب هذه الرؤية أيضاً إلى أن أحد العوامل الفاعلة التي من شأنها أن تحقق السيطرة على المجتمع الهامشي، هو وجود طبقة متعاونة مع النظام العالمي .فدمج أي تكوين اجتماعي داخل المنظومة الرأسمالية العالمية هو شرط تفاعل هذه الطبقات مع المركز . إذن

---

[1] – يوران تربورن، **سلطة الدولة : حول ديالكتيك الحكم الطبقي**، ترجمة عبد الله خالد، دار المروج، الطبعة الأولى ،بيروت، ١٩٨٥ ، ص ص .١٥ – ١٤.

القضية الأساسية هي العلاقة بين التطورات الاجتماعية والطبقية الداخلية، والمطالب والشروط التي يحددها النظام الرأسمالي العالمي[1] .

ويتفق جالتونج مع والرشتاين مع القضية السابقة فيرى أنه في ضوء سراب التصنيع يتم تحالف المركز والطبقات العليا في الهامش ، وأن الطبقات الحاكمة في المركز تؤثر في السياسات الداخلية في الهوامش من خلال آلياتها المتعددة والمتمثلة في الشركات متعددة القوميات والبنوك العالمية [٢]. وثمة فكرة أخرى تقترب من رؤية والرشتالين قدمها بتراس مفادها أنه ليس التبادل غير المتكافئ أو السيطرة العالمية هي القضية المحورية، ولكنها قضية الاستغلال التي ترتبط بطبيعة الطبقات الحاكمة .وترى هذه الفكرة أن عمليات الاستغلال في دول الهامش ترتكز على وجود طبقات وسيطة بين الرأسمالية الخارجية والقوي الإنتاجية الداخلية في المجتمع، تلك التي تكمن في جهاز الدولة التي تقوم بدعم مصالح البرجوازية المحلية[٣] .

خلاصة ما سبق يمكن القول إن التبعية أو العولمة الجزئية واقع مادي ملموس وحقيقة تاريخية واجتماعية واضحة . ولكن المدقق في هذه الأدبيات يلحظ تخلف الدراسات النظرية عن الواقع، كما يستطيع أن يقف على عدم وجود التحليلات المعمقة حول خصوصيات وعموميات واقع التبعية . ناهيك عن أن مصطلح التبعية في الأساس يدخل في أضمومه المصطلحات الاقتصادية ، وهو ما ينطلي بالطبع علي مصطلح النظام الرأسمالي العالمي، ودول المركز والأطراف، التي ترمز قيام هذه الدول بوظائف اقتصادية محددة في نظام تقسيم العمل.

وفي ضوء ذلك يرى جيمس بتراس " أن دراسات التبعية تركز بشكل أحادي على نمو قوى الإنتاج والعوامل التي تحد من هذا النمو . وأن ما تقدمه من تحليلات لا تسمح بأي دراسات معمقة لطبيعة الدولة والسياسة والعلاقات الطبقية التي تلازم وتؤثر على نشوء وتطور نمط الإنتاج الرأسمالي التابع[٤]. فهي تعطي التي

1- Wallerstein I., The Modern world system , Acadinlc Press, N. Y., 1974 , P.27.

2 - Galtung J., A structural theory of Imperialism Journal of Pease Research, Vol. 8, No.2, 1971, PP. 81 – 119.

3 - Petras J., Critical Prespectives Inperialism and Social calss in the third world, Monthly Review Press, N. Y., 1978 , PP. 24 – 28 .

4- Petras J., Critical Perspective on Imperialism and Social Class ., Op. CLt., P.40

تسمح باستمرار احتواء النظام الرأسمالي العالمي لدول الأطراف .أضف إلى ذلك أنها تفتقر إلى نظرية شاملة نطلق عليها نظرية التبعية"Dependency theory "

انه نتيجة لهذه المآخذ ذهبت مدرسة التبعية الجديدة على يد جيمس بتراس وكليف توماس إلى التركيز على التحولات داخل الدولة التابعة، وليست على التحولات داخل المركز الرأسمالي الدولي . وحقيقة الأمر أن هذه النظرة لمدرسة التبعية الجديدة تعد أقرب الرؤى لميدان العلاقات الدولية، تلك التي تتميز بتطورالقيود الداخلية في البلدان النامية، وما يعوق التطور في العلاقات لصالح المركز الرأسمالي .فضلاً عن عدم إغفالها للتركيب المجتمعي فيها.

وثمة لما سبق ، فإننا يمكن الدفع بأن الصورة التقليدية التي نهجها الاستعمار قد ولت وانتهت بانقضاء مرحلة مهمة من مراحل تطور الرأسمالية العالمية، وتبدلت بوجود صورة أخرى أكثر حداثة وملائمة لطبيعة الرأسمالية العالمية في مرحلتها الراهنة . فالاحتكارات العالمية والمندمجات الدولية والشركات متعددة الجنسيات، التي تسيطر على المواد الأولية المهمة التي تعد العمود الفقري لاقتصاديات بلدان العالم الثالث، واحتكار التجارة الدولية، وتحديد أسعار المواد الأولية ، والتحكم في الاقتصاد الوطني ونموه، كلها آليات استطاعت بها المنظومة العالمية أن تسيطر على الدول النامية. إن هذه الأدوات لم تعد قائمة بالصورة الكلاسيكية التي كان يستخدمها الاستعمار الاستيطاني، وإنما طور النظام الرأسمالي العالمي هذه الآليات وأضاف إليها جديداً، استطاع من خلالها أن يتدخل بشكل سافر في الشئون الداخلية للشعوب، ناهيك عن كبح تطورها وتقرير مصيرها[1] .إن وقف وإبطاء البلدان المتخلفة لم يكن في ظل سيادة الاستعمار فحسب، بل امتدت هذه الظروف ذاتها في ظل سيادة أنماط التبعية الجديدة، خاصة في ظل إن التدويل السريع أو ما يسمي بالعولمة الصغري التي ساهمت في تكييف الاقتصاديات المتخلفة في إطار عمليات المتاجرة غير المتكافئة في السوق الرأسمالية العالمية.

ثالثًا :بدايات العولمة الكبري وتأثيرها علي بني الدول الوطنية :

---

[1] نجاح واكيم، **العالم الثالث والثورة**، مرجع سابق، ص ١٠٩ ، وحول هذه الفكرة يمكن مراجعة : مجموعة الاقتصاديين والمؤرخين السوفيت، الاقتصاد السياسي للاحتكارية المعاصرة.

بادئ ذي بدء يمكن الإقرار بأنه غداة نوال بلدان العالم الثالث لاستقلالها السياسي، والسعي إلى تدعيمه من خلال إنجاز عمليات التنمية، واجهت الاستثمارات الأجنبية رياح الثورات الوطنية، التي راحت تسيطر عليها إما بتأميمها أو بالمشاركة في ملكيتها .لقد سعت الدول الوطنية في بلدان العالم الثالث إلى وضع القيود والضوابط التي تحد من نزيف ضخ الفوائض الاقتصادية، تلك التي كانت سببًا واضحًا في تخلفها . لقد آمن جمع من قادة الدول النامية خاصة بعد مرحلة الستينات من هذا القرن، بأن الاستثمارات الأجنبية تلعب دوراً محورياً في تقييد حركة النم، ومن ثم في إفشال عمليات التنمية الداخلية، لذا نجدهم وقفوا موقفاً معانداً منها. لقد أوضحت حركات التحرر الوطني موقفها الرافض للاستثمارات الأجنبية الداخلية، ذلك الموقف الذي برز بجلاء غداة انحسار الاستعمار التقليدي .

لقد أدارت الدولة النامية معركة شرسة أمام الاستثمارات الأجنبية الداخلية . ولكن في في إطار العداء لهذا النوع من الاستثمارات، لم يجد قادة العالم الثالث بداً من الاعتماد على الاستثمارات الأجنبية الخارجية، ومن ثم لمواجهة احتياجات الخارجية، وذلك لمواجهة احتياجات التنمية . فمنهم من عمل على تمويل مشروعاته من خلال القروض الخارجية الخاصة، ومنهم من اعتمد علي الهيئات الدولية . وإزاء ذلك فقد تغاضوا – داخلياً - عن تعبئة الفوائض الاقتصادية، والاهتمام بتدبير الموارد المالية اللازمة لإنجاز طموحاتهم التنموية. إن الإفراط في الاعتماد على التمويل الخارجي، مع غض الطرف عن تعبئة الموارد والفوائض المحلية، وضع بلدان العالم الثالث في مأزق الاستدانة الخارجية، تلك التي جرت مجموعة من العواقب الوخيمة التي يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً :تعمل الديون الخارجية على استنزاف الفوائض النقدية للدول المستقبلة لها، نتيجة تسديد أعباء هذه الديون.

ثانياً :تؤثر الزيادة في أعباء الديون تأثيرًا واضحًا على تنفيذ برامج الاستثمار والإنتاج والتوظيف.

ثالثاً :يؤدي التضخم في أعباء الديون الخارجية إلى الحد من قدرة الدول النامية على عمليات الاستيراد .إن إضعاف قدرة بلدان العالم الثالث على الاستيراد

قد ولد آثاراً انكماشية وضغوطاً داخلية، ناهيك عن إضعاف القدرة على تراكم رؤوس الأموال وتعبئة المدخرات المحلية.

رابعاً : تلعب الديون الخارجية دوراً مهما في الحد من تقديم الخدمات الاجتماعية في الداخل، وارتفاع مستويات الأسعار، وشدة الفرز الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية .إن التزايد في أعباء خدمة الديون، وتعثر طرق السداد، والتزايد في عملية الافتراض، جعل الثقة في عملية إقراض هذه الدول تهتز بين الدائنين . الأمر الذي جعلهم يضعون شروطاً متشددة سواء من حيث السعر، أو فترات السماح، أو مدة الاقتراض، وحتى الفوائد المدفوعة.

إن تفاقم وتزايد شروط الديون، أدى بالدول النامية إلى قبول شروط الهيئات الدولية . والدائنين، تلك التي تتعلق بإجراءات وسياسات محددة في النهج الاقتصادي الداخلي لهذه البلدان . إن هذه الشروط يمكن إجمالها في : الاتجاه نحو الاقتصاد الحر، وإطلاق نمو وحدود القطاع الخاص، وإنهاء وجود القطاع العام . والتخلص من التخطيط القومي الشامل، وإطلاق قوى السوق في توزيع وتخصيص الموارد، والتخفيف من التشريعات المالية والاجتماعية التي تحد من حرية عمل قوى السوق، وتقليل القيود على عمليات النقد الأجنبي وتصدير الأرباح إلى الخارج، وإعطاء المزيد من الإعفاءات الضريبية، وحماية المشروعات الأجنبية من التأميم أو المصادرة، ورفع يد الدولة عن التدخل سواء في المشروعات أو حتى في عمليات التوظيف أو التعيين. إن خضوع وإذعان الدول النامية لشروط عمليات الديون و الاقتراض من المؤسسات الدولية ذات الطابع المالي، أضاف أعباء إضافية إلى خدمة الديون الخارجية[1] .

إنه وفقاً لما سبق، فقد تحولت المديونية الخارجية للدول النامية إلى ظاهرة عالمية . فبعد أن كانت رءوس الأموال منذ نهاية القرن الماضي ظاهرة متصلة بالاستيلاء على الأسواق الخارجية، أضحت في نهاية السبعينات ظاهرة متصلة بالإنتاج، وشراء الأصول في القطاع العام الأمر الذي حولها من ظاهرة عالمية إلى

[1] - رمزي زكي، **دراسات في أزمة مصر الاقتصادية مع استراتيجية مقترحة للاقتصاد المصري في المرحلة القادمة**، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ،القاهرة، ١٩٨٣ ، ص ص ١٢٣-١٢٤.

أزمة تديرها المنظومة الرأسمالية من أجل التمويل العكسي للموارد والتدخل في شئون البلدان النامية.

أما فيما يتصل بالإجابة عن الشق الآخر من التساؤل السابق، فنجده يتمثل في قدرة النظام الرأسمالي العالمي على تصدير أزماته الداخلية إلى الخارج، فضلاً عن قدرته أيضاً على تدوير الرأسمال العالمي لتعبئة الفائض الاقتصادي للبلدان النامية وتحويله إلى الخارج[1]. إنه نتيجة لظروف بلدان العالم الثالث فقد خضعت بنياتها لمنظومة الرأسمالية العالمية التي فرضت شروطها في الثمانينيات عبر ما يسمى ببرامج التصحيح أو التكييف التي فرضها صندوق النقد "Adjustment" (*) الهيكلي الدولي والبنك الدولي للتعمير والإنشاء اللذان فرضاً جبالاً شاهقة من الديون التي تستنزف موارد واقتصاد هذه البلدان. إن الليبرالية الجديدة التي صاغها الدائنون ومعظم المنظمات الدولية، أجبرت بلدان العالم الثالث على الخضوع لقواعد برامج التكييف والتصحيح والانفتاح والتوجه إلى الخارج . إنه في ظل هذه البرامج فقد توارت مصطلحات التنمية والتحرر الاقتصادي والتقدم الاجتماعي والعدالة الاجتماعية . إن الانصياع لشروط قوى السوق والاندماج في السوق العالمي، ساهم في إضعاف بلدان العالم الثالث، والموافقة على كل المتطلبات المفروضة عليها، الأمر الذي أدى أيضاً إلى تهميش بعض الفئات الاجتماعية، وخلق جيوش جرارة من البطالة، وأطاحت بعيدًا بشروط العدالة الاجتماعية[2] .

إنه وفقًا للشعارات التي تطرحها سياسات الليبرالية الجديدة، أو للخطاب الأيديولوجي للمشروع الأممي الليبرالي، استطاعت المنظومة الرأسمالية أن تتدخل في كثير من الشئون الداخلية لبلدان العالم الثالث، ومن ثم أصبحت الأخير لقمة سائغة أمام المتروبولات الرأسمالية التي عملت على تكييف وتطويع، بل وإخضاع هذه البلدان لسيطرتها .إن الموقف الضعيف وغير المتكافئ في قسمة العمل الدولية،

---

[1]- فؤاد مرسي، الرأسمالية تجدد نفسها، مرجع سابق، ص ص ٢٩٤ ٢٩٥ . ولنفس المؤلف راجع : في مواجهة الشركات متعددة الجنسيات، اليقظة العربية (مجلة) العدد الثالث، السنة الأولى، مايو ١٩٨٥ ، ص ص ٢٢-٢٤ .

(*) يعتبر مصطلح التكييف الهيكلي من المصطلحات التي راجت أخيراً في أدبيات المنظمات المالية الدولية و الواقع أنها ليست ظاهرة جديدة، فهي تعود إلى بدايات القرن التاسع عشر.

[2]- رمزي زكي، **الليبرالية المستبدة** :دراسة في الآثار الاجتماعية والسياسية لبرامج التكييف في الدولة النامية، سينا للنشر، الطبعة الأولى ،القاهرة، ١٩٩٣ ، ص ص١٤-١٦.

الذي ولدته جبال الديون الشاهقة، ساهم بشكل فعال في انخفاض مستوى المعيشة للفئات الدنيا، ومن ثم ساهم في صياغة خريطة طبقية جديد، ناهيك عن تغير طبيعة ودور الدولة ووظائفها وتحالفاتها الاجتماعية.

رابعًا :تأثير برامج العولمة علي البناء الاجتماعي:

نظرا لما تحتله الدولة في العالم الثالث من مكانة متعاظمة، فينبغي الا يفوتنا أن نشير إلى أن تأثير هذه البرامج على الدولة وطبيعة تحالفاتها قبل أن نتعرض لقضيتنا الأساسية هنا .ومنذ البداية نسلم بأنه نتيجة ما تخلفه برامج العولمة (سياسات التثبيت والتكيف الهيكلي) من تحولات في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسية، فإن المؤسسات المالية الدولية تشترط دائماً توافر الإرادة السياسية القادرة على إنجاز هذه التحولات . ولكن ينبغي الا يغيب عن أذهاننا، أنه على الرغم من أن الدولة في العالم الثالث تبدو قوية في الداخل، إلا أنها في الوقت عينه هي هشة وضعيفة أمام إرادة الدائنين .إنه نتيجة لذلك فقد تم تجريد الدولة عن استقلالها النسبي الذي سعت إلى تحقيقه غداة نوالها استقلالها الوطني. لقد تم استبعاد الدولة عن التدخل في النشاط الاقتصادية نتيجة الاعتماد على آليات السوق والتجارة الحرة، كما أنها في الوقت ذاته أجبرت على التخلي عن كثير من توجهاتها وأهدافها الاجتماعية. إنه بذلك تكون الدولة قد فقدت أهم وظيفة لها، الا وهي الاستيلاء على الفائض الاجتماعي الذي كانت تستفيد منه في دعم استقلالها النسبي وإجراء التوازنات الاجتماعية.

لقد تحولت هذه الفوائض إلى القطاع الخاص الذي أضحى يعيش في بحبوحة واضحة، سواء فيما أتيح له من نشاط، أو في حجم الإعفاءات الضريبية التي منح إياها .إن التزام الدولة في العالم الثالث بإجراءات التثبيت والتكيف الهيكلي انطوي على نوع من عدم العدالة الاجتماعية، وتزايد من حجم البطالة، وارتفاع أسعار الخدمات الاجتماعية والاقتصادية، وغير من قوانين الإصلاح الزراعي، وتزايد أسعار الفوائد، وتخفيض قيمة العملة، وتحديد العلاقة بين المالك والمستأجر، والعودة لقوانين السوق[1].

---

1 – رمزي زكي، الليبرالية المستبدة ... مرجع سابق، ص ص ٩٠- ٩٤.

إن الدولة إزاء تطبيقها لبرامج العولمة(سياسات التثبيت والتكيف الهيكلي)الناتج عن جبال الديون الشاهقة، قد غير من طبيعة الدولة وتحالفاتها الاجتماعية، لذا نرى أنها يطلي عليها وصف الدولة التابعة، التي تستند في تحالفاتها مع الشرائح الغنية من التجار والكومبرادور، ناهيك عن غلبة الطابع الإذعاني لمطالب برجوازية المركز العالمي[1]. وإذا كنا قد أوضحنا توا ما لحق بالدولة في العالم الثالث نتيجة خضوعها لتطبيق برامج التثبيت والتكيف الهيكلي، أو ما تسمي بالليبرالية الجديدة، فإنه مما لا شك فيه، أن البناء ، Privatization الخصخصة الاجتماعي لهذه الدول قد انتابه مجموعة من التحولات . إنه نتيجة لإضعاف دور الدولة، فقد تأثرت عملية توزيع الدخل والثروة، ومصالح الطبقات والشرائح الاجتماعية المكونة لها. لقد طرأ تغير واضح في مستويات المعيشة نتيجة تطبيق سياسات الخصخصة . ففي الوقت الذي حابت هذه السياسات المستويات العليا، فإنها في المقابل أثرت سلبياً على دخول ومستويات معيشة الطبقات الوسطى والدنيا .وحرى بنا أن نشير إلى أنه على الرغم من أن تأثير سياسات الخصخصة يظهر بوضوح وفق الإحداث الأفقي (أي الطبقات المتباينة والرئيسية في المجتمع)، فإنه أيضًا كان تأثيرها أكثر وضوحًا وفق الإحداث الرأسي (أي على حساب الشرائح المتعددة في داخل صفوف الطبقة الواحدة).

فبالنسبة إلى الطبقات العليا في هذه البلدان نجد أن البرجوازية الصناعية المحلية قد تأثرت أوضاعها نتيجة تحملها أعباء إضافية، لذا نجدها قد أغلقت مصانعها وذهبت بأموالها إلى ميادين أخرى تدر أرباحًا أكثر،إلا وهي تجارة الاستيراد .لقد تحولت الشريحة البرجوازية التي تعمل في إطار الصناعة المحلية إلى برجوازية تجارية ذات علاقة قوية بالوكالات والشركات الدولية متعددة القومية . وإذا كانت الشريحة التجارية من الطبقة العليا قد غنمت من التصاقها بالوكالات والشركات متعددة الجنسيات، وإلغاء الرقابة على الأسعار وتحرير التجارة، فإنها في المقابل قد أضيرت أيضًا في ظل زيادة أسعار الطاقة والنقل والاتصالات وزيادة أسعار الفوائد التي يقترضون بها، فضلاً عن زيادة الضرائب .إن ارتفاع التكاليف

---

[1]- حول توصيف الدولة التابعة وأدوارها راجع:

أحمد ثابت، **الدولة والنظام العالمي** : مؤثرات التبعية ومصر، مركزالبحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة ١٩٩٢ ، ص ص ٧٩-٧٥ .

نتيجة ما ذكرناه أثرت بشكل بالغ علي عمليات الطلب، الأمر الذي دعي هذه الفئة إما إلى تصفية أعمالهم، أو توفير العمالة التي تعمل لديهم، وكذا تخفيض أجورهم، والتوسع في البيع وفق نظام الأقساط. وما ينطبق على هؤلاء ينطبق أيضاً علي الفئة التي تعمل بالاستيراد والتصدير، لأنه نتيجة للتضخم في أعداد الممثلين التجاريين للمصالح والشركات الأجنبية، وتقليل قيمة العملة، ومن ثم ارتفاع تكلفة السلع المستوردة، فقد تركت هذه الفئة هذا المجال، وراحت تعمل في السوق السوداء والمضاربة وأعمال السمسرة، والنقد وتهريب الثروة إلى الخارج.

وبالنظر إلى أوضاع الفئة التي تعمل بمجال العقارات من الطبقة العليا، نجد أنها الفئة الوحيدة التي استفادت من السياسة الليبرالية الجديدة، فبيد أنها قد أضيرت نتيجة تطبيق السياسات الوطنية غداة الحصول على الاستقلال السياسي، فنجد أنها في ضوء إعادة النظر في قوانين الإصلاح الزراعي والسماح بالملكيات الكبيرة، ورد الأراضي إلى مالكيها القدامى ، وتعديل العلاقة الإيجارية بين المالك والمستأجر، وترك هذه العلاقة لآلية العرض والطلب، قد استفادت استفادة كبيرة، لذا نجد أن حجم الريع الزراعي لديها قد أصابه الانتفاخ، الأمر الذي جعلها تذهب إلى شراء قطع الأراضي الكبيرة، ناهيك عن المتاجرة في عمليات الأراضي والبناء خاصة بعد أن رفعت الدولة يدها عن ذلك[1].

وإذا كنا قد أوضحنا تأثير هذه السياسات على الطبقات العليا والدنيا في الحضر، فإنه بالنظر إلى التأثيرات التي طرأت على الطبقة البينية، أعني الطبقة الوسطى ، فنجد أن نظرا لتميزها بعدم التجانس، فإننا نجد أن التأثير كان متفاوتاً بين شرائحها .فعلى سبيل المثال نجد أن الشريحة العليا منها لن يطرأ عليها أي تغير إذ بقيت أحوالها كما هي . وبيد أن هذه الشريحة قد تأثرت من جراء السياسات نتيجة إلغاء الدعم وزيادة الأسعار وارتفاع الضرائب أسعار الخدمات التي يقدمونها، عوضت لديهم ما طرأ على أوضاعهم من تغير . أما الشريحة الوسطى من الطبقة الوسطى ، فنجد أن أوضاعهم قد ساءت اجتماعيًا واقتصاديًا، وذلك نتيجة إلغاء المالي عن السلع والمواد الغذائية الضرورية، وارتفاع أسعار منتجات القطاع العام

---

١) رمزي زكي، الليبرالية المستبدة...... ، مرجع سابق، ص٩٩ .

والطاقة والانتقال والخدمات، وكذا تدهور المرتبات والأجور الحقيقة. أما بالنسبة للشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى ، فنجد أن ما أصاب الشريحة السابقة قد أصابها، بل لأن قدرتها على مواجهة التدهور في مستوى المعيشة محدود للغاية، فنجد أنها انجذبت إلى مصاف الطبقة الدنيا، أو بمعنى آخر، أن جزءا كبيرا منهم وقع تحت خط الفقر المطلق[1].

وبالنظر إلى الطبقات الاجتماعية في الريف المصري، نجد أن فقراء الفلاحين الذين يشكلون الكتلة الرئيسية من سكان الريف هم أكثر القوى الاجتماعية تأثرا بالسلب من سياسات الليبرالية الجديدة، فباعتبار أنهم يتبعون قوة عملهم ولا يملكون أو يحوزون أرضًا، فإنهم قد تأثروا بارتفاع أسعار الطعام وإلغاء الدعم والتسعير الحكومي للسلع الاستهلاكية، أضف إلى ما سبق تقليص الإنفاق الحكومي الموجة للخدمات الاجتماعية مثل التعليم والصحة ومشروعات تنمية الريف، ولا يفوتنا أن نشير أيضاً في هذا الصدد إلى أن سياسات الخصخصة أو صدرت كل أبواب الرزق الجانبية أمام هؤلاء الفقراء، الأمر الذي حولهم إلى كتلة من المعدمين الذين يعيشون تحت خط الفقر المطلق.

وبالنسبة لصغار ملاك الأرض، أي الذين يملكون أو يستأجرون قطعًا صغيرة من الأراضي الزراعية، والذين في الوقت نفسه، يعملون في أراضي الغير مقابل أجر، فإنهم لاعتمادهم على الدولة في عمليات الاقتراض والمدخلات الوسيطة، وسياسات التسعير الحكومي، إنه نتيجة لرفع يد الدولة عن كل ذلك، فقد ترك ملاك الأرض الصغار لآلية العرض والطلب، ومن ثم للتضخم في الأسعار، وإلغاء القروض الميسرة، والدعم الحكومي للمدخلات الزراعية ، واحتكار عملية استيراد المستلزمات الزراعية . إن ذلك ساهم في ارتفاع تكاليف الإنتاج . وبالتالي أدى إلى تدهور الدخول الصافية .إن كل ما سبق دفع بهذه الفئة إلى مصفوفة الفقراء نتيجة تركهم لأراضيهم وانضمامهم إلى العمال الزراعيين المعدمين.

وبالنسبة لشريحة متوسطي الملاك، فإن ما ينسحب على الفئة السابقة ينسحب عليهم أيضاً .إنه نتيجة لتعديل إيجار الأراضي والاعتماد على زراعة المحاصيل

---

[1]- رمزي زكي ، الليبرالية...... ، المرجع السابق، ص ١١٨ .

النقدية، فقد اضطر هؤلاء إلى بيع حيازاتهم الصغيرة، خاصة بعد ارتفاع أسعار الأراضي والتحول إلى أنشطة أخرى، أو رهن أراضيهم نتيجة عدم مقدرتهم على سداد ديونهم. أما بالنسبة لأغنياء الفلاحين، فنجد أنهم على عكس الفئات السابقة، إذ تعتبر الفئة الوحيدة في الريف التي استفادت من سياسات الليبرالية الجديدة .إنه نتيجة لتعديل العلاقة الإيجارية وتركز الملكية، وخلق سوق للأراضي بعد تركها لآليات السوق، اتسع نشاط الرأسمالية الريفية التي راحت تركز الملكيات الكبيرة في يدها، كما ازدادت استثماراتها في الزراعة والخدمات المكملة لها .إن هذه الفئة عبر سياسات برامج التكيف تعتبر الطبقة الوحيدة في الريف التي دخلت في تحالفاتها مع سلطة الدولة التابعة.

وإذا كنا قد عرجنا على مجمل الخريطة الطبقية سواء في الريف أو الحضر، فإنه يتبقى لدينا الآن، أن نقف على تأثيرات سياسات الليبرالية الجديدة على فئات المهمشين أو ما يطلق عليهم بالعمالة المهمشة، أو القطاع غير الرسمي. لقد تأثرت هذه الفئة بإجراءات برامج التثبيت والتكيف الهيكلي نتيجة ارتفاع أسعار الطعام خاصة بعد إلغاء الدعم، وزيادة أسعار المنتجات التي يبيعها القطاع العام، فضلا عن تخفيض الإنفاقات الحكومية التي كانت توجه إلى الخدمات الاجتماعية الضرورية في مجالات التعليم والصحة والمرافق والإسكان والزيادة في أسعار الكهرباء والغاز والبنزين والمواد الخام، وأسعار النقل وضرائب. إنهم إزاء كل هذه السياسات، فقد عجز هذا القطاع من السكان عن تأمين احتياجاتهم الضرورية، الأمر الذي جعل قسطاً كبيراً منهم يميلون إلى ممارسة العنف والجريمة . كما أن بعض الحالات منهم من ذوي الأصول الريفية اضطروا إلى العودة إلى قراهم مرة أخرى، مما يعني زيادة تضخم الجيش الاحتياطي للبطالة في الريف . إنهم بجانب الفقراء سواء في القرية أو المدينة يعدون من أكثر الشرائح الاجتماعية التي تأثرت بسياسات الليبرالية الجديدة، أو ما يطلق عليه بأدبيات المؤسسات المالية الدولية، ببرامج التثبيت والتكيف الهيكلي[1].

جماع ما سبق، أن التأثيرات التي أنتجتها برامج التثبيت والتكيف الهيكلي التي أفردنا لها في الصفحات السابقة "جد واضحة " ولكن ما يهم أن تشدد عليه في نهاية

[1]- رمزي زكي، مشكلة التضخم في مصر : أسبابها ونتائجها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى ،القاهرة، ١٩٨٠ ، ص ص ٥٨٢ – ٥٨٣. وحول نفس القضية راجع لنفس المؤلف، الليبرالية المستبدة، المرجع السابق، ص ١٤٦ .

هذا الفصل، هو أن هذه التأثيرات تتباين من طبقة إلى أخرى، بل ومن شريحة إلى أخرى .إن هذه التأثيرات يتحكم فيها وزن كل طبقة اقتصادياً واجتماعياً، بل قل وزن كل شريحة أيضاً. إن التأثيرات المختلفة التي أحدثتها السياسية الليبرالية الجديدة ساهمت في إحداث فرز اجتماعي بين الطبقات الاجتماعية، ففي حين ساهمت في تقوية فئات اجتماعية معينة، فإنها أعادت إضعاف أخرى.والواقع أن ما تحدثنا عنه من تأثيرات لبرامج وسياسات العولمة لم تقف عند هذا الحد ، بل طالت ثنايا وتعريجات المجتمع ، وهو ما ستكشف عنه الدراسات الميدانية التي سوف عرض لأهم نتائجها في فصول الكتاب الراهن .

الفصـــل الثانـــي

العولمـــــة الكبــــري:

من أفــول الدولـــة إلى التـــدويل

مقدمة:

تواجه الدولة في العالم الثالث مجموعة من الاختلالات الهيكلية، تلك التي برزت بشكل لا تخطئه العين في نقصان و تأثر النمو الاقتصادي، ومن ثم اختلال موازينها اقصد ميزان المدفوعات والميزان التجاري وميزانياتها العامة .أن التدهور العام الذي لحق ببنيات العالم الثالث يعود بالأساس إلى مجموعة من الأ شياء التي يمكن إجمالها في: جبال الديون الشاهقة التي جعلت الدولة لم تستطع الوفاء بالتزاماتها خاصة في عقد الثمانينيات، ومفاهيم دورها الأبوي "البطريركى"في كل المجالات، خاصة على صعيد سياسات الدعم، والتوسع في قيام القطاع العام، ذلك الذي آثر بصورة واضحة على تدني نسب الإنتاج عن الاستهلاك وانخفاض الادخار عن الاستثمار، وبعد القطاع الخاص عن الولوج في مشروعات التنمية نتيجة لانخفاض العوائد المالية.

إن التشخيص السابق للتكوينات الاجتماعية والاقتصادية في العالم الثالث، هو ما دفع قادة هذه البلدان أن تخضع طواعية لمشورات ونصائح ووصفات المركز العالمي، بضرورة كف الدولة عن الاضطلاع بالمهام التي كانت تقوم بها وفق توجهاتها الشعبوية . لقد توجهت هذه البلدان بطيب خاطر إلى انتهاج سياسات الخصخصة، أي تحويل القطاع العام إلى قطاع خاص . ولكن ماهية هذا التحول، و مبرراته،والدوافع الأيديولوجية التي جرت هذه التكوينات إلى الانصياع صاغرة لمثل هذه السياسة .أن الإجابة على هذا التساؤل المركب الذي دفعنا به "توا"، سوف نحاول استبانته في الصفحات التالية.

أولاً :إرهاصات تحول دور الدولة :

يعتبر مشوار تطور الرأسمالية مشوار ليس قصيراً فلا يحتسب تراث الرأسمالية إلى وقت الثورة الصناعية وحسب، بل يمتد إلى أبعد من ذلك بكثير، خاصة في الفترة التي أعقبت انهيار النظام الإقطاعي، وبزوغ وتبلور الطبقة وتبلور الطبقة البرجوازية من رحم ذلك النظام، وقيامها بالنشاط التجاري وقتذاك .أو بتعبير آخر، أن الرأسمالية بحسبانها مغامرة قديمة وذات تراث عريض، فهي لا تعود إلى وقت الصناعة فحسب، و إنما تضرب بجذورها وقت تعاظم المناشط التجارية . وإذا كانت هذه الفترة بحق فترة مخاضها، فإن شهادة ميلادها قد كتبت في السنوات

الأولى من القرن التاسع عشر. وبيد أن كل الكتابات تجمع على ذلك، غير أن هناك نفرا قليلاً يجمع على أن الرأسمالية التي ظهرت وقتذاك كانت – وما تزال – تجمع في أضمومتها أشكالاً كلاسيكية تمثلت في الرأسمال الزراعي والصناعي والتجاري. وعلى الرغم من أن الاشكال الرأسمالية سالفة الذكر التي سادت في القرن التاسع عشر قد ارتبطت بالاستعمار الذي بسط نفوذه وهيمنته على معظم الأصقاع، إلا أن القرن العشرين قد عرف نمطاً جديداً من الرأسمالية تلك التي عرفت بالرأسمالية المالية، فإذا كانت الرأسمالية هي الأب، والرأسمالية التجارية هي الابن، فإن الرأسمالية المالية هي الروح القدس الذي تغلغل و تفشي في كل شي ء.

وحري بنا أن نؤكد هنا، أن النوع الأخير من الرأسمالية لا يعد نمطاً حديثاً تماما، إذ يعود ولادته إلى ما قبل عام ١٩٠٠ ، ولعل الدليل الدامغ على ذلك، ما حدث في جنوة و أمستردام حينما سمحت الفرصة لنمو الرأسمالية التجارية، ومراكمة رأس المال الذي هيمن على كل الأعمال. إن ما نود أن نشدد عليه في هذا الإطار أن الرأسمالية المالية جاءت على آثر نشاط تجاري محلي صاعد، جاء على نفس المنوال الذي جاءت فيه فيما بعد الفابريكات الصناعية الأولى[١].

ومن الأهمية بمكان أن نوضح – في هذا المقام – أنه من الخطأ أن نتصورأن الرأسمالية عبر تطورها التاريخي كانت حلقات متصلة، أو قفزات متعاقبة أو أنه من الصعوبة بمكان أن نتحدث عن النوع الأخير – أقصد الرأسمالية المالية –دون التعرض إلى النوعين السابقين، اللذان نطلق عليهما بمرحلة ما قبل الرأسمالية. و إذا كانت الرأسمالية خلال تاريخها قد حاولت أن تغير من جلدها وفقاً لمقتضيات كل عصر، إلا أن جوهرها ظل هو هو . فالرأسمالية التي تدشنت من خلال آليات التغير والثورة، كان لها قدرة على التكيف مع إمكانيات وظروف كل عصر. انه بفضل الثورة العلمية التكنولوجية استطاعت أن تتكيف مع الترتيبات الجديدة التي خبرها العالم المعاصر فإذا كانت الرأسمالية بصورتها التقليدية قد تقلصت ديموجرافيا في القرن الحالي، فإنها أثبتت نجاعة فائقة في الاستمرار والوجود، أكثر مما قدر لها خصومها .لقد أثبتت الرأسمالية أنها قادرة على التغلب على الأزمات والتناقضات

---

[١]- فرنان برودل : الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية (الجزء الثالث) ترجمة مصطفى ماهر، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ص ٧٤٦- ٧٥٤.

التي شهدتها، وحسمت صراعها مع الاشتراكية، إلى الحد الذي يجعلنا نذهب مع من ذهب إلى انها تمثل نهاية التاريخ[1].

وعطفا على ذلك، فانه يمكن القول أن رأسمالية ما بعد الصناعة، أي رأسمالية الثورة العلمية والتكنولوجية، قد أزاحت عن كاهلها التناقض الجوهري بين قوي الإنتاج المتطور وعلاقات الإنتاج بطيئة التغير، لذا باتت أكثر قدرة على البقاء . أن تعديل العلاقات الاجتماعية جعل الطريق معبدا أمام النمو المضطرد والتقدم للقوي المنتجة . وجدير بالإبراز، انه إذا كانت الرأسمالية قد حلت لنفسها إشكالية النمو والبقاء بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية، فإن تدويلها لرأس المال عبر القوميات جعل منها قوة مسيطرة على الأسواق الخارجية[2] .

إن العاملين السابقين،أقصد الثورة العلمية والتكنولوجية وتدويل رأس المال، عملاً معاً من أجل بقاء الرأسمالية وسيادتها، وذلك هو ما يطلق عليه " برد الفعل المتكيف "وفي هذا صدد ينبغي أن نشير إلى أن رد الفعل المكيف هذا، جاء نتيجة كوكبة من العوامل، تلك التي تتمثل في:

أولاً: بزوغ قوى مناوئه لها خاصة بعد تدشين الاشتراكية في روسيا القيصرية، والقطيعة بين الأخيرة والسوق الرأسمالية غداة الحرب العالمية الأولى ، ومن ثم انسحاب الكتلة الشرقية من فلك هذه السوق بعد الحرب العالمية الثانية.

ثانياً: انحسار الاستعمار التقليدي في المستعمرات، وتنامي حركات التحـــرر الوطني، وحصول كثير من المستعمرات على استقلالها، الأمر الذي افقــد الـــدول " الأم "لكثير من الإمدادات التي كانت تضخها المستعمرات إليها، وكذا الأسواق.

ثالثاً :بزوغ الطبقة العاملة ككتلة منظمه وواعية وقوية على الصعيد العالمي أو قل تحولها من طبقة في ذاتها إلى طبقة لذاتها.

وإذا كانت العوامل السابقة مجتمعة تمثل البعد الخارجي الذي أعطى للرأسمالية قدره على البقاء والتكيف، فان ثمة بعدا داخلياً ساهم هو الآ خر في ذلك .

---

[1]– حول مقولة أن الرأسمالية هي نهاية التاريخ أو الجنة الموعودة أو ارض الميعاد راجع : فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، الأهرام، القاهرة، ١٩٩٣ ، ص ١١ .

2- جودة عبد الخالق، هل تجدد الرأسمالية نفسها، في : جوده عبد الخالق " محررا " تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية في مصر والوطن العربي، مركز البحوث،الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٤ ، ص ص ٣٧–٣٨.

أن ذلك العامل يتمثل في التدخل الواعي من جانب الدولة . فمن الناحية الواقية و التاريخية، نجد أن مرحلة الرأسمالية (الميركانتيلية) التجارية كانت قد شهدت انتشاراً ونمواً لرأس المال التجاري الذي بسط نفوذه على المستعمرات في القرن السادس عشر بفضل تدخل وتشجيع الدولة. ثم في فترة الثروة الصناعية ونمو الرأسمالية في القرن التاسع عشر تلك التي عرفت باسم (الكولونيالية) الاستعمارية.

ان دور الدولة واضح كل الوضوح في نمو وازدهار النظام الرأسمالي، ولكنه في الوقت عينه لم يقف عند هذا الحد، بل نجده يتضح بشكل جلي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى أوائل عقد السبعينيات من القرن الحالي، تلك الفترة التي اعترفت بازدهار أو تعاظم نجم الدولة. لقد امتدت يد الدولة إلى كل شيء،من تقديم الخدمات الاجتماعية(مثل التعليم والإسكان والصحة والمرافق) إلى دعم المواد التموينية والزراعية و الإنفاق على قضايا الضمان الاجتماعي (مثل التأمين الصحي والبطالة والشيخوخة ... الخ)، ناهيك عن تملكها لبعض المشروعات الأساسية (مثل النقل و الطاقة)والتعدين وبعض الصناعات[1].

وأحرى بي أن أسجل هنا، أن التدخل الكبير للدولة على النحو الذي أوردناه " توا "قد جاء من خلال استغلال الحكومات الرأسمالية للفلسفة الكينزية – نسبة إلى كينز وذلك إبان ما يسمى بمرحلة رأسمالية الدولة الاحتكارية التي فيها تمفصل بشكل وشيج رأس المال الخاص مع الدولة . أن تدخل الدولة في مناحي الحياة المختلفة عرف بما يسمى بالنظام الاجتماعي للسوق أو ما يطلق عليه بدولة الرفاهية، تلك التي راج شأنها غداة الحرب العالمية الثانية والتي جلبت مكاسب عديدة للشرائح الاجتماعية الفقيرة والمحدودة الدخل ، والتي كان يصعب وجودها دون وجود للدولة[2].

ويبد أن الدولة الرأسمالية المتقدمة – خاصة في مرحلة ما بعد الرأسمالية الاحتكارية – قد عرفت تدخلاً واضحاً في شتي أمور الحياة، فأن العالم الثالث يشترك في ذلك أيضا .فبعد حصول مجموعة البلدان التي خضعت للاستعمار

[1] - رمزي زكي ، الصراع الفكري والاجتماعي حول عجز الموازنة العامة في العالم الثالث، سينا للنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة، ١٩٩٢ ، ص ١٩.

[2] – فرنان بروديل ، الحضارة المادية ...... مرجع سابق ، ص ٧٧٣ -٧٧٤ .وأيضا يمكن مراجعة المصدر السابق ص ٢٠.

التقليدي على استقلالها السياسي، أقحمت الدولة ذاتها لإنهاء الاختلالات الهيكلية التي لحقت بأنماطها الإنتاجية الذي فرضه قسمة العمل الدولية، ناهيك عن الارتقاء بالمستويات المعيشية لسكانها وإنماء الهوة الحضارية.، وفي إطار ذلك فقد ولجت الدولة كل المجالات إذ راحت عمل على تنويع وتحديث الهياكل الإنتاجية. ولبلوغ ذلك فقد عملت الدولة في العالم الثالث على إتباع سياسات معينة كان من شأنها أن بسطت نفوذها على كل شيء، الأمر الذي جعل منها الصانع والتاجر والزارع الوحيد. وبالإضافة إلى ذلك، فقد لعبت الدولة دوراً محورياً في تقديم الخدمات الاجتماعية، فضلاً عن اتخاذها سياسات شعبوية، كانت بها في صف الفئات الاجتماعية ذات الأوضاع الوسطي والدنيا[1] .لقد لعبت الدولة في العالم الثالث دوراً متعاظماً في قيادة وإدارة الاقتصاد، ومنحت الأولوية للتصنيع وتنويع وتحديث الهياكل الإنتاجية، وطورت الآليات التي استخدمت إبان الحقبة الاستعمارية لاستخلاص الموارد من .الزراعة والتعدين في سنوات ما بعد الاستقلال[2].

إننا نفهم مما سبق أن الدولة – كانت – قد تغلغلت في كل شيء غداة الحرب العالمية الثانية في كل من الدول المتقدمة النامية على السواء . ومع بداية عقد السبعينيات فإن هذا الدور سرعان ما انزوى ، أو قل انه حدث تجاه ثورة مضادة خاصة وقت أن دخل النظام الرأسمالي في أزمة هيكلية عارمة . لقد شهدت البلدان المتقدمة آنذاك مجموعة من الظواهر الجديدة التي لم تكن تخبرها فليما بعد الحرب، تلك التي عرفت بفترة الازدهار الكينزى (*)ففي هذه الفترة بدأت ثار خلاف حاد حول ما ينبغي أن تكون عليه الدولة من حيث تدخلها أو حيادها، ليس على صعيد السيطرة وحسب، بل على صعيد أدوارها معدلات الربح في قطاعات الإنتاج المادى وخاصة في الصناعات التحويلية وكذا معدلات الاستثمار والإنتاجية تصاب بالانخفاض والتدهور، فضلا عن تزايد معدلات البطالة وهبوط النمو الاقتصادي وارتفاع الأسعار، تلك التي يطلق عليها بظاهرة التضخم الركودي **Stagflation**.

---

١ - فرنان بروديل، الحضارة المادية ..... مرجع سابق، ص ص٧٧٣ -٧٧٤ . وأيضًا يمكن مراجعة المصدر السابق ص ٢٠.

2- درام جاي ، صندوق النقد الدولي وبلدان الجنو ب، ترجمة مبارك على عثمان، مركز البحوث العربية ،الطبعة الأولى ، القاهرة، ١٩٩٣ ، ص ١٦.

ان سيادة هذه الظاهرة وتعاظم مؤشراتها، جعل أيديولوجيي ومفكرو الغرب المتقدم يجمعون على أن الفلسفة الكينزية التي كانت في صف تدخل الدولة في كل المناشط قد اثبت خطأها وعدم جدواها، لأمر الذي جعلهم يعجلون بمراجعتها ومن ثم إهالة التراب عليها. لقد رأى كينزي في عام ١٩٣٦ أن تدخل الدولة بقوة في جميع الأصعدة يعد نوعا من الثور ة .وإذا كان كينز قد خلع على الدولة دوراً محورياً في جميع المناشط حتى يمكن تخطي العيوب التي انطلت على الرأسمالية إلى تستند بصورة أساسية على آليات السوق الحرة الطليقة، فإنه في الوقت عينه لم كن ماركسيا، بل كان من الد الأعداء لها .إن فكرة "كينز" الأساسية في ذلك مفادها أن النظام الرأسمالي لا يستطيع أن يخلق ذاتيا آليات نموه وتطوره، ومن ثم فلا يقدر على القضاء على البطالة وإنهاء حالة التضخم الحادثة، لذا فإنه يري في الدولة الذراع القوي الذي يمكنه بث الروح وإنعاش التكوينات الاقتصادية الاجتماعية ذات النمط الرأسمالي، وذلك عن طريق زيادة معدلات النمو وتخفيض معدلات الفائدة وزيادة معدلات الاستثمار وتقليل الضرائب وزيادة الاتفاق. علي الخدمات وزيادة الطلب على السلع الاستهلاكية والاستثمارية[1]. إنه مما سبق يمكن القول أن فكرة اضطلاع الدولة بدور نشط لم يكن حكرا على أدبيات الفكر الماركسي وحسب، بل يشترك معها الفكر الرأسمالي أيضاً برغم تعارضهما أيديولوجيا .ويعن لنا أن نضيف في هذا الصدد أن تدخل الدولة بشكل كاسح على جميع الأصعدة جاء انعكاساً لضرورة مجتمعية تلك التي تتمثل في قدرة النظام الرأسمالي على التكيف ودحر الهجوم الكبير لكبح ضرورات النمو والاستقرار فيه، خاصة بعد أحداث الكساد الكبير في الفترة (١٩٢٩-١٩٣٢) ، ناهيك عن كون الدولة في ذلك الوقت بمثابة صمام أمان أمام تفسخ النظام الرأسمالي الذي كان يتنبأ به الفكر الماركسي نتيجة التناقضات الطبقية القائمة فيه[٢].

---

[1] . رمز زكي ، الصراع الفكري .....، مرجع سابق ، ص ٢٦ وحول أفكار " كينز " انظر:

Keness J. M The genebal of employment . Interstand Money Macmillan Press. London. 1995 .P. 380 – 382

2 . للمزيد عن قيام الدولة الرأسمالية بدورها كصمام أمان اجتماعيا، أو كضامنة للخدمات الاجتماعية راجع:

–السيد الحسيني ، علم الاجتماع السياسي :المفاهيم والقضايا، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية،(الفصل الثاني) ١٩٩٤ ص ٨١.

ويجدر بنـــا أن نـــذكر أن فتـــرة انتـــشار الفكـــر الكينـــزي فـــي العـــوالم الاقتصاديةالرأسمالية هي الفترة التـــي شـــهدت تعـــاظم. Internationalization ظاهرة التدويل علي كافة صعد الإنتاجية والمالية والتكنولوجيـــا والتـــسويق، تلـــك الظاهرة التي لعبت فيها الشركات دولية النشاط دوراً كبيراً، والتـــي بهـــا تحولـــت الرأسمالية من مرحلة رأسمالية الدولة الاحتكارية إلى رأسمالية الاحتكارات العالمية .
وإذا كانت الأفكار الكنيزية تمثل المنافيست و الاقتصادي الـــذي استرشـــدت بـــه التكوينات الاقتصادية والاجتماعية في أوربا الغربية خاصة بعـــد الحـــرب العالميـــة الثانية، فإن هذه الأفكار قد جري انقلاب عليها خاصة مع بدايات عقـــد الـــسبعينات حينما شهد النظام الرأسمالي أزمة هيكلية عنيفة كان من أبـــرز ملامحهـــا تـــدهور معدلات الربح وانخفاض معدلات الاستثمار وتدهور الإنتاجية وارتفاع وتأثر البطالة و تعاظم ظاهرة الكساد.

انه نتيجة لكل ذلك فقد برز اتجاه آخر عرف باسم اقتصاديات العرض أو الإنتاج" وهو الذي يسعى إلى تقويض دور الدولة وقيامها بوظائفها التقليدية وحسب أولاً :إعطاء الأفراد المبادرة على العمل والادخار والاستثمار، ثانياً: أن ذلك هو ماعرف بالفكر الاقتصادي الحديث أو بالفكر الاقتصادي الريجاني**Reaganomic** نسبة إلى رونالد ريجان رئيس الولايات المتحدة الأسبق، أو التاتشرية نسبة إلى مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا .أن الفكر الجديد الذي طرح ذاته بديلا عن الفكر الكينزي في هذا الإطار هو الذي روجت له التكوينات الاقتصادية والاجتماعية الرأسمالية وسعت إلى تأبيده في التكوينات الأخرى وهو التيار الذي يتفق مع ما ذهب إليه النقديون من ضرورة ضبط معدلات نمو العرض وعدم كبح جماح قوى السوق وإبعاد الدولة عن إطار التنمية[1] .

وجدير بالذكر أنه إذا كانت الريجانية أو التاتشرية انقلاباً على الفكر الكنيزي ، فإنها في الوقت نفسه يعداً انقلابا في الإطار السياسي . ففي إطار المجتمع البريطاني تعد هذه الفكرة من الأشياء المناوئة لأفكار حزب العمال التي طرحها إبان عقد الأربعينيات حينما قام بتأميم بعض للصناعات الهامة وفق دعواها التي ترى ضرورة سيادة الملكية العامة للصناعات الحيوية لكل الشعب البريطاني .لقد رأت

[1] - رمزي زكى : **الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة......** ، مرجع سابق ، ص٨٦- ٨٥.

رئيسة وزراء بريطانيا وقتذاك تحت دعوى حماية ديموقراطية ملكية الشعب البريطاني. أن التدخل السافر للدولة أفضي إلى زيادة عجز الموازنات العامة، وتضخم موازين المدفوعات، الأمر الذي دفع إلى تفاقم القروض الخارجية والداخلية وارتفاع الضرائب مما أدى على أثر ذلك أن ازدادت معدلات البطالة وانخفضت بالتالي الدخول الحقيقية للأفراد. وإذا كان ذلك كان ذلك على صعيد المجتمع البريطاني فإنه على صعيد المجتمع الأمريكي فقد برزت هناك متواكبة في الوقت عينه مع المجتمع البريطاني ما يسمى بمدرسة الخيار العام تلك التي رأت أن المسئولين الحكوميين والقادة البرلمانيين والحزبيين، لا يعلمون للصالح العام كما هو مفروض، وإنما يعملون لخدمة مصالحهم وأغراضهم الشخصية وبذا فهم باستمرار يكلفون الموازانات العامة مالا تطيق، الأمر الذي يفضي في نهاية الأمر إلى. زيادة النفقات العامة والإيرادات وارتفاع الضرائب[1]. وبوسعنا أن نوضح في هذا الإطار أيضاً، أن الأساس النظري لفكرة ضرورة تدخل الدولة لا تعود إلى ماضي قريب كما أسلفنا توا، وإنما يأتي من زمن طويل حيث سيادة فكرة الإحسان والعدل والتعاطف مع الآخرين خاصة من الأطفال والمسنين والعاجزين والمرضى ، والتي بمقتضاها يرون انه من صالح المجتمعات الإنسانية أن تقف سدا منيعا أمام اتساع الفوارق الاجتماعية التي تصيب في مقتل النسيج الاجتماعي ، ومن ثم تهدد الأمن الاجتماعي. انه بمقتضى هذه الأفكار، أضحت المقولة التي تنادي بضرورة تدخل الدولة في تقديم الخدمات الاجتماعية أساساً راسخاً في سياسات الحكومات خاصة بعد الحرب العالمية الثانية .انه في ظل ما عرف بسياسة " نيوديل " التي كان صاحبها رئيس الولايات المتحدة الأسبق " روزفلت " تم تحصين المستويات الدنيا وذوي الدخول المحدودة، ومن ثم حصنت المجتمعات الرأسمالية إبان الحرب الباردة والمد السوفيتي .وما لبثت أن انتهت هذه خاصة زعيمتها الولايات المتحدة، خاصة بعد انهيار ما يسمى بالدولة السوفيتية، حتى ظهرت مراجعات نظرية وعملية لفكرة دولة الخدمات خاصة بعد أن شنت" تاتشر" هجوماً عنيفاً على الدولة، إذ قالت أن الدولة.... ذات القدرة كبيرة على ارتكاب الشر، وخطرها الكامن على منافع الحرية

[1] - صبري حسنين، سياسات الخصخصة بين النظرية والتطبيق، في : مجلة أبو ظبي، غرفة تجارة وصناعة أبوظبي ، العدد ٢٨٧ ، فبراير ١٩٩٦ ، ص ٣٠-٣١.

سواء على الأصعدة الخلقية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية .... ومن الواجب التخفيف من وطأة هذه الدولة وتقليم أظافرها لتسليحها بالإمكانيات المالية الكبيرة المتأنية عن الضرائب، كما انه من الواجب ترك المجال للأفراد لكي يبادروا... فبفضل هذه المبادرات يمكن لهم أن يحلو مشاكل البطالة والعوز، وأن يفتحوا آفاق المستقبل.

ومن الاهمية بمكان أن نشير إلى أن التحول من الأفكار الكينزية إلى الفكر الاقتصادي الريجاني أو التاتشري هو ما نعت بالليبرالية الاقتصادية الجديدة، أو ما عرف بمفهوم اقتصاديات السوق الحرة في العقد الأخير من القرن العشرين .أن مفاد الليبرالية الاقتصادية الجديدة هو الاعتراف بالحق في ممارسة النشاط الاقتصادي والتبادل الاقتصادي الحرين على أساس الملكية الخاصة وقوانين السوق . ونود أن نزيد علي ما فات ، انه بسيادة هذه المفاهيم في هذه الحقبة تكون قد انتهت المعارك الأيديولوجية بين النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي ، وسيادة لبرلة السياسات التنموية التي ساهمت في طرح مسار جديد للتطور الرأسمالي، وأفضت إلى نحت مفهوم آخر جديد هو ما يعرف بالخصخصة Privatization .

ثانياً :الخصخصة وشيوع الفردية

يشير مفهوم الخصخصة إلى إيجاد مجموعة من السياسات التي تعمل جاهدة لإزاحة الطريق من القطاع العام و في عمليات التنمية، أو قل ضمان تفوق القطاع الخاص عليه . فبدلا من قيام القطاع العام بكل وبأهم مشروعات التنمية، أن يأتي القطاع الخاص لكي يرثه ويحل مكانه لذا نجد أن هذه السياسة تسعى إلى إيجاد مجموعة من التحولات التي يمكن أن نجملها في:

أولاً :تحويل الملكية من القطاع العام إلى القطاع الخاص .أو بمعني آخر التحرر من ربقة القطاع العام الذي دس انفه في كل شيء، وإعطاء المبادرة إلى القطاع الخاص للعمل وولوج كل المجالات[1].

ثانياً :عمل القطاع الخاص جنبا إلى جنب مع القطاع العام تقديم السلع والخدمات مع الإفراط في توسعة في مجالات الاستثمار.

---

1 - فرانسيس فوكوياما :نهاية التاريخ وخاتم البشر، .... مرجع سابق ، ص ٥٥ .

ثالثاً :العمل على الحد من التدخل الحكومي في إنشاء المشروعات الإنتاجية واستخدامها للمناشط الإنتاجية لتحقيق أهداف غير اقتصادية مثل زيادة التشغيل أو وضع القيود للحد من الأعباء التي تقع على كاهل محدودي الدخل.

رابعاً :الحد من العجز في ميزانية الدولة نتيجة تدخلها في دعم وحدات القطاع العام والقيام بأدوارها الاجتماعية للفئات الاجتماعية ذات المستويات الدنيا.

إن المطلع بعمق على ما يشير إليه مفهوم الخصخصة نجده "نظريا"يسعى جاهدا إلى إيقاف الدعم المباشر لوحدات القطاع العام، وزيادة القدرة على تنمية الموارد المالية والإدارية وزيادة كفاءة المنشآت العامة وارتفاع مستوي الادخارات والاستثمارات وزيادة وتأثر النمو الاقتصادي .أما " عمليا "فانه يسعى إلى الحد من اضطلاع الدولة بمهامها الاجتماعية وزيادة وقوف ودعم الدولة للطبقات الرأسمالية، وزيادة معدلات البطالة وسيطرة القطاع الخاص وسطوة رأس المال الأجنبي. ويمكن لنا أن نضيف أيضاً أن الخصخصة لا تأتي في صورة واحدة أو على منوال واحد، بل أن ثمة صورا بها تلك التي ندفع بملامحها وفقاً لما يلي:

الأولى :نقل ملكية المنشآت بطريقة كلية أو جزئية من الملكية العامة إلى الملكية الخاصة، وهذا ما يطلق عليها بالتصرفية Divestiture والتي بمقتضاها يتم بيع المنشآت من القطاع العام- إلي القطاع الخاص ، وذلك إما لتحويل هذه المنشآت إلى الأخير، على أن تحتفظ الدولة بالجزء الباقي من هذه الأسهم.

الثانية :تحويل إدارة المؤسسات العامة إلى القطاع الخاص، مع الإبقاء على عقد السيطرة في يد الدولة، على أن يتم ذلك مقابل مبلغ نقدي ثابت إما بالتأجير ، أو تحويل Leasing الإدارة إلى القطاع الخاص على أن يتم تقاسم الأرباح بينهم وبين الدولة، أو منح ذلك القطاع حق الامتياز.

الثالثة :إلى جانب الصورتين السابقتين، هناك صورة أخرى نهجتها بعض الدول للتوفيق بين أوضاعها الداخلية والشروط المفروضة عليها، ذلك الذي يتبدى في تحرير السياسات الاقتصادية من القيود التي تقف معاندة لحق الملكية الفردية، والتي يعد أبرزها إلغاء نظام التوريد الإجباري للحاصلات الزراعية أو تحويل الديون إلى مساهمة، بمعنى إعطاء حوافز للبلدان المتخمة بالديون لتشجيع الاستثمارات الأجنبية وإعطاء دفعة قوية للاستثمارات إنه من خلال طرح مصطلح

الخصخصة فإن دور الدولة قد أفل أو قبر تماماً، إذا لم يتبق لها إلا وظائفها التقليدية، و الوقوف بقوة بجانب القطاع الخاص، وترك الحبل له على الغارب حتى يشتد عودة ويقوى ، بحسبانه أفضل من الحكومة في الاضطلاع بالدور التنموي .

إن المتأمل في طبيعة هذه الدعاوى يجدها تعج بنزعة شوفينية واضحة، تلك التي يعبر عنها بصدق مجموعة الوصفات الجاهزة التي تقدمها الدول الرأسمالية منذ البيان غير الشيوعي " الذي وضعه " روستو "حتى تعليمات صندوق النقد لسياسات بعينها، تلك التي لا ترضى بديلا عن نهج بلدان العالم الثالث لسياسات الليبرالية الجديدة التي يطلق عليها بالخصخصة. وحري بي أن أوضح هنا أن السياسات الغربية تجاه العالم الثالث منذ أن كانت مستعمرات بالأمس القريب، وحتى بعد حصولها على استقلالها "الاسمي" .إن المتتبع لتصدير النماذج التنموية الغربية، برغم اختلاف ظروفها وسياقاتها وخصوصيتها، يجدها لا تتغير، بل يجدها تزداد في عولمتها وتنطلي على مؤمرات ودسائس غريبة، الأمر الذي جعل منها مشروعاً أممياً. إن المشروعات الأممية أو ما يطلق عليه العولمة دائما ما تعمل على صياغة نظام دولي يسعى دوما إلى إيجاد مناهج وقيم وأهداف عامة، أو نماذج مثالية، تعمل على ضم الإنسانية برمتها في داخلة . لذا نجدها تسعى إلى ضرورة فرص نماذج غربية إلى دول العالم الثالث، بغض النظر عن عدم ملاءمتها لخصوصيتها، أو بالأحرى تكيف الأخيرة أقصد العالم الثالث – مع هذه النماذج. إنه بمقتضى فرض هذه النماذج، فإنها تمنح لذاتها مركزا مهيمنا للسلطة في مقابل وهن العوالم الاقتصادية التابعة، وبذا تكون قد وضعت العولمة نهاية التاريخ.

والمتحقق من ذلك، يجد أن العولمة وفقاً لما سبق تعني في نهاية المطاف نهاية البشر ومن ثم القضاء على الخصوصيات، والسعي بشكل حثيث إلى وجود نظام قانوني وسياسي اقتصادي وأخلاقي واحد أو قل أنها تسعى إلى تشكيل نظام دولي جديد يعمل على إعادة إنتاج التبعية ولكن في ثوب جديد . إن زيادة تدعيم مناهج التبعية وفق منطلق العولمة جعل من عملية الاستقلال حالة صورية، إذ بمقتضاها حثت الدول المهيمنة الدول الخاضعة على ضرورية تنظيم تكويناتها الاقتصادية والاجتماعية وفقا لقواعد السوق والليبرالية الجديدة .

وعلي الرغم من أن وسائل الإخضاع المتبعة من قبل الدول الرأسمالية على الدول النامية، كانت وما تزال تتمثل في آليات القوة والنفوذ، فانه في إطار العولمة فقد سندت دورها في إطار هذه الآليات إلى البنك وصندوق النقد الدوليين، اللذان فرضا برامج الإصلاح والتكيف الهيكلي الذي كانت قسماتها الأساسية تستند بشكل جوهري على توجيهات الليبرالية الاقتصادية. وبذا، ومنذ ذلك الوقت، فقد تحولت التبعية من مساومة سياسية إلى تفاعل اقتصادي من نوع خاص .لقد كان هذا التفاعل مشروطا بالإذعان لرؤى وخيارات ووصفات الدولة الغربية المتقدمة التي ألقت جوهر عبء إصلاح الاقتصاد العالمي على الدول التابعة .

وإذا كانت نشأة صندوق النقد الدولي واضطلاعه ومباشرة أعماله في إطار وضبط وتنظيم العلاقات النقدية بين مختلف الدول في منظومة العلاقات الدولية، تعود إلى فترة ما بعد الحرب، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وقت تطبيق السياسات الكنيزية وتحول الدول الرأسمالية إلى مرحلة الاحتكارات للحد من تضخم الأزمات الاقتصادية الدورية في السوق العالمية، فإنها الآن تعيد استدعاء هذه المؤسسة المالية للقيام بأدوارها الاقتصادية شريطة الضغط على الدول النامية وفي إطار هذا الدور فقد قدم الصندوق روشتة خاصة، أو وصفة تآمرية، بمقتضاها تعهدت الدول التابعة بتنفيذ برنامج معين يعمل على تخفيض الطلب المحلي والقضاء على العجز في مقابل تقديم تسهيلات ائتمانية يوفرها الصندوق للدول التابعة التي تئن من الجبال الشاهقة للديون الخارجية التي يسأل عنها الأزمة العامة التي أمسكت بتلابيب الاقتصاد الرأسمالي العالمي منذ بداية عقد السبعينات. إنه بذلك فقد أضحي لصندوق النقد الدولي مجموعة من الوظائف المالية، تلك التي تتمثل في:

أولاً :لقد أصبح صندوق النقد الدولي وسيطاً مالياً، يقوم بجذب الفوائض المالية لكي يعيد إقراضها من جديد إلى هذه البلدان التي تشعر بالعجز ولكن بشروط خاصة.

ثانياً :انه في إطار سياسته التي تدعو إلى تقويم أسعار الصرف للعملات الرئيسية فقد ركز الصندوق بشكل قوى على وظيفة التنظيم أكثر مما ركز على الوظيفة المالية.

ثالثاً :انه في إطار دور الوسيط الذي يقوم به صندوق النقد الدولي ، فانه كان يعمل على نقل الموارد المالية الفائضة من المراكز الرأسمالية الصناعية إلى البلدان النامية لكي تتحول إلى أصول إنتاجية أو استثمارية مربحة.

رابعاً : العمل على تهيئة المناخ المناسب للاستثمار الأجنبي والضغط على البلدان النامية بانتهاج سياسات الباب المفتوح المحايثة لسياسة الليبرالية الجدية.

خامساً :بمقتضى الوضع المالي لصندوق النقد الدولي ، أضحى له سلطات واسعة في ممارسة ضبط قوى على سياسات الدول النامية .

وفي إطار هذه الأهداف فإن صندوق النقد الدولي عمل جاهدا على استعادة تراكم رؤوس الأموال من جديد، أو بث فيها الحيوية والنشاط وأعاد تكييف أموال البلدان التابعة بما تتناسب مع هذا الهدف، وبذا يكون الصندوق قد تحول من مؤسسة نقدية إلى جهاز تخطيط مركزي للنظام الرأسمالي العالمي برمته. إنه في ظل هذا التحول، فلقد راح صندوق النقد الدولي يصمم إجراءات تكيف الاقتصاديات التابعة، والتي بمقتضاها فرض ضرورة تخفيف الطلب الكلي وتحسين الميزان التجاري في إطار تقوية قوى السوق وتوسيع نطاق القطاع الخاص، وتقليص النفقات الحكومية على الخدمات والهياكل الأساسية، ورفع الدعم، وزيادة الضرائب وزيادة سعر الفائدة، وتقييد عرض النقود والائتمانيات البنكية، وإلغاء الوكالات التسويقية الحكومية، وإغلاق وبيع المؤسسات الحكومية، ووضع مزيدا من الحوافز للاستثمار الأجنبي ، تلك التي ساهمت في تعبيد الطريق أمام القوى الخارجية لصنع السياسات الوطنية من جديد، أو قل إنها أعادت من جديد صياغة الشخصية الكومبرادورية لهذه البلدان.

ان المدقق في متطلبات التكيف الهيكلي يستطيع أن يقف بسهولة على أمرين لا ثالث لها .الأول يتمحور حول ترشيد بل قل تقليص دور الدولة في الاقتصاد، أما الآخر فيتمثل في إعادة السيطرة والإحكام على الدول النامية. والواقع انه بهذين الأمرين تكون قد طويت إلى الأبد دورالدولة الوطنية في قيادة عملية التنمية وتحقيق التوازن الاجتماعي ، في مقابل التحالف بين المجتمع والدولة والسوق. أو بقول آخر إن سياسات الخصخصة أو برامج التثبيت والتكييف الهيكلي التي نادت بلبرلة السوق، تعني الانحراف عن الخط التقليدي للتنمية الذي نفذته الدولة خلال توجهاتها

الشعبوية، ومن ثم انكسار المشروع الوطني وأنها أبوية الدولة، أو هو بالأحرى محاولة لاغتصاب الاقتصاديات الوطنية من قبل رأس المال الأجنبي مرة أخرى.

وعلي هدي ما سبق فإنه يمكن القول أن سياسات التكيف الهيكلي تمثل الضربة القوية التي قوضت المشروع الوطني لدور الدولة في عملية التنمية، كما أنها في الوقت عينه عملت على نسف المحاولات الوطنية لإنشاء طبقة رأسمالية وطنية في الوقت الذي أفرطت في إعطاء الرأسمالية مفاتيح الهيمنة على التكوينات المخلفة . وبذا تكون برامج الخصخصة قد نجحت في تغيير ميزان القوى داخلي بين العمال ورأس المال . وإذا كانت السياسات قد أضفت على الرأسمالية قوة في مقابل إضعاف العمال، فإنها في المقابل قد أضعفت الرأسمالية المحلية في مواجهة مثيلتهما الأجنبية إن اجتياز طريق السوق الحر ونهج سبيل الخصخصة ضعضع أركان التكوين الاجتماعي في الدول النامية وأعاد إنتاج التمايزات الاجتماعية . بمعنى أن ساهم في إضعاف طبقة معينة، ووقف بجانب طبقة أخرى . لقد أضرت برامج التكيف الهيكلي بمسألة العدالة الاجتماعية، فبدلا من تخفيف المعاناة الواقعة على كاهل الفقر وسعت الهوة الاجتماعية بينهم و بين من يمثلون المراتب العليا في السلم الاجتماعي. جماع ما سبق، أن هذه السياسات في الوقت الذي أضرت بالبنية الاجتماعية، فإنها أيضاً لن تغفل بقصد البنية الاقتصادية، فقد كرست العلاقة التابعة والتبادل اللامتكافئ، وحولت عملية صنع السياسات الوطنية من الداخل إلى الخارج.

ثالثاً :التجنيس والتدويل و العولمة

ثمة مجموعة حقائق أساسية ساهمت في طرح الخصخصة كطراز تنموي كوني ، تلك التي تتمثل في: أولاً :سقوط الكتلة الاشتراكية و انتهاء الحرب الباردة.ثانياً :انتصار النهج الأيديولوجي الذي يري أن الرأسمالية هي ارض الميعاد أو نهاية التاريخ . لقد ساهمت هذه التطورات في طرح الرأسمالية باعتبارها الطريق الناجح في التنمية وأنها واجبة التطبيق في كل أصقاع العالم، في مقابل أن الاشتراكية تمثل عقبة كئودا في سبيل التنمية وتراكم الثروة وأنها ضد التكنولوجيا والحضارة. إن الخطاب الدولي الذي يطرح نفسه بقوة بعد إعادة تصحيح أوضاع القطبية في العالم، ساهم في إغفال خطاب الاستقلال الوطني ، ذلك الخطاب القديم الذي كان يقف بقوة ضد سرعة انتشار وسيطرة المؤسسات المالية الدولية التي تعد

احد الآليات الناجحة في تفويض محاولات الخروج من براثن التبعية والخضوع والتشابك مع التكوينات الرأسمالية المتقدمة .أن خطاب التمفصل مع البلدان المتقدمة يري ضروري أن يشكل العالم الثالث سوقاً هامة للمركز العالمي ، وذلك هو ما يطلق عليه بالتدويل.

وحري بنا أن نشير هنـــا أن مفهـــوم التـــدويل عكـــس مفهـــوم الإقليميـــة Intarnationalization فـــإذا كـــان الأول يـــسعى إلـــى وضـــع وتكثيـــف Regionaliztion.عملية العولمة، فان الآخر يسعى إلى التواجد خارج التعبئة وعدم انحلال النموذج الوطني . أن الخطاب الثاني يسعى إلى نفي الثانية، وبشكل سافر لا يمكن تجنبه الإذعان له أو على الأقل التلاؤم معه .بمعنى آخر . إن الهدف النهـــائي للتدويل هو انحلال الوجود الوطني وتفتيت السلطة القومية والاندماج دوليا لـــصالح اقتصاد عالمي ، أو حسب تعبير "ميشيل بو" أن يصبح هناك منظومة إنتاج عالميـــة والانفتاح علىBeaud العالم دون حدود أو قيود أو حتى شرط. وإذا كـــان خيـــار التدويل سيسمح بتقوية المناطق المركزية أو تكوينات الدول الأوروبية المتقدمة، فإنها ستعمل أيضاً في المقابل على تهميش الدول النامية مع ضرورة الاندماج الكلي على كافة الصعد السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية . أن توحيد العالم من خلال منطق التدويل، أو جعل السوق ساحة دولية واحدة، وسوف يجعل من العالم الثالث منطقـــة زوابع، لأن عدم فك الارتباط مع العالم المتقدم، ســـوف يفـــضي مـــن شـــأنها أن Compradorisationبتحولات كمبرادورية تنهي بغير رجعة البديل الوطني الذي عرفته التكوينات الاجتماعية المختلفة غداة انحسار الاســـتعمار التقليـــدي ومـــع أن الرأسمالية قد عرفت ظاهرة التدويل في فترة ما بعد الصناعة، خاصة حينما حاولت تدويل رأس المال والعمل والأزمات والتناقضات، فإنها اليوم تـــسعى إلـــى تـــدويل نماذجها أو طرزها التنموية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وكذا الثقافية .

وتعتبر ظاهرة الخصخصة في فترة ما بعد الليبرالية هي إبرز النماذج التي تعمل على تفعيلها بقوة في ضوء مفهوم التدويل . أن الهدف النهائي الذي تسعى إليه الدول المتقدمة هو جعل العالم على هيئة صورة واحدة أو ما يطلق عليه بالعولمة . أن ظاهرة التدويل من خلال ما تطرحه من وصفات، تسعى به إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، بهدف سيادة نموذج واحد ووحيد دون

النظر إلى خصوصية المجتمعات الإنسانية الأخرى. إن الرأسمالية التي تطرح نفسها بشكل دولي أو عالمي سواء في نماذجها أو ممارستها أو طرزها، تسعى إلى وجود نموذج نهائي متخطي للقوميات، ذلك الذي يؤدي إلى ازدياد قوة البلدان المتقدمة قوة على قوتها، في مقابل تقوية روابط التبعية وفرض مزيد من القيود، أو ما يسمى بعدم فك الارتباط .وإذا كان التدويل يتم عادة من خلال خلق صورة سوق واحدة دون النظر إلى الاعتبارات القانونية، فان تدويل الخصخصة يأتي من خلال جعل نموذج التنمية نموذجا عالميا وقوميا في الوقت عينه .

أن طرح الخصخصة كمشروع عالمي يأتي من خلال إستراتيجية دولية تسعى إلى واد الدولة، وإنهاء الدور التنموي للقطاع العام، ذلك الذي يعطي للرأسمالية العالمية مزيدا من حرية الحركة لاستيعاب المزايا التي تتمتع بها الدول النامية سواء من حيث المواد الخام أو توافر الأسواق، أو وجود قوة عمل رخيصة إن طرح برامج الخصخصة كمشروع كوني ، يأتي من خلال قهر الدول الغنية وسيطرتها من خلال آلية الديون. إن إجبار الدائنين لبلدان العالم الثالث أو ما يطلق عليه ببلدان المحيط المدمر، للخضوع لأوامر الرأسمال الدولي وفق النهج الليبرالي الجديد، أو وفق مفهوماته الجديدة :التكيف والتصحيح والانفتاح، والتوجيه للخارج، ما هو إلا في الواقع إعادة لترتيب هذا الجزء من العالم دون النظر إلى خصوصيته . بذا تكون الرأسمالية منذ أن طرحت نفسها كنظام كوني ، وهي تعمل بكل آلياتها من أجل تركيع العالم برمته لكل شروط صيرورتها .

ولما كان ذلك هو الهدف المحوري لها، نجدها تحاول تكييف الأجزاء غير الرأسمالية في كل أصقاع العالم، وذلك بهدف تواؤمها مع استمرار النظام الرأسمالي وديمومته أن برامج الخصخصة وفق ما سبق تعد بمثابة مشروع عالمي تضطلع به الرأسمالية العالمية من اجل تدويل اقتصاديات الدول المتخلفة وإخضاعها للاقتصاد العالمي. ويكشف الواقع العياني للبلدان النامية التي نهجت بمثل هذه البرامج، أن ثمة تأثيرات سلبية واضحة على كافة الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ففي الوقت الذي أججت فيه عمليات الصراع ومظاهرة، فإنها في المقابل قلبت طبيعة الدولة وتحالفاتها فبدلا من قيام الدولة بدورها القائد في عمليات النمو في عمليات النمو، فإنها ارتدت على أعقابها وركنت ورضخت طواعية لكل أوامر الرأسمال

الأجنبي وتحالفاته الداخلية .لقد ساهمت هذه السياسات في إرجاع الدولة لسيرتها الأولى وقت عمليات الاستعمار . انه من خلال فرض عمليات الخصخصة اختل توزيع الدخل بين الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة، فضلاً عن تعطيل إشباعاتها الاجتماعية وتدمير الإرادة الوطنية.

إن تدويل الخصخصة، أو تجنيس العالم وفق مبدأ الخصخصة يساهم في تدشين التبعية في العالم الثالث، تلك التي تعد هزيمة للمشروع الوطني ، ومحاولة لاغتصاب الاقتصاديات الوطنية من جديد، وذلك بهدف دمج الإنسانية برمتها في إطار نظام واحد يجعل من الدول المتقدمة هي المسيطرة، بينما تظل الدول التابعة هي الخاضعة. إن عولمة الخصخصة في كل أصقاع العالم بمعنى أو آخر، ما هو الا محاولة لتصدير نماذج غربية وغربية إلى مجتمعات مغايرة لا تتوافق البنية مع نموذجها أو طرازها تلك التي بمقتضاها يصبح للعالم الرأسمالي حرية الحركة في نهب العالم الثالث في ضوء ما تقدمه من وصفات تنموية أو دسائس تقبلها الأخيرة دون ترو أو أعمال للفكر.

الفصل الثالث

العولمة الصغري وتشكيل العقل

(آليات الاستشراق والغزو)

مقدمة:

يعد الواقع الثقافي القائم في البلدان النامية ثمرة من ثمرات المحاولات الدائمة لاختراق الرأسمالية العالمية لواقع هذه البلدان، لخلق قيم رأسمالية تسمح باستمرارية دخولها في قسمة العمل الدولية، فضلا عن الهيمنة عليها سياسياً وعسكرياً.إن الاستراتيجية الرأسمالية تسعي إلي إيجاد نسق من السلوك والعادات والتقاليد ، والقيم الاستهلاكية ، تلك التي تسمح بزيادة انخراط هذه المجتمعات في داخل المنظومة الرأسمالية العالمية.

ويجدر أن نشير هنا إلي أن ما تقرره الدول المسيطرة من قيم لا تسير عفو الخاطر، بل هي في حقيقتها نوع من الخطط المحكمة التي ترسمها من أجل السيطرة علي الواقع الاقتصادي الاجتماعي للدول النامية عن طريق الاستلاب الثقافي علي حد تعبير " فرانز فانون " ، أو ما يسمي بالاتباع الثقافي . والواقع أن مفهوم الاستلاب الثقافي لا يعني فقط السيطرة الاستعمارية علي البلدان النامية ، بقدر ما هو اشبه. بالغزو الثقافي الذي يسعي إلي الهيمنة الثقافية – الإيديولوجية علي مختلف الهياكل السياسية والاقتصادية ، باعتبار أن الثقافة أداة الوعي بالواقع، وأداه السيطرةعليه[١].

ويعتبر تشكيل العقل وإعادة إنتاج ثقافات الشعوب ضربا منضروب الفنون الاستعمارية ، والتي عن طريقها تسعي إلي إيجاد عقل متحرر من جذوره القومية.ويمكن القول في هذا الإطار،أن برمجه العقول عن طريق مجموعة من

١- عبد الله عبد الدائم : في سبيل ثقافة عربية ذاتية : الثقافة العربية والتراث ، دار الأداب التبعية سولي بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٤٧ .
ويمكن الرجوع إلي أيضاً حول ذلك إلي :

- محمود أمين العالم ، الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر ، دار الثقافة الجديدة ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٥ .

٢ - أحمد جلال : الغزو الثقافي وتحديات الغربة في الزمان والمكان ، المنار (مجلة) ، العدد ٢٦ ، القاهرة ، فبراير –مارس ١٩٨٧ ، ص ص١٢٤-١٢٦ .

الآليات المستخدمة في ذلك (مثل التلفزيون، والسينما،والكتب، والصحف، والاعلانات الوجهة والمرسومة، والموضه) تسعي إلي إعادة إنتاج الوعي الثقافي، ومن ثم خلق القيم، وإشاعة الفساد، سيادة اللامعيارية أو ما يسمي بالاغتراب [٢].

وحري بي أن اشير في هذا الصور إلي أن الغزو الثقافي هو نهج متكامل يهدف إلي إخضاع الشعوب ، وتهديم الثقافات أو تشويهها وطمس معالمها ، ومن ثم تحقيق التبعية الكاملة ، أو الاستتباع الشامل للامبريالية الثقافية الجديدة . إن مفهوم الغزو الثقافي ليس تعبيراً لفظياً مجرداً من مدلولاته الحسية ، بل هو نموذج جديد وفريد لم يشهده كثير من أبناء العالم الثالث ، بيد أنه يكرر تجربة الاستيطان الاستعماري (الجزائرمثالاً) بعد إضافات كثيرة فرضتها النجاحات العسكرية في العالم المعاصر، إن الغزو الثقافي في أبسط معانيه محاولة لطمس وتزوير حقائق التاريخ ، وتشويه كل القيم الثقافية الأصيلة . ويهم أن نوضح أيضاً ، أن التبعية السائدة في العالم الثالث تسهل من مهمة الغزو الثقافي، وتقطع الطريقة علي الجماهير لفك الارتباط مع النظام الرأسمالي، لإقامة مشروعها المستقل ، القادر علي حماية حضارته وتراثه وهويته وثقافته النوعية [١].

وعلي هدي ما سبق ، يمكن الاقرار بأن مفهوم الغزو الثقافي هو مفهوم تقريبي، لانه ليس في الواقع غزو فكري تام، بالمعني الاصطلاحي لكلمة غزو، والذي يتضمن الهجوم الاكتساحي ، لان الواقع يدلنا علي أن الغزو الفكري غالبا ما يتم من خلال عمليات الاختراق أو التسلل أو الانتشار ، ووفقاً لنوعية وطبيعة العلاقة بين البلدان النامية والأخريالمتقدمة . ولكن بغض النظر عن طبيعة المفهوم ، فإنه يمكن الزعم في هذا الإطار ، بإن الغزو الثقافي أكثر خطورة من الهجوم الاكتساحي العسكري ، لان الأخير يسعي إلي السيطرة عن طريق القوة علي

---

١ – مسعود ضاهر : مجابهة الغزو الشمالي الامبريالي للمشرق العربي . منشورات المجلس الدولي للثقافة ، الطبعة الأولي ، بيروت ١٩٨٩ ، ص ٢٦٨ .

الأرض ،ولكنه في الوقت عينه لا يستطيع أن يسيطر علي العقل ، الذي طالما هو متحرر يستطيع أن يرد هذا الهجوم علي أعقابه مدحوراً. إن السيطرة علي العقل ، تعني بصورة أو بأخري ، وأد الحركة الوطنية، وأبعادها عن مسارها الحقيقي ، فالثقافة تعتبر خط الهجوم الأول وخط الدفاع الأخير [١] .

وتعتبر عملية غزو أو إختراق ثقافة لأخري (ثقافة عليا ، وثقافة دنيا) ماهي إلا عملية صراع وعدوان ، وإنما يتم ذلك في إطار حرب فعلية . إن الجوهر هو ذلك الذي يتمثل في وهن وتبديد الوعي التاريخي، ومحو ذاكرة الثقافة الوطنية فضلاً عن تشويه التكوين النفسي ، وشيوع ما يسمي باللامبالاه وفقدان الانتماء أو الاغتراب ،و ينبغي أن نشير في هذا الإطار ، إلي أن هناك من المدارس ماتخلط بين مايسمي بالغزو الثقافي ، أو التداخل الحضاري ، أو التلاقح الثقافي ، أو عملية الموائمة،أو التفاعل الثقافي ، تلك كلها التي تؤدي في النهاية إلي إفراغ المضمون الوطني للثقافة من محتواه ،واستبداله بما يسمي بالأستتباع الثقافي[*] أو بالتخلف الأخر[**]. [٢] وينبغي أن نشير هنا إلي أن عملية الاتتباع الثقافي تتم بين طرفين

---

٢ – عزيز السيد : تأملات في الحضارة والاغتراب ، دار الشئون الشامية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٥٣ . ويمكن الرجوع ذلك إلي :

- شوقي جلال ، الغزو الثقافي ..... ، مرجع سابق ،ص ١١٢.

- حامد ربيع الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي ، دار الموقف اعربي ، الطبعة الأولي ، القاهرة ،١٩٨٣ ،ص ٩٧.

(*) نقصد بمفهوم الاستتباع الثقافي ، فرض بني ثقافية ترتبط مباشرة بالمراكز المتقدمة ، تلك التي تسهم بصورة أكيدة في قتل ثقافة الابداع وتشويه التراث وسيادة نمط الاستهلاك المغاير لطبيعة الواقع ، والمزيد حول هذا المفهوم يمكن مراجعة كتاب:

- مسعود ضاهر ، مجابهه الغزو الثقافي ... ،مرجع سابق ص٢٧.

(**) ليس لنا الفضل في صك هذا المفهوم، إنه يعود الفضل من صياغته إلى كتاب المغرب العربي، الذين يقصدون به التخلف الثقافي Culture under development الناتج عن تفاعل الأمم أو ما يسمى بالاحتكاك الحضاري بين المغرب والمجتمعات النامية .. أنظر في ذلك :

-محمود الزوادي " التخلف الأخر في المغرب العربي " المستقبل العربي "مجلة " مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد ٤٧، بيروت يناير ١٩٨٣.

١ - مجدي يوسف :" التدخل الحضاري بين أوربا والعالم الثالث في العصر الحديث " في : التداخل الحضاري ، لسان حال الرابطة الدولية لدراسات التداخل الحضاري ، بروكمابر " بوحوم، ١٩٨٣، ويمكن الرجوع لهذه المفاهيم في :-

- ثناء فؤاد عبد الله - إشكالية التفاعل والحوار الحضاري بين الغرب والحضارة العربية في إطار متغيرات العالم الجديد " ،المستقبل العربي (مجلة) ، العدد ١٦٧، بيروت ،يناير ١٩٩٣ .

غير كتافئيين ، احدهما مسيطر ويسود ،والأخر يخضع وضعيف وإذا كان مفكرو مدرسة التبعية يستخدمون مفهوم التمفصل Articulation لتشخيص العلاقات الاقتصادية بين العرب والدول المتخلفة ، فإننا في هذا الإطار نستخدم مفهوم التداخل الثقافي Cultural Interference لتوصيف حالة التبعية الثقافية التي تعيشها المجتمعات النامية ، لما للبنية الثقافية من أدوار في تعميق وسيادة واقع التبعية .

والمدقق في أدبيات التبعية كما أوضحنا في موضع سابق، يجد أن مفهوم التبعيةأو العولمة الصغري يرتبط أو شبح الارتباط بمفهوم السيطرة ،وذلك لفهم واقع البلدان النامية الراهن ، أي لفهم واقع النخلف . أي انه من الممكن تعريف التبعية بشكل عام أنها درجة غير متكافئة للاعتماد والتأثير في المجال القتصادي بين الطرفين الرأسمالي والطرف المتخلف ، أي أن هذا المفهوم يستند في المجال الاقتصادي بين الطرف الرأسمالي والطرف المتخلف ، أي أن هذا المفهوم يستند علي العلاقة الجدلية بين المفاهيم الثلاثة : التخلف والسيطرة والتبعية .[١]

إنه وفقاً لما سبق يمكن القول أن مفهوم التبعيةأو العولمة الصغري هو مصطلح اقتصادي يسعي إلي التركيز بشكل أحادي علي نمو قوي الانتاج ،والعوامل التي تقف عقبة كأداة في سبيل إنجاز مهام التنمية والتحديث ،ناهيك عن بعدها عن طريق الجوانب الثقافية والايديولوجية . أو بقول أخر ، أن مدرسة التبعية في تفسيراتها لتخلف العالم الثالث تبتعد عن مكونات البنية الاجتماعية ، مقابل اهتمامها – فحسب – بالواقع الاقتصادي،وكيف يتم سحب دول العالم الثالث إلي فلك الرأسمالية العالمية [٢] .

1- Chilcote R., Dependency: A critical synthesis of Literature, Latin American perspective, Vol . 1, 1976, p.4.

3- Petras J., Critical perspective on Imperialialism and social class in the third world Monthly Review press , New york , 1978, pp . 40-41 ,

وعن أفكار التبعية او العولمة الصغري يمكن مراجعة :

- إبراهيم العيسوي عباس ،التبعية عن الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولي ثروت ، ١٩٨٩.

إننا نتفق في ذلك مع " كابوراسو " في أن مفهوم التبعية هو عبارة عن كوكبه من المفاهيم التحليلية المتداخلة التي تفسر علاقة الدول المتقدمة بالدول النامية ، علي أنها علاقة إتباع خارجي فقط .أنها بذلك تصبح رؤية أحادية لا شمولية في تشخيص علاقة المسيطر بالضعف[١].

ولكن في ضوء الانتقادات التي توجه إلي مدرسة التبعية ، يمكن القول إننا نقصد بالتبعية الثقافية أنها نوعاً من البنية الفكرية والإيديولوجية التي تتأقلم مع الواقع التابع اقتصاديا ،لتفرغ واقعاً ثقافياً يسعي إلي السيطرة وتأييد عملية الارتباط بالواقع المتقدم ، أو بالاحري هي محموعة من الأفكار والقيم التي تسود من أجل إعادة إنتاج وتقليد ما هو سائد في الغرب المسيطر . إن التبعية الثقافية الناتجة عن عمليات الغزو الثقافي ،هي عملية مكملة وجزء عضوي للتبعية الاقتصادية والسياسية . وعلي ذلك، فهناك عدة مراحل قطعتها علاقة اعتماد والتبعية، الأولي تمثلت إستغلال العالم الثالث ونهبه ، ثم عملية الاختراق والسيطرة ، أي أنها تدرجت من إستخدام المدفع والمساعدات والمنح والقروض ،إلي عمليات الاقناع وتزيف الوعي[٢] .

ان عمليات الغزو أو الاستتباع الثقافي تعد جزءا لا يتجزأ من إيديولوجية الاستعمار، سواء بشكله العتيق أو الحديث ولكن إذا كانت عمليات الغزو الثقافي تتم من خلال عمليات النهب والاستغلال، فإن الغزو الثقافي يتم من خلال آليات الاتصال والاعلام والوسائط الثقافية، والبحوث العلمية المشتركة، أو من خلال ما يسمي بعمليات الاستشراق[٣].

- سمير أمين ، مابعد الرأسمالية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولي ، بيروت ، ١٩٨٨.
- عبد الخالق عبد الله ، اتبعية والتبعية السياسية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولي ، بيروت ١٩٨٦.

3- Caporaseo J ., Depene , Depency in Global System : A structure and Benavioral Analysis , in Intemational , organization 32 ,No . I, 1981, P, 3

٤- مسعود ضاهر ، مجابهه الغزو الثقافي – مرجع سبق ذكره صـ٦٦ .

٥- ينبغي أن نشير إلي عملية الغزو الثقافي تمت في مراحل تاريخية سابقة ، تعو د إلي بدايات القرن التاسع عشر، وفقا للمراحل التاريخية المرتبطة بمحاولات الاستعمار لربط المستعمرات بها ، حول مراحل تطور الاستشراق يمكن الرجع إلي :

ويجدر أن نشير هنا إلي أن فهم ثقافة بلدان العالم الثالث ، كانت تعد أولي مقدمات الغزو الاستعماري لها حتي جاءت بعد حركات الاستشراق ، التي كانت في حقيقتهامحاولة للدفاع عن التراث الاوربي ، ثم تحولت فيما بعد إلي إحدي آليات الغزو [١]. إن الاستشراق دائما ما يرتبط بالاستعمار والتبشير ، فضلا عن إرتباطه بالحركة الصهيونية [٢] . لقد كان الاستشراق وليد للمناخ الثقافي للاهوت الغربي بكل مكوناته، الأمر الذي يدفعنا إلي القول بإن أحد مكونات المناخ الاستعماري [٣].

ولكن يجدر بنا في هذا المكان أن نفضل بين أنواع الاستشراق . فهناك الاستشراق الجامعي ، و الاستشراق الديني ، والاستشراق المعلمن وأخيراً الاستشراق السياسي[٤] . وما يهمنا في هذا الإطار أن نؤكد عليه وفق تعريف " أدوارد سعيد " أن الاستشراق ، ماهو إلا إسلوب غربي يسعي إلي السيطرة علي الشروق ، وفرض سيطرته عليه [٥] . أو بقول أخر ، إنه ميدان من ميادين الدراسة الجادة ، كما أنه في الوقت عينة نتاجا لقوي ونشاطات سياسية تعي إلي تأبيد سيطرة الغرب علي الشرق [٦]. إننا وفق ذلك يمكن اقول أن الاستشراق يعد ظاهرة تاريخية ، وطريقة للتفكير ومشكله معاصره ، فضلا عن أنه واقع مادي .

- حسن عيد الحميد ،" الحضارة الاسلامية بين الوهم والحقيقة " الوطن " جريدة " ،الكويت ١٤. ١٨. ١٩ ديسمبر ١٩٨٤، ص ٦-١٠-١٢.

١- حامد ربيع : الثقافة العربية .....، مرجع سابق ، ص٢٦.

٢- عبد الامير الاعسم ، الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر ، سلسلة كتب الثقافة المقارنة : الاستشراق ،دار الثقافة العامة ، بغداد ، يناير ١٩٨٧، ص١٩.

٣ – عبد العظيم محمود الديب ، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامي ، كتاب الأمة ، العدد ٢٧ ، قطر ، نوفمبر ١٩٩٠ ،ص .

٤- خليل أحمد ، الاستشراق ": مشكلة معرفه أم مشكلة اعتراف بالأخر " الفكر العربي (مجلد) العدد ٣١، معهدالانتماء العربي ، بيروت ، يناير –مارس ١٩٨٣ ،ص ٥٨.

٥- إدوارد سعيد ، الاستشراق : امعرفة .. السلطة.. الانشاء ، ترجمة كمال أبو ديب مؤسسة الابحاث العربية ، الطبعة الأولي ، بيروت ،١٩٨١، ص٣٧.

٦- المرجع نفسه ، ص ٤٨ ،ويمكن مراجعة أيضاً :صادق جلال الاستشراق والاستشراق معكوسا ،دار الحداثه ، الطبعة الأولي ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٥ .

ومنذ حرب أكتوبر ١٩٧٣، وإنتهاج سياسة الانفتاح الاقتصادي سياسية رسمية للمجتمع المصري . والتحول في السياسة الخارجية ، والمضي قدما في اتفاقيات السلام مع إسرائيل ،وقد بات المجتمع المصري تحت رمة الولايات المتحدة الأمريكية اقتصادياً مثلما هو سياسياً وعسكريا . إن تحول مصر منذ السبعينات من نمط إنتاج الدولة القائد الذي نمط إنتاج الدولة التابع . قد رهن إستقلالها من أجل السلام والمعونات والرخاء الامريكي الامر الذي جعلها سجينه اليبعية الامريكية ليس علي الصعيد الاقتصادي والسياسي بل فحسب ،بل علي الصعيد الثقافي فعلي الرغم من أن سياسة الباب المفتوح والاغراق بالاستيراد دون تحويل عمله وتشجيع القطاع الخاص والشركات متعددة الجنسيات ، أصابت المجتمع المصري في مقتل إذا افقدته حيوته وقدرته علي الحركة المستقلة . أن تغيير نمط الانتاج ، صاحبه تغيراًواضحاً في البنة الاجتماعية " الفوقية" فلم يعد الصعيد الاقتصادي والسياسي يمثل واقع التبعية ، بل بات الصعيد الثقافي تابعاً أيضاً ،ذلك الذي يتمثل بشكل واضح في تغيرمنظومة القيم الاجتماعية [1]. وبقول آخر ، يمكن القول أنه منذ ولوج المجتمع المصري في قمة العمل الدولية ،خاصة بعد تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادي . أو ما يعرف في الادبيات الاقتصادية بسياسة الباب المفتوح Policy Open door ويتم إخضاعه علي جميع الاصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية . لقد أضحي العقل في مصر بعد التغير في البنية الثقافية والإيديولوجية مجرد عقل خاضع ، ويسير وفق تعليمات منهج عقلي أخر ، يصدر له ما ينتجه من فكر وثقافة ، وضمانه لترويج ما ينتجه من سلع وتكنولوجيا ،ناهيك عن خدمة أهدافه التوسعيه وسيطرته الاقتصادية.

٧- يمكن الرجوع حول ذلك من :

- البير فرحات ،مصر في ظل السادات ١٩٧٠-١٩٧٩ ،دار الفارابي ، بيروت د.ت.

- جوده عبد الخالق "محرراً" ، الانفتاح .. الجذور.. المصادر .. المستقبل المركز العربي للدراسات وانشر ، القاهرة ،١٩٨٢.

- عادل حسين ، الاقتصاد المصري من الاستقلال إلي التبعية ١٩٧٤- ١٩٧٩ ، جزاءن ، دار الوحدة العربية ، الطبعة الأولي ، بيروت ،١٩٨١.

وفي هذا الإطار يمكن القول أن الغزو الثقافي للمجتمع المصري كان يتم وفق مراحل معينة يمكن إجمالها في

أولاً : تعديل المناهج و الكتب الدراسية وزيادة التوسع في المدارس الأجنبية .

ثانياً : فتح باب التعاون مع الباحثين والجامعات ومراكز البحوث الأجنبية .

ثالثاً: كسر الحاجز النفسي وإغراء قطاع كبير من المثقفين وأساتذة الجامعات المصرية بالتعاون مع مراكز البحوث الأجنبية .

رابعاً: إقامة كثير من البحوث العلمية المشتركة في جميع التخصصات المختلفة.

خامساً: إغراق المجتمع المصري بنتاج ثقافي استهلاكي غربي، وفرض الاغتراب اللغوي والثقافي ، وطمس الشخصية المصرية ،وضرب ما يسمي بالأمن الثقافي .

سادساً : تصدير الثقافات الاستهلاكية الغربية من خلال التقنيات الضخمة والمسلسلات التليفزيونية والإذاعية والسينما والفيديو والإعلانات والمطبوعات [1].

---

١ – حول مخططات الغزو الثقافي وآلياته انظر:

- حسن فتح الباب والسيد خميس ،" الواقع الثقافي من مصر " ، في : عمر الحامدي وآخرون ، مصر عشر سنوات بعد عبد الناصر ، دار الطبعة الأولي ، بيروت ، ١٩٨٠ .

- فؤاد زكريا ، خطاب إلي العمل العربي كتاب العربي ، الكتاب السابع عشر ،الكويت أكتوبر ، ١٩٨٧ .

أهداف الدراسة وتساؤلاتها :

إنطلاقا من أن الثقافة تلعب دوراً وظيفيا في بناء الأمة ، وفي دورها القومي ومسئولياتها الحضارية ومضمونها الإنساني ، فإننا هنا أمام قضية جديرة بالدراسة ، باعتبار أن الثقافة هي خط الهجوم والدفاع الرئيسية في الحفاظ علي ما يسمي بالاستقلال التام . فالثقافة هي صمام الأمان أمام عمليات تهديد العقول وسيادة اللامبالاة والاغتراب والتبعية والمحاكاة وتغيير العادات والتقاليد وأساليب التفكير ، فإن الدراسة الراهنة تسعى إلى الكشف عن واقع التبعية الثقافية ، وكيف ساهمت في تشغيل العقل في مصر، فضلاً عن الوقوف على آليات الاستشراف والغزو.

أن ما أصاب المجتمع المصري من أزمة ثقافية واضحة للعيان، تجعلنا أمام دراسة منهجية تسعى إلى الكشف عن الآليات التي من خلالها تم تشويه أو استتباع ثقافتنا الأصيلة إلى أخرى، فضلاً عن الوقوف على العوامل التي ساهمت في صياغة عقولنا وسلوكنا ، أن هذا النوع من الدراسة لا يعكف فقط على دراسة مكونات ثقافتنا الراهنة دراسة موضوعية، بقدر ما هي دراسة تستند إلى منهج التحليل الكيفي للظاهرات الثقافية التي يصبح بها الواقع الاجتماعي في مصر تلك التي أسفر عنها الغزو الثقافي ، إننا في هذه الدراسة نستن نهجاً متميزا يسعي إلي الكشف عن نواقص وتناقضات واقعنا الثقافي لاستر عيوبنا ، إنطلاقا من أن الخلاص مرهون بوعينا .

وإيزاء ، ذلك الدراسة الراهنة تسعي إلي الإجابة عن التساؤلات التالية :

أولاً : ما أشكال التداخل Interference والتناقض بين القيم الوافدة من الغرب في عمليات الاستهلاك والمحاكاة وبين القيم والمعايير التقليدية ؟

ثانياً : ما العوامل التي أنتجت – وما تزال – تولد واقع التبعية الثقافية وما آليات تغير أنماط الاستهلاك والتداول الثقافي في مصر ؟

ثالثاً : ما دور الوسائط الثقافية في إعادة إنتاج الثقافة التابعة ؟

رابعاً : هل هناك ما يسمي بالتبادل المتكافئ في إنتاج ونشر الثقافة ، أم هناك اتجاه واحد من المسيطر إلي الخاضع فقط ؟

وللإجابة علي التساؤلات التي عرضها لها "توأ" كان علي الباحث أن يجري دراسة ميدانية ، يحاول من خلالها الوقوف علي واقع التبعية الثقافية ، وأهم الآليات التي أن أنتجتها في الواقع المصري .

إجراءات الدراسة الميدانية :

لا نجاز أهداف الدراسة الراهنة، للإجابة علي تساؤلات الدراسة، فقد اتخذ الباحث مجموعة من الإجراءات المنهجية التالية :

١- صياغة مصادر جمع البيانات :

اعتمدت الدراسة الراهنة علي مجموعة من الملاحظات والشواهد الميدانية ، وأيضاً علي أداه رئيسية تتمثل في الاستبيان ، تلك التي اشتملت علي مجموعة من المتغيرات كانت علي النحو التالي :

أ- مجموعة البيانات الأساسية .

ب- بيانات تتصل بالإعلام ومصادر الثقافة.

ج- بيانات تتصل بالعلاقات الثقافية والدولية والتبعية .

٢- مجتمع الدراسة وعينة البحث :

اشتمل مجتمع الدراسة " الراهنة " علي واقعين اجتماعيين ، الأول هو مجتمع الفيوم " المدنية " ، أما الأخر فيتمثل في مدينة القاهرة الكبري ، والواقع أن اختيارهما فرضته ظروف هذه الدراسة ، تلك التي تتمثل في مقارنه واقعين مختلفين أحدهما تتمظهر فيه بوضوح واقع التبعية الثقافية ، والأخر تتواري فيه ، أو تخبو

حينا ، وتظهر حينا أخر . إن اختيارنا لمجتمع القاهرة ومجتمع الفيوم فرضته فرضية أساسية، مؤداها أن علاقات التبعية تشتد وتقوي في المراكز المحلية ، أقصد (القاهرة) ، وتكثر أو تضعف في المحيطات أو الهامش أقصد الفيوم (*) وهذا وقد جاء اختيار عينة الدراسة وفقاً للطريقة العشوائية المساحية ، ولكنها في الوقت نفسه جاءت غير متساوية في كلا من المجتمعين (١) . ففي مجتمع الفيوم جاءت عينة الدراسة مكونه من حوالي ٩٢ مفردة ، بينما جاءت عينة مدينه القاهرة الكبري مكونه من ١٥٦ مفردة (**) وقد يكون هذا عيب في المقارنة بين مجتمع البحث نتيجة لعدم تساوي مفردات مجتمع البحث في كل من القاهرة والفيوم ، ولكن نظرا لطبيعة وخصائص الموضوع المدروس والعينة،فقد اكتفينا بهذا الحجم . هذا من جانب ومن جانب أخر أثرنا أن يكون هناك فارقاً حادثاً في حجم العينة نتيجة للاختلاف أحجام كثافة السكان في كلا من المجتمعين.

ومن الأهمية بمكان أن نوضح هنا أن الاهتمام بهذه الدراسة تعود الى وقت طويل مضى، وتحديدا حينما بدأت بعض القيم الوافدة تسود واقعنا المصري، خاصا بعد تطبيق سياسية الانفتاح الاقتصادي.

ولكن العمل الفعلي فيها جاء بعد أن فرغ الباحث من قراءته حول القضايا المتصلة بالتبعية بشكل خاص، والتحويلات التي طرأت على المنظومة العالمية خاصة مع بدايات عام ١٩٩١. أنه في ضوء ذلك، فقد صاغ الباحث استمارة البحث

---

* أننا هنا ننطلق من قضية محورية تناولناها عن دراسة أخرى ، ترى أن البلدان الرأسمالية باعتبارها مراكز متقدمة وفقاً لمقوله التبعية ، "فإن" القاهرة هنا تعتبر محيط لهذه المراكز وإذا تصورنا هذه العلاقة في إطار النظام العالمي فإن القاهرة ما هي إلا محيط للمراكز العالمية وأمست الفيوم محيط للمحيط. أنظر في ذلك:

- شحاته صيام، العلاقة غير المتكافئة بين القرية والمدينة في مصر، القاهرة "مجلة العدد الثالث" ، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة ، يناير ١٩٩٢.

(١) حول طريقة اختيار العينة العشوائية المساحية أنظر :

- عبد الباسط محمد حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، مكتبة وهبه ، الطبعة السادسة ، القاهرة ١٩٧٧، ص ص ٤٥٥ – ٤٦١.

** ينبغي أن نشير هنا إلى أن عينة الدراسة كانت أكثر من ذلك فهناك مجموعة من استمارات البحث وصلت الباحث بعد ان فرغ من تحليل بيانات الدراسة ، كما أن هناك مجموعة أخرى كانت تحوى العديد من الاستفسارات حول سياسات الدولة خاصة في علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية ودولة إسرائيل.

، وتم الوقوف على عينة الدراسة، فضلا عن تطبيق أداة البحث، ثم تفريغها بطريقة يدوية .

هذا وقد جاءت هذه الدراسة في أربع فصول رئيسية بالإضافة إلى مقدمة منهجية. فالأول يتم عرض الأدبيات الخاصة بالتبعية الثقافية وقضايا الغزو الاستشراق.والفصل الثاني ، فإنه يهتم بتقديم أهم وسائط التبعية الثقافية ، ثم في الفصل الثالث فإننا نهتم بمناقشة عمليات التداخل والتناقض بين القيم الوافدة والقيم التقليدية . أما الفصل الأخير ،فإننا يشرح للعمليات التي ولدت وأنجبت واقع التبعية الثقافية وساهمت في تشكيل العقل في مصر.

ومن خلال هذا العمل يأمل الباحث أن يكون على قدر تصديه لهذا الموضوع الشائك، أن يكون قد أصاب ، والله ولي التوفيق.

تقرير البحث الميداني

أهـــم النتائج

أولاً: التركيب الاجتماعي لمجتمع البحث:

تتوقف عملية فهم المسألة الثقافية في جانب كبير منها على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأفراد. إن مثل هذه الخصائص تعيننا على ربط العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بعملية الوعي الاجتماعي بعمليات الغزو الثقافي والتخريب الإيديولوجي. إننا في هذا الموضوع سوف نتناول أهم الخصائص المميزة للأفراد عينة الدراسة. ونعني بهذه الخصائص السن ، النوع والمهنة ، والحالة الاجتماعية، والحالة التعليمية.

وإذا ما تناولنا متغير السن فنجد أنها تقع في مستوى أعمار القوي العاملة . أو بقول أخر أنهم ينتمون إلى الفئات العمرية الشابة. فعلى سبيل المثال نجد أن عينة الدراسة في مدينة الفيوم، بلغت في الفئة العمرية من ٢٠ – ٣٠ سنة حوالي ٥٦,٥% وفي الفئة العمرية من ٣٠-٤٠ سنه بلغت نحو ٣٦,٩% ، أما الفئة العمرية من ٤٠فأكثر فنجد أنها بلغت نحو ٧,٦% أما في مدينه القاهرة فنجد أن نسبة هذه الفئات العمرية كانت علي التوالي ٢١,٨% ، ٥٢,٢% ، ٥٢% والمدقق في متغير السن يستطيع أن يكشف عن بعد ديمواجرافي اجتماعي بالغ الأهمية ، وهو أن عينة الدراسة يمثلون مرحله عمرية بجانب أنهم من أعمار القوي العاملة، أنهم أيضاً ممن أتموا تعليمهم ، أو سيحصلوا علي شهاداتهم ، ويتحصلون علي قسط معين من الثقافة يجعلهم واعين اجتماعيا بما يدور حولهم.

أما بالنسبة للعمل ، فنجد أن عينة الدراسة تتنوع وفقا للوظيفة . فعلي سبيل المثال نجد في مدينة الفيوم (انظر الجدول رقم ١) أن عينة الدراسة انحصرت وظائفهم فيما يلي : طالب جامعي ، مدرس ، محامي، محاسب ، موظف، خريج

ولا يعمل وقد كانت أعلي النسب في هذه العينة من نصيب الذين لا يعملون بنسبة تقدر بحوالي ٢٨,٣% ثم جاءت في المرتبة الثانية نسبة المدرسين بنحو ٢٠,٧% ثم الموظفين بنحو ١٩,٦% ، وقد سجل المحامين نسبة تقدر بنحو ١٤,١% ثم الطلبة.

ثانياً : مصادر الثقافة وتشكيل العقل :

تلعب الدولة دوراً واسعاً في إنتاج المعارف ، باعتبارها أحد المهام الإيديولوجية التي تضطلع بها بجانب وظائفها المتعددة ، كما إنها في الوقت ذاته تعكس ما تقوم به الدولة من أجل الحفاظ علي صيرورتها ووظيفتها . إن الدولة بوصفها أداة للهيمنة ، فهي تعمل علي أن تكون الاداه الأساسية للثقافة ، فامتلاك الثقافة والسيطرة عليها ، شأنه شأن أشكال الملكية ، فالدولة كما تحافظ علي مصالح الطبقة المسيطرة ،فهي في الوقت ذاته حارسة لضمان الأداء استمرار الوظيفي لمؤسساتها .

وإذا كانت الدولة هي مصدر المعرفة ، فإنه ولابد من وسيط يتم به نقل هذه المعرفة ، أن أهم الوسائط التي يتم بها نقل المعارف تتمثل في الصحف والكتب والتليفزيون والإذاعة والسينما والمؤسسة التعليمية . فالدولة هي أداة توجيه وتشكيل العقل وما يحمله من ثقافة . إن تشكيل العقل ، أو تصنيعه ، وصياغة ثقافات الشعوب ، تمتلك زمامه الحكومات، وذلك ضمانه لبرمجه العقول وفق أهدافها وبرامجها وسياساتها ، سواء علي الصعيد الداخلي أو الخارجي*.وفيما يتصل بوسائط الدولة في تشكيل العقول ، أفادت الدراسة أن هناك حوالي ٧٤,٤% من مجموع عينة الدراسة في مدينة الفيوم تقرأ الصحف اليومية ، في مقابل ٢٧,٦% لا

(*) ينبغي أن نشير هنا أننا في توزيع أفراد الدراسة لم تعتمد علي التصنيف المهني القومي الشامل ، وذلك يعود إلي خصوصيته البناء المهني في مجتمعين الدراسة ، لذا فقد اعتمدنا في ذلك علي تصنيف مهني إجرائي ، فرضته علينا مجموعة المناشط المهنية التي جاءت من خلال استجابات عينة الدراسة .

يقرأوا منها بانتظام . أما في مدينة القاهرة ، فنجد أن هذه النسب بلغت علي التوالي ٧٢,٤% ، ٢٧,٦% أن عزوف هذه النسبة عن الاطلاع علي الصحف ، ربما يعود في تقديرنا إلي عدم ثقتهم واقتناعهم لمحتوي هذه الصحف أو ربما لثقتهم الزائدة في قدرة الصحف علي تزيف الوعي .

وحول أهم الصحف المفضلة لدي عينة الدراسة في مدينة الفيوم، نجد أن جريدة الأهرام قد احتلت مكانه متقدمة ، إذ سجلت نحو ٥٣,٣% ، ثم جاءت جريد الأخبار في المرتبة الثانية بنسبة ٣٦,٩% ، ثم جاءت في المرتبة الثالثة جريدة الجمهورية بنحو ٢٣,٩% . وفيما يتصل بأهم الجرائد الحزبية ، نجد أ، جريدة الوفد تأتي في صدر هذه الجرائد بنسبة ٢٢,٨% ثم جريدة الشعب ومايو بنسبة ٢٠,٦% بينما احتلت مصر القناه المرتبة الأخيرة بنسبة تقدر بنحو ١٠,٨% ، أما بالنسبة لمدينة القاهرة ، نجد أن جريدة الأهرام جاءت أيضاً في المقدمة بنسبة ٥٥,١% ، ثم في المرتبة الثانية جاءت جريدة الأخبار بنسبة ٤٠,٤% أما جريدة الجمهورية فقد حققت نسبة متدنية ، إذا تبلغ ١٤,١%أما بالنسبة للجرائد الحزبية ، فنجد أن جريدة الشعب قد احتلت مكانه متقدمة بنسبة٣٠,١% ثم جاءت جريدة الوفد في المرتبة الثانية بنسبة تقل عن الأولي بنحو ٢,٥% ، وقد سجلت جريدة الأمة اقل المراتب بنسبة تقدر بنحو ١,٩% . انظر الجدول (٢) . وحري بي أن أوضح لأن الجرائد الحزبية بما أنها تعبر عن اتجاهات إيديولوجية محددة، لذا فإنه من الممكن القول أن النسب سالفه الذكر ترتبط بشكل أو بأخر بتوجهات إيديولوجية محددة.

جدول رقم (٢) يوضح الصحف التي تفضل عينه الدراسة قراءتها

المدنية / الصحيفة	الفيوم		القاهرة	
	ك	%	ك	%
الأهرام	٤٩	٥٣,٣	٨٦	٥٥,١
الأخبار	٣٤	٣٦,٩	٦٣	٤٠,٤
الجمهورية	٢٢	٢٣,٩	٢٢	١٤,١
الوفد	٢١	٢٢,٨	٤٣	٢٧,٦
الشعب	١٩	٢٠,٦	٣٦	٣٠,١
الأهالي	١٢	١٣	٣٢	٢٠,٥
مصرالفتاه	١٠	١٠,٨	١٥	٩,٦
الأمة	-	-	٣	١,٩
مايو	١٩	٢٠,٦	٣٧	٢٣,٧
اللواءالاسلامي	٦	٦,٥	-	-
أكتوبر	١١	١١,٩	٣١	١٩,٩
الحقيقة	٣	٣,٢	-	-
أخريتذكر				

وحول الابواب النقررة التي تحرص عليها عينة الدراسة في الجرائد ، فقد أوضح الجدول رقم (٣) أن الموضوعات السياسية شغلت المرتبة الأولي للعينة في

مدينة الفيوم حيث سجلت نحو ٥٩,٨% ثم جاءت الموضوعات الرياضية في المرتبة الثانية إذا سجلت نسبة تقدر بنحو ٣٦,٩% ، وقد جاءت في المرتبة الأخيرة الموضوعات الفنية . أما بالنسبة لمدينة القاهرة فقد جاءت في المرتبة الأولي الموضوعات السياسية أيضاً ، إذا سجلت نحو ٦٢,٨% ثم جاءت المرتبة الثانية الموضوعات الاقتصادية بنحو٤٠,٤% ثم جاءت في المرتبة الأخيرة الموضوعات الفنية أيضاً بنحو ٧,١% .

وبالنظر إلي أهم مصدر – من وجهة نظر الباحث – في تشكيل العقل المصري ، الا وهوالتليفزيون الذي يفوق في إمكاناته عن غيره من الوسائط الثقافية الأخري ، لما له من قدرة علي غزو كل بيت ، والوصول حتي أماكن النوم ، دون أن يتطلب ذلك جهداً أو مالا أو التزاما محدداً . فمن خلال الجدول رقم (٤) ينكشف لنا أن هناك حوالي ٩٦,٤% من مجموع عينة الدراسة في مجتمع الفيوم يشاهدون التليفزيون، بينما يوجد حوالي ٣,٣% لا يشاهدونه . وبالنظر إلي مجتمع الدراسة في مدينة القاهرة ، نجد أن حوالي ٨٣,٩% يشاهدوون التليفزيون، وأن حوالي ١٦,١% عكس ذلك .

جدول رقم (٣) يوضح الابواب المقررة التي تحرص عينة الدراسة علي قراءتها في الجرائد

المدنية / الابواب المقررة	الفيـــوم		القـــاهرة	
	ك	%	ك	%
سياسية	٥٥	٥٩,٨	٩٨	٦٢,٨
اقتصاية	٣٢	٣٤,٨	٦٣	٤٠,٤
ثقافية	٢٦	٢٨,٣	٥٨	٢٧,٢
اجتماعية	٢٠	٢١,٧	٤٣	٢٧,٦
رياضية	٣٤	٣٦,٩	٢٥	١٦ .-
فنية	١٤	١٥,٢	١١	٧,١
حوادث	٢٣	.٢٥ -	١٣	٨,٣

جدول رقم (٤) يوضح مشاهدة عينة الدراسة للتليفزيون

المدنية / الاستجابة	الفيوم		القاهرة	
	ك	%	ك	%
نعم	٨٩	٩٦,٧	١٣١	٨٣,٩
لا	٣	٣,٣	٢٥	١٦,١
المجموع	٩٢	١٠٠	١٥٦	١٠٠

وعن أهم البرامج التي يتابعونها عبر الشاشة الصغيرة ، نجد أنها إنحصرت في البرامج الاخبارية والدينية،والثقافيةوالافلام، والمسرحيات، والبرامج الرياضية والاغنيات، والبرامج الترفيهية. وقد تنوعت إستجابات عينة الدراسة فيما يتصل بأسماء البرامج (*) والمدقق في طبيعة البرامج يستطيع أن يستدل علي أنها إبتعدت عن البرامج الاقتصادية والسياسية الجادة التي من شأنها أن توسع أو تزيد من عمليات الوعي الاجتماعي علي المستوي القومي أوحتي الوعي الذاتي بالمصالح الاجتماعية. وقد أوضحت عينة الدراسة أيضاً ، أنهم يفضلون مشاهدة هذه البرامج – التي أشرنا اليها– لمجموعة من الأسباب الاتية :

أولاً : أنها تهتم بالوعي الديني والعلمي، كما أنها تزيد من المعارف المتــصلة بالأمور الفقهية .

(*) لقد جاء حصر البرامج في مجتمعي البحث كالآتي :

العلم والإيمان – فتاوى وأحكام - حكايات مصرية – حكاوي القهاوي – نادي السينما – مباريات كرة القدم – مواقف وطرائف – المسلسل العربي – المسرحيات – الأفلام الندوات الدينية – فكر ثواني واكسب دقائق – من غير ميعاد – أماني وأغاني – أبناء وآراء – الجريدة المصورة – نهاية الأسبوع- الكرة في أسبوع – كلام من دهب – عالم البحار – أوسكار – شخصيات ضاحكه – مجلة التوحيد – مجلة الأغاني .

ثانياً : أنها تناقش التاريخ الاجتماعي الذي يفتقد إلـــي معرفتـــه مـــن خـــلال الدراسة الجامعية .

ثالثاً : أنها تساهم في إضافة جو من المرح والترفيه علي المشاهدين .

رابعاً : أنها تربط الأفراد بما يحدث في العالم خاصة في متابعـــة الاحـــداث السياسية والثقافية والاقتصادية .

وحول ما إذا كانت عينة الدراسة تقضي وقتا طويلاً أمام شاشات التليفزيون فقد أوضحت الدراسة الميدانية أن هناك حوالي ٥٣,٣% في مدينة الفيوم يفعلون ذلك ، في مقابل أن هناك ٤٦,٧% لا ينفقون الوقت الكبير أما التليفزيون . أما في مدينة القاهرة ، فإن هنا حوالي ٦٢,٨% يقضون وقتا طويلاً في مشاهدة التليفزيون ، بينما نجد أن حوالي ٣٧,١% عكس ذلك تماما . والمدقق في هذه النسب يستطيع أن يقف علي حقيقة باهرة للعيان ، مؤداها ، أن هناك نسبة كبيرة من عينة الدراسة تهدر وقتها في مشاهدة التليفزيون ويجعلهم أسيرين له ، دون الاستفادة منه ، فضلا عما يقوم به من تزيف لوعيهم أضف إلي ذلك – أن مشاهدة التليفزيون تعد أقل مصادر تكون الثقافة تكلفة من حيث الوقت والمال والجهد [١] .

إذا ما تعرضنا إلي مصدر تكون الثقافة الا هو الكتاب ، نجد أن هناك حوالي ٩٦,٦% في مدينة الفيوم يقرأون الكتب ، بينما هناك ٣٠,٨% توجد قطيعة بينهم وبين الكتاب أن ارتفاع هذه النسبة إلي (حوالي الثلث) تعود في تصورنا إلي ارتفاع ثمن الكتاب وندرته فضلا عن عدم وجود مصادر أخري مثل المكتبات العامة ، يمكن الحصول منها علي الكتب . أما في مدينة القاهرة ، فنجد أن هناك نسبة كبيرة

(*) يعتبر التليفزيون في معظم بلدان العالم الثالث أحد الأدوات التي توظفها السلطة لخدمة أغراضها والحفاظ علي مصالحهما ، وعلي الأخص في تزيف الوعي الجماهيري ، ولكنه في أوقات وأماكن محددة يعمل تنوير الواقع الاجتماعي ، مثلما حدث في الواقع الجزائري بان الاحتلال الفرنسي لها .

انظر في ذلك :

- مرانز فانون ، سوسيولوجية ثورة ، ترجمة درخمان قرقوط ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٩.

تتعامل مع الكتاب ، وهذه بلغت نحو ٩٧,٤% ، بينما كان من لا يقرأ الكتب حوالي ٢,٦% فقط ، وهذه تعد نسبة قليلة جدا ، يمكن إرجاع ذلك إلي أن القاهرة تعد بالنسبة لبقية أماكن الجمهورية هي منارة التنوير حيث الكتاب والكتاب وفيما يتصل بنوعية الكتب التي تتعامل معها عينة الدراسة نجد أن الكتب الدينية قد احتل المرتبة الأولي في مدينة الفيوم ، بنسبة بنحو ٣٥,٩% (أي ما يزيد عن ثلث العينة).

ثم تأتي في المرتبة الثانية الكتب السياسية بنسبة ٢٣,٤% ، ثم جاءت في المرتبة الثالثة الكتب الفنية والأدبية بنسبة ١٢,٥% انظر الجدول رقم (٥) . ومن الجدول نفسه يتضح انه في مدينة القاهرة حظيت الكتب السياسية بالمرتبة الأولي بنسبة ٣٤,٩% أما المرتبة الثانية فكانت من نصيب الكتب الدينية بنحو ٢٥% ، أما المرتبة الأخيرة فقد كانت من نصيب الكتب الفنية والأدبية بنسبة ٣,٣%.

جدول رقم (٥) يوضح نوعية الكتب التي يقرأها عينة الدراسة

اسم المدنية / الاستجابات	الفيوم		القاهرة	
	ك	%	ك	%
سياسية	١٥	٢٣,٤	٣٥	٣٤,٩
اقتصادية	٥	٧,٨	١٨	١١,٨
ثقافية	٨	١٢,٥	٢٩	١٩,١
دينية	٢٣	٣٥,٩	٥	٣,٣
فنية	٨	١٢,٥	٣٨	٢٥
رياضية	–	–		
قانونية	٤	٦,٢	٩	٥,٩
تاريخية	٢	٣,١	–	–
عسكرية	١	١,٥	–	–
أخرى تذكر				

ومع آخر التقنيات المستخدمة في تكوين أو صياغة العقل في مصر، أوضحت عينة الدراسة في مدينة الفيوم أن حوالي ثلثي (٦٣,١%) لا يملكون جهاز فيديو، وأن ما يزيد عن الثلث قليلاً (٣٦,٩%) يملكونه. أما في مدينة القاهرة فنجد عكس ذلك ، إذ أن من يملك الفيديو كانوا حوالي ثلثي العينة (٦٦%) ، وان من لا يملكه كان حوالي الثلث تقريباً (٣٤%) . إن ذلك يعود في تصورنا إلى المستوى

الاقتصادي والاجتماعي الذي أضحى عاملاً حاكماً في اقتناء مثل هذه التقنيات التي تتحكم في أسعارها ليست آليات السوق وإنما البرجوازية العالية والمحلية "الكومبرادور" معاً.

ولتحديد عدد الساعات التي يقضيها أفرد عينة الدراسة أمام النت، أنظر الجدول رقم (٦) نجد أنه في مدينة الفيوم ، أن من يقضي ساعتين قد احتلوا المرتبة الأولى نسبة تقدر بنحو ٤٤,١%، وأن من يقضي ساعة واحدة قد جاءوا في المرتبة الثانية بنسبة تقدر بنحو ٢٦,٥% وان من يقضي أكثر من ثلاثة ساعات قد احتلوا المرتبة الثالثة بنسبة تقدر بنحو ١٤,٧% أما بالنسبة لمدينة القاهرة ، فنجد أن من يقضي ثلاثة ساعات فقد بلغوا نحو ٤١,٧% ثم جاء في المرتبة الثانية من يقضي ساعتان بنسبة ٣٣,٩ ثم جاء في المتربة الثالثة من يقضي أكثر من ثلاثة ساعات بنحو ١٢,٦% أما المرتبة الأخيرة فنجد أنها كانت من نصيب من يقضي ساعة واحدة ، حيث كانت نسبتها نحو ١١,٧%.

جدول رقم (٦) يوضح المدة التي يقضيها عينة الدراسة أمام جهاز الفيديو

المدنية / الاستجابات	الفـــيوم		القـــاهرة	
	ك	%	ك	%
ساعة	٩	٢٦,٥	١٢	١١,٧
ساعتان	١٥	٤٤,١	٣٥	٣٣,٩
ثلاث ساعات	٢	٥,٩	٤٣	٤١,٧
أكثرمن ثلاثة ساعات	٥	١٤,٧	١٣	١٢,٦
المجموع	٣٤	١٠٠	١٠٣	١٠٠

والمدقق في البيانات السابقة يمكن القول أن النت يستحوذ علي قسط كبير من الوقت في قضاء ، أو بمعني أخر، أنه يسرق الوقت ، وأن هذا الوقت يخلق من خلال عملية تفاعل بين الفرد والنت مجموعة من القيم والاتجاهات والمعتقدات الجديدة التي يكتسبها عن طريقه.

أما بالنسبة لنوعية البرامج التي تفضل مشاهدتها عينة الدراسة ، ففي مدينة الفيوم تبين أن أهمها كان يتمحور في أفلام المغامرات وقد مثلت حوالي ٣٥,٣% من استجابات عينة الدراسة ، ثم حققت المركز الثاني مجموعة الأفلام البوليسية والعنف ، بنسبة تمثل بنحو ٢٦,٥% ، ثم جاءت في المرتبة الثالثة المشكلات الاجتماعية بنحو ١٤,٧% ثم أفلام الفضاء والخيال العلمي بنسبة ١١,٨% ، والقضايا التاريخية بنحو ٨,٨%، أما أخر هذه البرامج فكانت من نصيب الأفلام الجنسية بنحو ٢,٩% أما في مدينة القاهرة ، فنجد أن أهمها كان يتمثل في المشكلات الاجتماعية والأفلام والدرامية ، إذ احتلت مقدمة رغبات عينة الدراسة بنحو

٢٢,٣% ثم جاءت الأفلام البوليسية والمغامرات والعنف بنسبة ٢١,٤% الأخبار السياسية بنسبة ١٣,٦% ، ثم البرامج التاريخية بنسبة ١٣,٥% ثم برامج الفضاء والخيال العلمي بنسبة ١١,٦% ثم الأفلام الجنسية بنسبة ٩,٧% . إن ما سبق من تحديد لنوعية الأفلام التي تفضلها عينة الدراسة ، يمكن أن يفيدنا في التعرف علي التأثير غير المباشر من خلال ما يعرض ، ومن ثم يمكن عن طريقها تحويد مدي تأثير النت ، ناهيك عن الوقوف إلي أي مدي تؤثر البيئة في اختيار نوعية البرامج .

وعن الأشياء التي يمكن أن تتعلمها عينة الدراسة من النت . فوفقاً للجدول رقم (٧) ، نجد أنها جاءت علي النحو التالي : زيادة المعلومات وتوسيع الأفق والإدراك في المرتبة الأولي بنسبة ٥٨,٣% ثم التعرف علي المشكلات الاجتماعية في المرتبة الثانية بنسبة ٤٣,٦% ، أما المرتبة الثالثة فجاءت الاستفادة من لغة وثقافة البلدان الاخري بنحو ٣٠,٧% ثم كيفية حل المشكلات الاجتماعية بنحو ٢٧,٦% ثم التعامل مع الآخرين في الحياة بنسبة ٢٢,٤% ثم التعرف علي المجتمعات الاخري بنسبة ١٧,٣% ، وأخيراً التعرف علي العادات والتقاليد في المجتمعات الاخري بنسبة ٧,٧% ، وإذا كانت هذه النسب تخص مدينة القاهرة ، فإن استجابات عينة الدراسة في مدينة الفيوم نجدها تباينت عما هو سائد في الفيوم ، إذ احتلت زيادة المعلومات وتوسيع الأفق والإدراك نحو ٧٠,٧ ، ثم جاء التعرف علي المجتمعات الاخري بنحو٥٣,٣% ، ثم التعرف علي المشكلات الاجتماعية بنحو٤٠,٢% ، ثم التعرف علي العادات والتقاليد في المجتمعات الاخري بنحو ٣١,٥% ثم حقق كل من التعامل مع الاخرين في الحياة ، وكيفية حل المشكلات علي نسبة تقدر بنحو ١٤,٤% ثم جاءت في المرتبة الأخيرة الاستفادة من لغة وثقافة البلدان الاخري بنسبة ٦,٥% والمدقق في النسب سالفه الذكر يستطيع أن يستدل منها علي مزايا النت في مجتمعي الدراسة تلك التي تتركز في تعلم بعض المبادئ الاجتماعية وتوسيع الإدراك وزيادة

الوعي وتعلم الثقافة والعادات الجديدة بالإضافة إلي تعلم أشياء جديـــدة تمكـــنهم مـــن التعامل مع مشكلاتهم الاجتماعية بطريقة جديدة .

جدول رقم (٧) يوضح الأشياء التي يتعلمها الشباب من النت

اسم المدينة / الاستجابات	القاهرة		الفيتوم	
	ك	%	ك	%
زيادة المعلومات وتوسيع الأفق والإدراك والثقافة.	٩١	٥٨,٣	٨٦	٧٠,٧
التعرف علي المشكلات الاجتماعية.	٦٨	٤٣,١	٣٧	٤٠,٢
التعرف علي كيفية حل المشكلات الاجتماعية.	٤٣	٢٧,٦	٣٧	١٤,١
التعامل مع الاخرين في الحياة الاجتماعية.	٣٥	٢٢,٤	١٣	١٤,١
التعرف علي المجتمعات الاخري.	٢٧	١٧,٣	٤٩	٥٣,٣
الاستفادة من لغة وثقافة البلدان الاخري.	٢٨	٣٠,٧	٢٩	٣١,٥
التعرف علي العادات والتقاليد في المجتمعات الاخري.	١٢	٧,٧	٢٩	٣١,٥

وإذا كنا قد أوضحنا مزايا النت من وجهة نظر عينة الدارسة، فــإن عيوبــه تتخلص بالنسبة لمجتمع الفيوم في الانشغال عن المذاكرة أو العمل بنسبة ٣٠% ، ثم تضييع الوقت بنسبة ٢١,٧% ، ثم انحراف الشباب وفساد الأخلاق وتــسمم العقــول بنسبة ٤٦,٧% ، والادمان والكسل بنسبة ١٣% ، فإننا نجد هذه النسب علي التــوالي في مجتمع القاهرة كما يلي : ٩,٨% ٢١,٢%،٤٩,٤%، ٢٨,٨%،٤٠,٤% .

وإذا كان الجدول رقم (٧) قد أوضح مزايا النت فــإن عيوبــه تتركــز فــي انحراف الشباب وفساد الأخلاق واقتباس عادات لا تتوافق مع مجتمعنا ، أي أن ثمــة وعياً اجتماعياً في تحديد المزايا والعيوب والمتفحص بدقة لكل من مزايا والعيــوب ، يجد أنه أمامه جهاز "جد" خطير يستطيع أن يؤثر بشكل بالغ فيه ويجعل منــه عقبــة كؤود أما عمليات التنمية .

وعن أفضل وسائل الإعلام في تثقيف الناس ، ترى عينة الدراسة في مدينــة الفيوم أن النت هو أفضل الوسائل من حيث التثقيــف (٤٦,٧%) بينمــا أقلهــم هــو الإذاعة (٢,١%) ، بينما يرى (٥٣,٣%) أنه لا يوجد وسيلة إعلامية واحــدة تلعــب دوراً مؤثراً في تثقيف الناس .أي أن وسائل الإعلام تلعب دوراً مضاداً في الثقافــة . وبالنظر إلى مجتمع القاهرة نجد أن النت يعــد أهــم وســيلة فــي تثقيــف النــاس (٤٨,٧%)، بينما أقلهم هي الإذاعة (١٨,٦) ، بينما يرى (٧,١%) من مجموع العينة أنه لا توجد وسيلة واحدة تؤثر في ثقافة الناس من هذه النسب يتضح أن عينة مجتمع القاهرة تخالف مجتمع الفيوم في تصوراتهم نحو أفضل وسائل الإعــلام فــي ثقافــة الناس ، وأزعم أن ذلك يعود إلى طبيعة واختلاف عينة المجتمعين من حيث العادات والتقاليد والمستوى الاقتصادي والاجتماعي وحتى الوعي الاجتماعي .

جدول رقم (٨) يوضح أفضل وسائل الإعلام في تثقيف الناس

"يسمح بأكثر من استجابة "

اسم المدنية / الاستجابات	الفيوم		القاهرة	
	ك	%	ك	%
الإذاعة	٤٣	٤٦,٧	٢٩	١٨,٦
الصحافة	٣٥	٣٨	٧٣	٤٧,٨
التلفزيون	٢٧	٢٩,٣	٥١	٣٢,٧
النت	٢	٢,١	٦٧	٤٨,٧
لا يوجد	٤٩	٥٣, ٣	١١	٧,١

ثانياً: وسائط الإعلام والتبعية الثقافية :

يرى هيربرت شلير ، أنه إذا كانت الرأسمالية العالمية تسعى إلى فرض سيطرتها على الواقع الاجتماعي الاقتصادي للبلدان النامية ، تعمل على تحطيم الحواجز القومية ، فإنها في الإطار الثقافي ، فإنها تعمل على توظيف الثقافة على الصعيد العالمي لخدمة أهدافها ،أو بمعنى أخر ، أنها تسعى إلى جعل الثقافة أحد محاور إستراتيجيتها . فوسائط الثقافة ما هي إلا امتداد للإستراتيجية الاستعمارية في مواجهة الدفاع عن الهوية الثقافية[١] .

ولما كانت وسائل الإعلام تدخل في إطار الوسائط الثقافية ، فإننا في هذا الجزء نحاول الكشف من خلال عينة الدراسة عن العلاقة بين وسائط الإعلام بالتبعية الثقافية فحول ما إذا كانت ماتقدمه وسائل الإعلام تتوافق مع طبيعتنا وقيمنا ، قد أفادت الدراسة الميدانية في مدينة الفيوم أن حوالي الثلث (٣٢,٦%) يرون أنها تتوافق بينما نجد أن هناك حوالي ثلثي عينة الدراسة يرون أنه لا تتوافق . وبالنظر إلي مجتمع القاهرة ، نجد أن هناك حوالي خمسي عينة الدراسة (٤٢,٩%) يرون أنه تتوافق بينما نجد أن هناك حوالي النصف ويزيد (٥٧,١%) يرون أنها لا تتوافق. والمدقق في هذه النسب يجد أنه تعبر بوضوح عن طبيعة الثقافة الريفية ، فضلا عن التوجهات القيمية المحافظة التي تتميز بها الثقافات الريفية .

وعلي الرغم من أن هناك موقفا محدداً من وسائل الإعلام ، يختلف باختلاف الموقع الجغرافي ، فإن هناك أيضاً موقفاً اجتماعياً من قضية قيام وسائل الإعلام بدورها الثقافي . وفي إطار ذلك تري عينة الدراسة في مجتمع الفيوم أن هناك حوالي ٧٠,٧% يرون أن وسائل الإعلام تشوه الثقافة المصرية والاسلامية الأصيلة ، بينما يري حوالي ٢٩,٣% عكس ذلك . وبالنظر إلي هذه النسب في مجتمع

1- Sgiller H., Communication and culture dominaion , wnite . P LAINS PUBLISHER ., New york 11977.

القاهرة ، نجد أنها بلغت علي التوالي نحو ١٧,٨% ، ٢٨,٢% والملاحظ في هذه النسب يجد أنها ولأول مرة يحدث شبه اتفاق بين عينتي الدراسة ، برغم اختلاف المكان والبيئة . إن ذلك يدلنا بشكل قاطع علي عدم قيام وسائل الإعلام بدورها الثقافي الحقيقي ، الذي دل ، إنما يدل علي تزيف الواقع وتقديقها لثقافة لا تنبع من واقعنا الاجتماعي الأصيل .

وللوقوف علي طبيعة الغزو الثقافي من خلال أراء عينة الدراسة، يتضح من خلال الجدول التالي ، إننا لا نعرف عن الغرب مثلما يعرف عنا . أي . أن الاستشراق يزيد من عملية الاستغراب . ويوضح الجدول أيضاً ، أن هناك حوالي ٩,٢% في مجتمع الفيوم يرون أننا لا نعرف عن الغرب مثلما يعرف هو عنا ، في ٩,٨% يرون عكس ذلك . وبالنظر إلي مجتمع القاهرة نجد أن حوالي ٨٩,٨% يرون أن لا يشكل جزء كبير في معارفنا ، بينما يري ١٠,٢% أننا نعرف عن الغرب مثلما نحن نعرف عنهم والمدقق في حقيقة الأرقام السابقة يستطيع أن يستدل علي عدم وجود فوارق قاطعة في أراء مجتمعي الدراسة ، تلك التي توضح وجود ثوابت – مهما اختلفت طبيعة الثقافة والبيئة – فيما يتصل بحقيقة الأخر ، أقصد هنا الغرب أو الاستعمار الذي يسعي دائماً إلي تكوين مجموعة المعارف التي تمكنه من الغزو والسيطرة الاقتصادية، فضلا عن ربط مجتمعاتنا بفلك تبعيته ، إن عدم معرفتنا بالغرب ، يجعلنا دائما عرضه لاستنزاف دائم ومستمر ، فضلا عن واد كل محاولات التقدم والتحديث .

جدول رقم (٩) يوضح رأي عينة الدراسة في مدي معرفتنا بالغرب

المدينة / الاستجابات	الفيوم		القاهرة	
	ك	%	ك	%

نعم	٩	٩,٨	٤٤	١٠,٢
لا	٨٣	٩,٢	١١٢	٨٩,٨
المجموع	٩٢	١٠٠	١٥٦	١٠٠

وحول ما إذا كان الإعلام بشكله الحالي يؤدي إلي الاستقلال أم إلي التبعية أفادت عينة الدراسة أن الإعلام يؤدي إلي التبعية . فالنظر إلي مجتمع الفيوم ، نجد أن هناك حوالي ٩٦,٧% يرون أن وسائل الإعلام وما تقدمه من برامج تؤدي إلي ربط المجتمع المصري بآليات التبعية . بينما يري حوالي ٣,٣% أن الإعلام المصري لا يؤدي إلي التبعية . أما في مجتمع القاهرة ، فمثلا نجد اختلاف واضحا في نسب الاستجابات ، إذا نجد أن هناك حوالي ٨٨,٩% يرون أنها تؤدي إلي التبعية ، بينما يري حوالي ١١,٤% عكس ذلك أي أنها تؤدي إلي الاستقلال . إن ذلك يعبر بشكل فج عن الوعي الاجتماعي الذي عجزت وسائل الإعلام عن تزيفه لدي الأغلبية من عينة الدراسة في الفيوم والقاهرة ، فضلاً عن قيام وسائط الإعلام بدور غير وطني يتمثل في جر المجتمع المصري برمته إلي فلك المنظومة العالمية .وفيما يتصل بمصداقية أجهزة الإعلام المصرية لدي عينة الدراسة ، أفادت الدراسة الميدانية أن حوالي ثلث عينة الدراسة في الفيوم ٦٧,٤% يفضلون أن يستقوا معلوماتهم وخاصة الأحبار من وسائل الإعلام الغربي ، وأن هناك حوالي ثلث العينه (٣٥,٩%) تفضل أن تستقبل الأخبار من الإعلام المصري ، بينما نجد أن هناك ١٧,٦% يفضلون أن يستقوها من الاثنين معا . وبالنظر إلي عينة القاهرة نجدها كانت علي التوالي ٤٩,٤% ٣١,٨% إن ذلك يدلنا علي ضعف الثقة في أجهزة الإعلام المصري ، ودورها في تزيف الوعي الاجتماعي ، وحجب الأخبار وعدم تقديمها بطريقة موضوعية ، ناهيك عن انحيازها للسلطة لا للجماهير .

وإذا ما كانت الدراسة الراهنة بصدد التعرف علي دور وسائل الإعـــلام فـــي جر المجتمع المصري إلي تلك التبعية الرأسمالية ، فإنه من المفيد هنـــا أن نتعـــرف علي أراء المبحوثين في دور الإعلام في الحفاظ علي ما يسمي بالاستقلال الثقافي . وفي إطار ذلك تكشف لنا الدراسة الميدانية عن أن هناك حوالي ٨٨,٥% في مجتمع الفيوم يرون أن السياسات الإعلامية لا تحقق ذلك ، بل تزيد من واقع التبعية ، وفي نفس المجتمع يري ١١,٥% أن سياسات الإعلام المصري تقضي إلـــي مـــا يـــسمي بالاستقلال الثقافي ، وبالنظر إلي مجتمع القاهرة نجد أن هذه النسب علـــي التـــوالي بلغت نحو ٨٦,٤% ١٣,٦% أي أن ثمة اتفاق بين عينة الدراسة علي أن الـــسياسات الإعلامية تعمل علي مزيداً من سيطرة الغرب علينـــا ، أو هـــي بـــالاحري إحـــدي الآليات التي تعمل علي تثبيت الواقع التبعي . إن ذلك يكشف بجلاء عن الدور الـــذي يلعبه الإعلام في سيادة ما يسمي بالتبعية الثقافية . أو بكلام أخر ، أي أن ثمة علاقة موجبة بين الإعلام ووسائطه وما يسمي بالاستتباع الثقافي .

ثالثاً : التعليم والأمن الثقافي :

يعتبر مفهوم الأمن الثقافي من المفاهيم المحورية التي تأتي فـــي مقابـــل مـــا يسمي بالغزو الثقافي وانطلاقا من دور التعليم ووظيفته في بناء هوية الأمة والحفاظ علي استقلالها ومسئوليته الوطنية ، فإنه يعد أحد المحاور الرئيسية التـــي يتـــضمنها مفهوم الأمن الثقافي ، حيث يسعي إلي الحفاظ علي مقومات وأبعاد ومظاهر الثقافة ، فضلا عن زوده عن منطق الاستسلام والذوبان في الثقافات الوافدة أو الدخيلة التـــي تهدد العقول وتشبع فيها الاغتراب .

وبمعرفة رأي عينة الدراسة في شكل التعليم الحالي ، يتضح من الجدول رقم (١٠) أن هناك حوالي ٨٠,٤% من مجموع عينة مجتمع الفيـــوم لا يوافقـــون علـــي شكل التعليم الحالي ، بينما تري مثلهم حوالي ٨٣,٣% فـــي مجتمـــع القـــاهرة . إذا نظرنا إلي نسبة من يوافق علي شكل التعليم الحالي فنجد أنهم بلغوا في الفيوم حوالي

١٩,٦% أما في القاهرة فنجد أنهم بلغوا حوالي ١٦,٧% والمدقق في هذه النسب لا يجد هناك فروق ساطعة برغم تباين المستوي الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وقرب وبعد المجتمعين من السلطة ، ومن أهم صفة من صفات المجتمع المصري التاريخية والا وهي المركزية . وبالرغم من عدم موافقة عينة الدراسة علي شكل التعليم الحالي الذي يدل بشكل واضح علي انحيازه للمستويات الاجتماعية الاقتصادية المتميزة ، إلا هناك نسبة تقترب من ١/٥ حجم العينة توافق علي شكل التعليم الحالي ، وذلك يرجع في تصورنا زن التعليم الحالي يتناسب مع قدراتهم المادية ، هذا من جانب ، ومن جانب أخر لان التعليم أحد سياسات السلطة القائمة ، فإنهم يتخوفون من إبداء زرائهم – كالعادة – نحوه ، خاصة إذا عرفنا العلاقة التاريخية " الأبوية " التي تتسم بها العلاقة بين الفرد والدولة .

جدول رقم (١٠) يوضح رأي عينة الدراسة في شكل التعليم الحالي

المدينة / الاستجابات	الفيوم		القاهرة	
	ك	%	ك	%
نعم	١٨	١٩,٦	٢٦	١٦,٧
لا	٧٤	٨٠,٤	١٣٠	٣٨,٣
المجموع	٩٢	١٠٠	١٥٦	١٠٠

وللوقوف علي مدي تأمين التعليم في مصر بمناهجه الحالية للاستقلال الثقافي ، أفادت الدراسة الميدانية أن حوالي ٧٩,٧% في مدينة الفيوم يرون أنه لا يحقق الاستقلال الثقافي ، بينما نجد حوالي ٢٠,٣% يرون أن التعليم يقوم بتأمين الاستقلال الثقافي. أما في مجتمع القاهرة فنجد أن هذه النسب كانت علي التوالي ٨٨,٦%

١١,٤% . إن طبيعة هذه النسب ما قورنت بمثيلتها التي وردت في الجدول الـسالف ، يمكن أن يكشف عن فورق ليست كبيرة بينها . ففي الوقت الذي توافق فيه نـسبة كبيرة علي شكل التعليم القائم في مصر ، أنها تري أن التعليم ومناهجـه الحاليـة لا تحقق ما يسمي بالاستقلال الثقافي ، وأزعم أن ذلك يرجع إلي الوعي الـذي يتحلـي بعينة الدراسة وفهمها لانحيازات التعليم الطبقية ، وانتشار المدارس الأجنبية ، فضلا عن استيراد تكنولوجيا التعليم من الغرب ، وإشراف الولايات المتحدة الأمريكية علي وضع البرامج والمناهج التعليمية .

ولمعرفة رأي عينة الدراسة في تطوير المناهج الدراسية وفق الثقافة الغربيـة ، أوضحت الدراسة الميدانية انه يوجد في مدينة الفيوم نسبة كبيـرة مـن العينـة لا توافق علي ذلك (٨٣,٩%) في مقابل (٦,١%) يوافقون علي ذلك وهذا يعـود إلـي تمسك معظم عينة الدراسة بثقافتنا الأصيلة وبالنظر إلي عينة الدراسـة فـي مدينـة القاهرة لا نجد اختلافا بينها وبين مجتمع الفيوم ، إذ نجد أن نسبة من يوافـق علـي ذلك بلغوا ٨٥,٣% بينما من لم يوافق نجدهم بلغوا نحو ١٤,٧% .

وإذا كان ذلك علي مستوي المدارس في مصر ، فعلـي مـستوي الجامعـة أوضحت الدراسة الراهنة أن عينة الدراسة لا توافق علي زيـادة عـدد الجامعـات الأجنبية في مصر ، فعلي مستوي مدينة الفيوم أن نسبة ١٠% لا توافق علي زيـادة الجامعات الأجنبية في مصر ، بينما في مدينة القاهرة نجد أن النسبة انخفضت نـسبة ٨,٧% وهي نسبة لا توافق علي زيادة أعداد الجامعات الأجنبية .ان هذه النسب تدل علي تأكيد موقف عينة الدراسة من الرموز الطبقية للتعليم ، ناهيك عم موقفهـا مـن كل شي أجنبي يسعي إلي تقويض الاستقلال علي كل الأصعدة.

ولمعرفة أراء عينة الدراسة في إجراء البحوث العلمية المشتركة مع البلـدان الغربية وخاصة مع أمريكا وإسرائيل ، أفادت الدراسة أن نسبة كبيـرة مـن عينـة الدراسة لا توافق علي ذلك . ففي مدينة الفيوم نجد أن نـسبة ٩٧,٣% لا يوافقـون

علي ذلك . بينما نجد أن هذه النسبة بلغت في مدينة القاهرة نحو ٩٥,٥% . إن هــذه النسب تكشف بوضوح عن عينة الدراسة ضد الحملة الواسعة التي شهدتها مصر منذ السبعينات لدراسة ومسح أوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والديموجرافيــة والإدارية في مصر من خلال العيون الأمريكية ، أو ما يــسمي " بوصــف مــصر بالأمريكاني(١) " تلك التي تلعب دوراً هاما في خدمة الإستراتيجية الأمريكية ، التــي تسعي بكل آلياتها لاختراق العقل المصري(**) .

وفي إطار الواقع التابع يلاحظ دائما أن التابع يتماهي مع المتبوع، وأن السيد يملي دائما نظرة متخلفة علي الإنسان المقهور ، لكي يستمر محتفظاً بامتيازاته .

أي أن هناك ما يسمي بالمحاكاه للمظاهر الخارجية للتقدم ولكن فــي جانبهــا الاستهلاكي ، دون الوصول إلي البعد الإنتاجي ، وهذا ما يطلــق عليــه فــي علــم اجتماع التنمية والتخلف "بأثر الاستعراض " والواقع أن يتفق دائما مع قــول أبــن " خلدون " في أن المغلوب دائما مولع بتقليد الغالب(١) ، لذا يــدفعنا القــول فــي هــذا

---

(١) يكشف نشاط الجامعات الأجنبية في بلدان العلم الثالث عن موقعها من السياسات الإستراتيجية لبلدانها ، والجامعة الأمريكية في مصر لا تبتعد عن ذلك ، إذ أن أدوارها السياسية تتضح من خلال الوضع التعليمي داخلها ، المناهج والطلاب والأساتذة وصلتها بالقوي خاصة من المتفقين المصريين ورجال الجيش والبوليس راجع ذلك :

- رفعت سيد أحمد ، اختراق العقل المصري : الجامعة الأمريكية والبحوث المشتركة بمصر..

- دراسة ووثائق ، غير وراد جهة النشر ، أكتوبر ١٩٨٥.

- صادق خلال العظم ، الاستشراق والاستشراق معكوسا ، مرجع سابق .

(**) تتعدد آليات اختراق القوي الرأسمالية العالمية للبلدان النامية ، تلك التي تتعدد بدءا من عمليات التجسس والأقمار الصناعية إلي عمليات البحوث المشتركة ،وهذه الأشياء تعد بمثابة العيون التي ترصد أدق الأشياء .

إن في الغرب أعينا راصدات — كحلتها الاطماع فيكم بسهد

في عيناه مجهر يرياه خفايا — كم ويطوي شعاعه كل بعد

حافظ أبراهيم شاعر النيل ١٩٢١

= وحول البحوث المشتركة ودورها في اختراق العقل المصري ، انظر :-

محمود عبد الفضيل " حول دور البحوث المشتركة والمعونات في الحياة المصرية ، في :تأملات في المسألة الاقتصادية المصرية ،دار المستقبل العربي ، القاهرة ،١٩٨٥.

- عبد الخالق فاروق ، الحرية المطلوبة في مجال البحوث المطلوبة " محاذير حول احتواء العمل المصري ، اليقظة العربية (مجلة) ،العدد التاسع ، السنة الأولي ، القاهرة ، نوفمبر ١٩٨٥.

(١) نقلا عن : مسعود طاهر ، مجابهه الغزو الثقافي .....، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

الإطار أن السمات الثقافية تنتقل من المسيطر إلي الخاضع أن ذلك يفيدنا في ملاحظة قيام كثير من المحال التجارية باستبدال واجهاتها بأسماء غريبة غير نابعة من سماتنا الثقافية .

وللوقوف علي ذلك " أنظر الجدولين التاليين " فقـد قـام الباحـث بحـصر مجموعة من المحال في مواقع تجارية في كل من الفيوم والقاهرة[١] .

١ - قام حتي بحصر جميع المحلات في الممر التجاري في مدينة الفيوم ، من أول كوبري الشيخ سالم حتي الممر التجاري ، ومن شارع بهجت حتي أول شارع مصطفي كامل ، وقد اكتفينا هنا بعرض محلات الممر التجاري فقط نتيجة للحيز ، أما في مدينة القاهرة فقد كان اختيارنا لمنطقة روكسي بضاحية مصر الجديدة ، فكانت المحلات المختارة تفتح بشارع إبراهيم اللقاني .

جدول رقم (١١) يوضح أسماء المحلات التجارية في مدينة الفيوم

المكان	أسماء المحلات بالفيوم
الممر التجاري الدور الأول والثاني والثالث	دعاء الاندلس ، معرض الشرق ، بوسي كات ، الأبياري ، رفاعي، الصالون الأبيض، فاشون، دياب ، جنتلمان ،حمادة ، نيوشيك، ٢٠٠٠ياسمينا ، المحروسة ، رشا ، الشروق ، حبيبه ، كريستال،لبني داليا ،وحسن ،معرض عزت M 200 زينه ، الجوخ ، فضيات حماده ، أسباوري ، أدم اكتور M ، كوكا ، سارو بيلا ،كلف العروسة ، الهوراي ، ميرامار ، بسمة ، اللواء ، الفالح ، الامانه ، مول لايت ، ريفيرا، بوسي داني ، بيت الرياضة .

جدول رقم (١٢) يوضح أسماء المحلات التجارية في مدينة القاهرة

أسم الشارع	أسماء المحلات بالقاهرة
شارع أبراهيم اللقاني بضاحية مصر الجديدة "روكسي"	**موناليزا ، لؤلؤة روكسي ، بيبي لاند ، نيومان ، فيروز، تك سكس، سنتر،**
	BB، شاليمار ، بازار روكسي ، زهرة روكسي ، جاليري ،مايسةالسمالوطي
	أربل، فيرير، استايليت، جنة الزهور،نيوروكسي بازار، سمراء، ملوك،
	ناتالي، حافظ وعودة لاروزا ، كوين شوز ، الوحدة العربية ، الزواوي ، جي أ سي ، والاسي SON ، كارينا ، أبيكو ، مارين ، اكسفورد ، مارين ، نانا، كريم ،ديسكو ، ايمان ، هاي موديلز ، نجوان ، العجيلي هند ، الخشاب ، أبو حيدر ، بيكادلل ، النورس ، نوتوار ، ميفر ، سويدان اميريال ، شيكو ربل ، مكس ، الكونتتال ، فورم عشري، تيفولي جانكيل ، ديكوريه ، بنجو ، سميريرو ، بالاسي ، رويادمو ، النحاس ، بوك سنتر، النجار ، جوهوشون ، كابري ، أفو ، كرامة ، بنيتون ، لي كوير ، ليدز ، جي أم ، كريستال .

والمدقق في أسماء هذه المحلات يجد أن ثمة تباينا واضحا في اختيارات الأسماء بالنسبة لمدينة الفيوم عنه في مدينة القاهرة . فعلي الرغم من أن الأسماء في مدينة الفيوم لا تستعير أسماء غريبة الا في عدد بسيط ،نجد أنه في مدينة القاهرة أن

الأسماء الغربية تسود وتطغي دون وعي [1] . ويمككن تفسير ذلك في ضوء قرب مدينة القاهرة من مركزية السلطة وسرعة تأثير الواقع التابع عليها . ناهيك عن طبيعة سيطرة الثقافة التقليدية والاسلامية علي واقع الفيوم ، تلك التي لا تنطبق علي واقع القاهرة التي تتميز بالتنوع والتعدد نتيجة لصعوبة وتداخل التركيب الاجتماعية .

إن الإتباع الثقافي الذي يتم من خلاله استبدال الثقافة الوطنية ، جاء من خلال تحفيز الأولي للثانية ، في ظل مناخ ثقافي عام يعتبر فيه التمرد علي الثقافة والخروج علي قواعد اللغة العربية من مظاهر المباهاه والفخر ،إذ يحظي الأجنبي بكل الرعاية والاحترام ، حتي لو كان ذلك فيه تدمير لهوية الوطنية [1] .

وإذا كنا قد اختبرنا مدي إنتقال الثقافات المستعارة ، أو ما يسمي بأثر الاستعراض " ميدانياً" . فإننا من خلال عينة الدراسة نجد أن حوالي ٨٩,٩% لا يوافقون علي الواجهات الغربية التي تكتب علي واجهات المحلات التجارية ، في مقابل حوالي ١٠,١% يوافقون علي ذلك . وإذا كانت هذه النسب تخص عينة مدينة الفيوم ، فإن في إطار مدينة القاهرة نجد أن هذه النسب تكاد هي إذا حققت نحو ٧٨,٨% ، ١٢,٢% .

وإذا كنا قد اختبرنا مدي انتقال الثقافات المستعارة ، أو ما يسمي بأثر الاستعراض " ميدانيا " فإننا من خلال عينة الدراسة نجد أن حوالي ٨٩,٩% لا يوافقون علي الواجهات الغربية التي تكتب علي واجهات المحلات التجارية ، في مقابل حوالي ١٠,١% يوافقون علي ذلك . وإذا كانت هذه النسب تخص عينة مدينة

(*) هناك مظهر أخر من الإتباع عبر الوعي وتعبر عنه مشاهدات الباحث اليومي ، ذلك الذي نراه في الشارع المصري ، في حمل درجات الأطفال للإعلام الأمريكية بدلا من الإعلام المصرية التي تعد رمزاً من رموز الوطنية والسيادة .

١ – حول ذلك راجع :

جلال أمين ، المشرق العربي والعرب : بحث في دور المؤاثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨١، ص ١٦٠.

الفيوم فذغنه في إطار مدينة القاهرة نجد أن هذه النسب تكاد هي هي إذا حققت نحو ٨٧,٨% ١٢,٢% .

وحيث اننا أوضحنا من خلال عرض أهم نتائج الدراسة الراهنة، كيف تصوغ المراكز العالمية الآليات الثقافية للسيطرة علي البلدان " المتخلفة " وكيف أن الدراسة الميدانية أوضحت مدي استهجان عينة الدراسة لواقع التبعية ، ومن ثم أخذهم موقفا مناهضا من آلياتها ، برغم اختلاف السمات الثقافية، فإن في إطار ذلك فهم يرون أيضاً أنه يمكن مقاومة سيطرة الغرب علي ثقافتنا من خلال مايلي:

فعلي مستوي مدينة الفيوم الرجوع إلي الاسلام ٧٢,٨% ، الدفاع عن القيم الاسلامية الأصيلة ٥٨,٧% ، قطع العلاقات مع أمريكا و إسرئيل ٥٦,٥% ، وتغيير البناء الاقتصادي والاجتماعي السائد ٤٦,٧% ووقف عرض الأفلام والمسلسلات الأجنبية ٤٤,٦% وربط الثقافة القومية للتراث الاسلامي ٢٧,١%. أما علي مستوي مدينة القاهرة فنجد أن مقاومة سيطرة الغرب علي ثقافتنا يمكن أن تكون من خلال ما يلي :

تغيير البناء الاقتصادي والاجتماعي السائد ٧٣,٧% قطع العلاقات مع أمريكا وإسرائيل ٦٢,١% ، ايقاف المعاهدات الخاصة مع الجامعات الغربية ١٤,٧% ، وقف عرض الأفلام والمسلسلات الأجنبية ٨,٩%، والدفاع عن القيم الاسلامية الأصيلة ٨,٣% والمدقق في اختلاف ترتيب الاستجابات السابقة يستطيع أن يستدل علي اي مدي يختلف الواقع الثقافي ذلك الذي يشكل الوعي الثقافي لعينة الدراسة .

بدلا من الخاتمة

في نهاية عرض نتائج هذه الدراسة ، يمكن القول أن الواقــع الثقــافي فــي المجتمع المصري هو ثمرة محاولات اختراق الرأسمالية العالمية ، تلك التي جاهدت – وما تزال – من أجل خلق القيم الرأسمالية التي تسمح باستمرارية تبعيــة الواقــع المصري في إطار ما يسمي بالمنظومة الدولية .

إن الإستراتيجية الرأسمالية – بشكل أو بأخر– تسعي إلي وجود نــسق مــن القيم والسلوك والعادات والتقاليد ، التي تسمح بانخراط المجتمع المصري في قــسمة العمل الدولية . وحري بنا إن نشير إلي أن الاختراق الرأسمالي للمجتمع المــصري يأخذ شكلا واحداً ووحيداً عبر تاريخه الطويل بل أخذ اشكالاً متعددة .

ومن الأهمية بمكان إن نوضح أن محــاولات الاســتتباع الثقــافي للمجتمــع المصري تسعي إلي فرض مجموعة من الأهداف أهمها :

أولاً : إشاعة ما يسمي بالاغتراب اللغوي والثقافي .

ثانياً : طمس معالم الهوية الوطنية .

ثالثاً : إغراق المجتمع المصري بنتاج إستهلاكي يعزز من خلالــه الوطنيــة وتحويلها من عنصر إستنهاض وطني وقومي، إلي خطاب يسعي إلي تهميش العقــل حتي يسهل غزوه وتبعيته . إن هذه الثقافة في تعبير اخر، ما هي إلا ثقافــة إنتــاج التبعية الكاملة ، وثقافة قمع الإنسان من خلال ما يسمي بقطاع التجارة السياسية .

إن الاستتباع الثقافي ما هو إلا محاولة لتقييد الإرادة الوطنية وشل فعاليتها في إتخاذ القرار ورسم الشياسات الوطنية ، أو بمعني أخر غنها عملية تسعي إلي فرض الهيمنة الرأسمالية العالمية علي القرارات الوطنية بفعالية تامة ، بعيداً عن منطق المصلحة الوطنية ، بهدف تغليب مصالح الرأسمالية العالمية عليها ، أوبقول ثالث ،

أنها تسعي إلي إعادة إنتاج سيطرتها وفرض تبعيتها علي الواقع الاجتماعي الاقتصادي القائم في المجتمع المصري دون الفكاك منها .

الفصل الرابع

العولمة الكبري والهوية الثقافية :

إعادة التشكيل الثقافي

مقدمة:

غداة أفول السياسات الإمبريالية التقليدية التي عرفها القرن التاسع عشر ، وبزوغ ما يسمي الإمبريالية العليا أو الجديدة ذات القطب الواحد في القرن العشرين ، راحت البلدان المتقدمة تعيد سيطرتها علي الدول المتخلفة عن طريق آليات الديون وتصدير رأس المال وشروط التجارة غير المتكافئة . ولما كانت مثل هذه الآليات لم تغلب الغالب علي المغلوب بشكل نهائي ، فإنها فعلت آلياتها لفرض هيمنتها علي العقل، والأتي من أسفل (الشباب) الذي في أيام معدودة سوف يقود هذه البلدان . لقد حاولت الدول الغربية مسخ عقول هذه الأوطان . بفعل تضافر العوامل الاقتصادية والسياسية والإعلامية ، بهدف وجود واقع ثقافي وقيمي كوني، تلغي فيه الحدود الثقافية وما يسمي بالخصوصية أو الهوية .

إن النزعة الكوزموبولتينية انطلاقاً من وجود قب واحد ووحيد يستند إلي الإيديولوجية الليبرالية الجديدة ، يسعي إلي جر كل البلدان الأخري لربطها بالإمبراطورية العالمية وثقافتها الغربية ، بغية وجود نمط ثقافي متجانس علي صعيد الكون ، إنهاء وجود الدولة الوطنية سيدة الثقافة والشرطي الحامي لها ، لسيادة نوع من التأويل الدنيوي للقيم ، وتفكيك وحدة الأمم ، وشيوع نمط الحياة الغربي وهو ما يمثل قمة الاستعلاء الشوفيني الغربي لفرض إرادته علي عالم افترض فيه التخلف عن حداثته .(١)

فمن خلال منطق العولمة الغربية وتفعيل الوسائل التكنولوجية والإعلامية والثقافية و التربوية، الذي يسعي إلي إحكام قبضته علي البلدان الأخري وتشطر

١- عبد السلام المسدي ، العولمة والعولمة المضادة ، كتاب سطور ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٨٨، ص ١٧٨ . حول نفس القضية راجع :

ادجار موران ،روح الزمان (الجزء الأول) ، ترجمة انطوان حمصي ،منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، ١٩٩٥ ،ص ٢١ .

بنياتها الداخلية ، جعل من أسلوب وخطاب الحياة الغربية – الأمريكية نمطاً متعـدي الأوطان ،ومن ثم أداة ورأس الحربة لإدارة الصراع بين الثقافات ، وهو ما نلمحـه في الوثائق الإيدولوجية التي صدرها الغرب حول مفهومي صدام الخضارات ونهاية التاريخ، ذلك الخطاب الذي يعبر عن الاغتراب اللغوي والثقافي وهو ما سـاهم فـي جعل العقل في مصر عقلاً تابعاً وغربياً عن خصوصيته .[١]

ولما كانت هذه السياسات العالمية موجهة بالأساس إلي الشباب في المجتمـع المصري ، باعتبارهم طليعة الحاضر والمستقبل في آن واحد ، بهدف تشكيل العقـل حسب أرضية ثقافية أخري مناهضة ، لتغير نمط التفكيروالعادات والتقاليد . ومن ثم ضرب الهوية الوطنية وفصم الانتماء والولاء للثقافة الأم ، فإنها ساهمت فـي خلـق أزمة ثقافية ونوع من اللامعيارية أو الاغتراب ، وهو ما يعبر عنه بوضوح سـلوك وتصرفات فئة الشباب ، والتي تتمظهر بوضوح في شيوع الفراغ الثقـافي وسـيادة الغربية الغريزية . وانعدام العقلانية ، ناهيك عن انتشار الثقافة الاستهلاكية الرثة [٢] . والحقيقة أن ما أصاب ثقافة الشباب في المجتمع المصري من اغتـراب وإسـتتباع ثقافي ، يجعلنا أمام دراسة منهجية سوسيولوجية تسعي إلي الوقوف علي ما الطبيعة الثقافة السائدة لهذه الفئة العمرية في سياق الواقع المعاش . ولكن قبل الـشروع فـي توضيح طبيعة هذه الدراسة، فإنه يتوجب علينا تعيين المنطلق النظري المناسب الذي في ضوئه سوف نخضع الظاهرة موضوع الدراسة للتحليل والتمحيص .

---

٢ – حول رصد طبيعة التحولات التي طرأت البناء الاقتصادي والاجتماعي في مصر أنظر :

- عادل حسين ، الاقتصاد المصري من الاستقلال إلأي التبعية ١٩٧٤- ١٩٧٩ (جزءان) ، دار الوحدة العربية ، الطبعة ألأولي ، بيروت ، ١٩٨١ .

- حسن فتح الباب والسيد خميس ،" الواقع الثقافي في مصر " ، في : عمر احامدي وآخرون ، مصر عشر سنوات بعد عبد الناصر ، دار ال .

١- علي ليله، " فريق العمل في مجال رعاية الشباب " ، المؤتمر العلمي السنوي الرابع ، كلية الخدمة الاجتماعية - جامعة القاهرة فرع الفيوم ، ٢٣-٢٥ ابريل ، ١٩٩١ ،ص ص ١٩-٢٢ .

إنه في هذا الإطار فإن مدخل ثقافة الشباب باعتبارها إحدي الثقافات الفرعية Subculture ، يفرض نفسه ، خاصة وأن مثل هذه الثقافة قد تختلف أو تتفق مع الثقافة الأم ، وتعمل علي تطوير مجموعة من المعايير والقيم والأدوار ونمط الحيـــاة ، التي تعبر عن واقعهم في ضوء التغيرات البنائية والأزمات الاجتماعية والثقافية ، وبعيداً عن سلطة مجتمع الكبار . إنه انطلاقاً من هذا المدخل النظري الــذي يبتعــد كثيراً عن المداخل النظرية الأخريالتي تصدت لدراسة الثقافة الشبابية مثل المــدخل النفسي الاجتماعي ، مدخل الحركة الجيلية ، والمدخل الوظيفي ، وحركات الشباب ، فإننا نري أن الواقع الاجتماعي والتناقضات الاجتماعية قد سمحت بوجود مرجعيــة ثقافية بديلة للثقافة الــسائدة ، بهــدف إيجــاد هويـــة جمعيـــة COOLLETIVE IDENTITY متوحدة أو متماهية مع أسلوب الحياة الغربي [١] .

وعلي هدي المفهوم السابق وفي ضوء وظروف سياق المجتمع المــصري ، فإنه يمكن القول أن الثقافة الخاصة بفئة الشباب ، تأتي كاستجابة لمتغيــرات محليــة وعالمية لرفض القيم السائدة ، عبر أشكال وصور بديلة للتعبير الثقافي ،وهــو مــا يمثل استجابة لمطالب من ينتمي إليها . إن الخروج من ثقافة والركون إلي أخــري ، يجعل من هذه الحالة، ثورة علي المعايير والقيم السائدة ، ومحاولة للاســتقلال عــن سلطة ونمط حياة مجتمع الكبار ، لخلق نوع خاص من اللغـــة والقــيم والتــصرفات والسلوكيات وهو ما نطلق عليه بالثورة المضادة أو قل الصراع الثقافي [٢].

وبيد أننا علي النحو السابق نكون قد حددنا مجموعة المقولات النظرية التـــي سوف ننطلق منه لتحليل ثقافة الشباب فإنه يجدر بنا أن نشير إلي أننا لا نغفل حقيقة أن الشباب حقيقة بيولوجية وسيكولوجية واجتماعية ، فضلاً عن أنها شــريحة غيــر

١- محمد علي محمد ، الشباب العربي والتغير الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الأولي ، الإسكندرية ، ١٩٨٧م ، ص ص ٧١ – ٧٤ .

٢ - السيد عبد العاطي ، صراع الأجيال :دراسة سوسيولوجية لثقافة الأجيال ،دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الأولي ، الإسكندرية ، ١٩٨٧، ص ص ٩ – ١٠ .

متجانسة ، تتباين من حيث الشخصية والنـــوازع الداخليـــة والاتجاهـــات والـــسلوك والانتماء الطبقي ، تلك التي تنعكس علي مواقفهم من التكوينات الاجتماعية التـــي يعيشون في كنفها ، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار مكونـــات الـــوعي والتنـــشئة الاجتماعية والإيديولوجيا .

إنه في ضوء ما تقدم وبإعتبار الدراسة الراهنة من الدراســـات التحليليـــة – كمياً وكيفياً – التي بفئة معينة من شرائح الفئة الشابية التي تدخل في إطار ما يسمي بالشرائح العليا للطبقة الوسطي (البرجوازية الصغيرة) وشرائح البرجوازية الجيدة ، الذين هم أكثر تأثراًوتعرضاً بحكم موقعهم الاجتماعي – الطبقـــي ، لآليـــات الثقافـــة الغازية التي تسعي إلي توحيد الهويات وإزالة الخصوصات ، بهدف تهيئـــة العقـــل وشل فاعليته ومقاومته لأغراض الاستعمار التي هي الوجـــه الأخـــر لأيـــديولوجيا العولمة .

وبذا فإن هذه الدراسة وفق أهدافها تسعي علي الإجابة عن التساؤلات التالية :

أولاً : ما العلاقة الجدلية بين سياسات الكونية والخصوصية الثقافية للمجتمـــع المصري ؟

ثانياً : ما طبيعة الثقافة السائدة لديشرائح الفئة الـــشبابية التـــي تعمـــل علـــي تسييدها الإيديولوجية والثقافية الغربية ؟

ثالثاً : ما خصائص أسلوب ونمط الحياة السائد لدي شـــرائح معينـــة مـــن الشباب ، التي أتت بفعل الصور متعدية الأوطان التي تضخها آليات الإعلام الغربي ؟

رابعاً : ما مظاهر الاغتراب الثقافي والفوضي الاجتماعية التي تعبـــر عنهـــا سلوك وتصرفات الشباب ، بفعل إزالة الحدود الثقافية والجغرافيـــة وســـيادة ثقافـــة عالمية واحدة ؟

خامساً : ما الآليات التي فعلتها شرائح الفئة الشبابية ، وبها تم التمـرد علـي سلطة مجتمع الكبار وثقافة المجتمع المصري ؟

والحق أنه لكي نجيب علي التساؤلات التي دفعنا بها تواً ، فقد حاولنا إجـراء دراسة إمبيريقية تستند إلي آليات منهجي التحليل الكمي والكيفي ، وهو مـا فـرض علينا وجود أداتين للبحث هما استمارة الاستبيان ودراسة الحالة . فالأولي حاولنا من خلال حدودها المنهجي التوصل إلي طبيعة الثقافة السائدة في مجتمع البحث ،وكيـف أنهم أداروا ظهورهم لثقافتهم الأصلية ورحوا يؤسسون ثقافتهم الخاصة بالتوكأ علـي ثقافة أخري غربية . أما الأخري فقد سعينا إلي الكشف عن طبيعـة ثقافـة الأخـر وآلياتها التي صدرت وحسب الجانب السيئ منها ، بما يسمح لشل فاعليـة وديناميـة هذه الفئة ليس علي صعيدها الآتي وإنما علي الصعيد المستقبلي أيضاً .

أولاً : ثقافة الشباب الخاصة :

يسعي النظام العالمي الجديد الذي اضطلع بإنتاج الاقتصاد والقـوة الـسياسية بمحايثة مع القوة العسكرية ، إلي إنتاج ثقافة عالمية واحدة ووحيدة ، من أجل توجيه التكونيات الاقتصادية الاجتماعية التي تحمل هوية ثقافية تعبر عن خصوصيتها . إنه عبر الصور الغربية التي تجاوزت الأوطان والحدود الجغرافية ، وانطلاقاً من فكـرة الاستعلاء الشوفيني للثقافة الغربية ، باتت الهويات الثقافية غير الغربية نوعـاً مـن التخلف عن التحديث والتصلب ضد إزالة الحواجر وتجنيس الثقافة العالمية .

إن جعل الثقافة ساحة عراك ، وهو ما يشهد عليـه العلاقـة الجدليـة بـين سياسات العولمة ، وتأكيد غياب الخصوصية الثقافية ، يعبر بوضـوح عـن إعـادة منطق التبشيرالغربي ، الذي يسعي بكل ما يملك مـن آليـات اقتـصادية وسياسـية وعسكرية ، لتصدير ثقافته وقيمه الخاصة وفق مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنـسان وسياسات العرض والطلب والفردية ولأذواق والموضة وحتي الجـنس . إن إعـادة

تشكيل السياسة الكونية وفق إيديولوجيا الغرب ماهي لا محاولة لتشكيل العقل وإعادة إنتاج ثقافة الشعوب بعيداً عن جذورها الوطنية وإرثها الثقافي التاريخي ، ومـــن ثـــم خلق قيم جديدة تتعانق مع كل ما هو غربي (١) .

والواقع أنه بفعل تكريس الثقافة الغربية فقد عرفت المجتمعات غير الغربية ، أنواعاً من القيم الغربية عن واقعها ، ناهيك عن شيوع الفـــساد والامبـــالاة وفقـــدان الانتماء ، وسيادة ما يسمي باللامعيارية أو الاغتراب . إن استتباع الشعوب والغـــزو الثقافي وتقطيع روابط هذه الشعوب مع جذورها التاريخية بفعل العقـــل الأدائـــي – التكنولوجي – ساهم في خروج شبابها والثورة علي سلطة المجتمع ومجتمع الكبار ، الأمر الذي ساهم في وجود ثقافة فرعية أوخاصة بها ، إمتدت مـــن لـــبس الجينـــز وتناول الأطعمة الغربية ، وشيوع الجنس .

إن محاولة الثقافة الغربية لعقل محاكي لنمط حياتها وقيمها ، وتأسيس هويـــة ثقافية خاصة ، تخاصم كل ما هو وطني ، وتفكك الروابط بـــين الثقافـــات المحليـــة يجعل من الثقافة الغربية أداة الحرب الجديدة التي بها يعاد تشكيل العقل مـــع آليـــات أخري اقتصادية وسياسية وعسكرية حتي يسهل انقياده واستتباعه وتنفيذ كل وصاياه بشكل آني أو مستقبلي . إنه وفق هذا الطرح فإن الجزء الراهن من هذه الدرســـاة ، سوف يسعي إلي رصد التحولات التي طرأت علي بنة العقـــل لـــدي شـــريحة مـــن الشباب ، وكيف تشكل حسب تعاليم الثقافة الغربية ، ويدير ظهره لثقافـــة مجـــتمهم ، فضلاً عن التمرد علي وصاية وسلطة مجتمع الكبار .

ولكي نتمكن من ذلك ، فقد قممنا بدراسة ميدانية علي عينة عـــشوائية علـــي طلاب السنوات النهائية لكليات فرع الفيوم بجامعة القاهرة، إذ كـــان قوامهـــا **(١٣٣)** مفردة ، راعينا في اختيارها المستوي الاقتصادي الاجتماعي ، المتميز الـــذي يعـــد

---

1 – Rearney M ., Boundors and Boundaries of the state and self at the and Empire , Journal of Histori cal sociology , no .4,1991 ,PP . 53 – 54 .

أكثر عرضة للتأثير بمتغيرات الثقافة الغربية، وهو ما كان يتضح بشكل جلـي فـي مظهرهم وسلوكهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم بالآخرين . وإذا كان ما سبق يمثل المجال المكاني والبشري للدراسة الحالية ، فإن المجال الزمني يتحدد بالشهور الأولـي مـن العام الجامعي ٢٠٠٥/٢٠٠٦، إذ تم فيها تطبيق استمارة البحـث ، والتـي سـوف نعرض لأهم بياناتها بما يخدم موضوع الدراسة الراهنة ، لذا تجدنا نركزها هنا علي هنا ما يلي :

أولاً : طبيعة تركيب مجتمع البحث .

ثانياً : نمط الحياة والعلاقات الاجتماعية .

ثالثاً : الشباب والاهتمامات الاجتماعية .

رابعاً : ثقافة الشباب والانتماء والهوية .

(١) في التركيب الاجتماعي لمجتمع البحث :

باعتبار أن وصف مجتمع البحث يفيد أو يشير إلي الخصائص الاجتماعيـة والاقتصادية لعينة الدراسة ، فضلاً عن المساعدة في فهم خصائص الثقافة الفرعيـة التي ترتبط بشكل وثيق بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية ، فإننا سوف نتناول أهـم الخصائص المميزة لمقررات العينة، فضلاً عن التركيز علي عدد مـن المتغيـرات التي تتعلق بالعمر والنوع وبالمستوي الطبقي – الاجتماعي والدين ومكان الإقامـة . وبالكشف عن طبيعة الفئات العمرية ونوع البحث ، فإنه من الجدول رقم (١) الـذي يتصدي لذلك يتضح أن نحو ٤٤,٣% يقعون فـي الفئـة العمريـة مـن ١٨ – ٢١ وحوالي ٢٣,٩% يدخلون في الفئة العمرية من٢٣,٩% بينما النسبة الباقية كانت من نصيب الفئة العمرية ٢٣ فأكثر . إذا كانت النسبة السابقة كانت تخص فئة الـذكور،

فإنه بالنسبة للإناث كانت النسب علي التـوالي للفئـات الـسابقة ٦٠% ، ٣٣,٣% ، ٦,٧% وهذا يعني أن نسبة الذكور من حجم العينة الكلي نحو ٦٦,٢% وأن حجـم الإناث كان حوالي ٣٣,٨% . والمقق في هذه الفئات العمرية وفقاً لعمليـة الإنجـاز الدراسي علي صعيد عينة الذكور فإنه يمكن أن يلمح حجم التعثر في هـذه العينـة ، خاصة وأن حجم من يدخل في فئة الأعمار من ٢٣ فأكثر يقترب من ثلث العينة [١].

بمقارنة ذلك بفئة الإناث نجدأنها تقل بنحو ١٠,٧% ، وهو ما يعني أن نـسبة الإنجاز الدراسي لدي الإناث ، يفوق نسبة الذكور ،وهو ما يمكن أن يـشير إلـي أن الإناث لديهم وقت في التحصيل الدراسي يفوق عن الذكور ، أقل ان الإناث تـتحكم فيها مؤسسة الأسرة بشكل يتزليد عن الذكور ، تلك هي طبيعة القيم والتقاليد الـسائدة في مجتمعنا .

(*)إذا ما كان العمر المتعارف عليه في تخرج الطالب الجامعي يقع في فئات العمر من ٢١ – ٢٢ بالأكثر ، فإن هذه الأعمار يمكن أن تفيد في مدي تعثر هذه الفئة في الإنجاز الدراسي .

جدول رقم (١) يوضح فئات السن والنوع في عينة الدراسة

فئة السن	الذكور		إناث		الذكور	الإناث
	ع	%	ع	%	ع	%
من١٨ -٢١	٣٩	٤٤,٣	٢٧	٦٠,٠	٢٩,٣	٢٠,٣
من ٢١ -٢٣	٢١	٢٣,٩	١٥	٣٣,٣	١٥,٨	١١,٣
من٢٣ فأكثر	٢٨	٣١,٨	٣	٦,٧	٢١,١	٢,٢
المجموع	٨٨	-	٤٥	-	٦٦,٢	٣٣,٨

وللوقوف علي طبيعة الديانة لمجتمع البحث ، فإن الجدول رقم (٢) يظهر إلي أن من ينتمي إلي الديانة الإسلامية كانت نسبتهم نحو ٧٣,٧% ، بينما كان من يدين بالعقيدة المسيحية حوالي من ٢٦,٣% ، وهو ما يقترب من التوزيع أو التمثيل الحقيقي في الديانات التي يتقاسمها المجتمع المصري برمته .

جدول رقم (٢) يوضح نوع ديانة المبحوثين

الدين	العدد	%
الإسلامي	٩٨	٧٣,٧
المسيحي	٣٥	٢٦,٣
المجموع	١٣٣	

أما بالنسبة لمهنة الوالد فإننا نجد أن ثمة تنوعاً فيها ، و هو ما يتناسب مع طبيعة ونوع العينة المختارة . فلما كنا نركز وحسب علي نوع محدد أكثر تأثيراً من غيرها بالنسبة للثقافة الوافدة، أو حتي تكون ثقافة خاصة بها في إطار الغزو الثقافي ، وهو ما يسمح لهم بذلك الفئات الدخلية الخاصة بهم وقوتهم الشرائية والتماهي والتقليد لكل ما هو غربي، فإننا نجد أن جماع هذه العينة قد تقاسمها من يدخل في إطار الطبقات البرجوازية العليا والبرجوازية الصغيرة ، أو قل في الشرائح العليا من الطبقة الوسطي .وبتوضيح تمثيل الفئات الطبقية السابقة ، نجد أن عينة الدراسة تشير إلي تحيزواضح تجاه البرجوازية الصغيرة إذ بلغت نسبتها من مجموع المهن نحو ٦٥,٤% ، بينما كانت نسبة البرجوازية الكبيرة حوالي ٣٤,٦% . وهذا ما يدنو إلي حد كبير مع توزيع الثروة والدخول بفعل تطبيق سياسات الليبرالية الجديدة التي أشارت إليها مخرجات بعض الدراسة [1].

(*) حول تحديد طبيعة البنية الطبقية وشرائحها المختلفة وطبيعة دخولها في زمن الليبرالية الجديدة أنظر:

- رمزي زكي ،وداعاً للطبقة الوسطي ، دار المستقبل العربي ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٩٧ – ص ص ١٣٦ – ١٤٠.

-Giddens A., sociology , polity press , Cambridge , 1991, PP .219- 221.

جدول رقم (٣) يوضح طبيعة مهن أولياء أمور عينة الدراسة

المهنة أو العمل	العدد	%
صاحب مكتب صرافة	٩	٦,٧
تاجر أراضي أو عقارات	٢٤	١٨,٠
رجل أعمال	١٢	٩,٠
مدير / مدير عام	١١	٨,٣
أستاذ جامعي	٤	٣,٠
مدرس	٢٢	١٦,٥
طبيب	١٣	٩,٨
مهندس	١٤	١٠,٥
يعمل بالخارج	٢١	١٥,٨
صاحب محل مجوهرات	٣	٢,٣
المجموع	١٣٣	

ولتوضيح طبيعة الموطن الأصلي لعينة الدراسة . وهو الذي يعكس طبيعة المناخ الثقافي والقيم السائدة حسب التوزيع الجغرافي (قبلي – بحري) ، فإن الجدول التالي يكشف عن أن عينة الدراسة جاءت من روافد جغرافية متباينة . فبينما شغلت محافظة الفيوم مكانة متقدمة في عينة الدراسة (٢٠,٣%) ، فإن أدناها كان نصيب

محافظة سوهاج ٦,٨% ، وتأتي هنا محافظة القاهرة في المرتبة الثانية بواقع ١٦,٥% وإذا ما حاولنا توضيح هذه المحافظات من حيث اختلافها في الثقافة والقيم في محافظات الوجه القبلي والبحري (باستثناء محافظة القاهرة التي تمثل منتصف المتصل) ، لوجدنا أن محافظات الوجه القبلي قد استحوذت علي النصف وزيادة قليلة ،بينما كان نصيب محافظات الوجه البحري حوالي الثلث .

جدول رقم (٤) يوضح طبيعة مكان الإقامة الأصلي لمجتمع البحث .

مكان الإقامة	العدد	%
القاهرة	٢٢	١٦,٥
الفيوم	٢٧	٢٠,٣
الإسكندرية	١٣	٩,٨
بني سويف	١٥	١١,٣
المنيا	١٦	١٢,٠
المنصورة	١٤	١٠,٥
الزقازيق	١٧	١٢,٨
سوهاج	٩	٦,٨
المجموع	١٣٣	

وبيد أننا قد كشفنا قبل قليل عن مهنة أباء عينة الدراسة ،التي تحصرهم في فئات طبقية محددة، فإننا تواصلاً مع ذلك يمكن وضع أيدنيا علي مهنة الأم ، وهو ما يفسر مدي تسامح الثقافة السائدة في هذه الأسرلخروج المرأة للعمل وإثبات ذاتها

خارج نطاق المؤسسة الزواجية، ناهيك عن تفرغها لإدارة عملية التنشئة الاجتماعية . وفي هذا الصدد توضح الدراسة الميدانية أن حوالي ٦٥,٤% من مجمـــوع العيمـــة تعمل أمهاتهم ، في حين أن نحو ٣٤,٦% يوضحون بشكل غير مباشر شيوع الثقافة التقليدية التي تحول دون اختلاط المرأة ، والتي قد تعـــود إلـــي طبيعـــة المنـــاطق الجغرافية السابق الإشارة إليها أو ربما أن سوق العمل لم يسمح باستيعابهن في إطار رفع يد الدولة عن التوظيف في إطار سياساتها الليبرالية[١].

(٢) نمط الحياة والعلاقات الاجتماعية :

ثمة اتفاق في أدبيات السوسيولوجيا علي اريباط الثقافة بشكل عام بما يـــسمي بنمط الحياة ، حيث العلاقة الواشجة بين البناء الاجتماعي والثقافي ، التي تؤثر إلـــي حد كبيرفي طبيعة الممارسات والعلاقات الاجتماعيةوالسلوك والتصرفات الذاتية التي قد تتفق أوتمتثل لسلطة الوالدين أو المجتمع أو تتخارج معها .فإننا في ضوء ذلـــك ، فقد حاولنا تبيان طبيعة الإقامة أثناء الدراسة ، والتي من شأنها أن تفيد في توضـــيح نمط الحياة من جانب ، وبالعلاقات الاجتماعية بشكل عام من أخر ،وفي ضوء ذلـــك أفاد نحو٦٣,٩% أنهم يسكنون بمفردهم ،وأن حوالي ٧,٥% يفضلون الإقامـــة مـــع أسرهم ، وأن ما يقرب من ١٢,٥% يقيمون مع أصدقاء لهم ، بينما يـــشير حـــوالي ١٦,٣% إلي أنهم يحبذون الإقامة في المدينة الجامعية .والمدقق في النسب الـــسابقة يجد أنه علي الرغم من أن من يقطن في محافظة الفيوم وحتي المحافظات الأخـــري المجاورة والتي لا تبعد عنها إلا كيلومترات ، إلا أنهم فضلون البعد عن عيـــون أي سلطة قد تضع أمامهم حواجزتحد من حرية حركتهم .

ولتبيان علة الاسجابات السابقة ،فنجد أن من أفـــاد أنهـــم يفـــضلون الإقامـــة بعيداًعن الأسرة (سواء من يقيم بمفرده أو مع أصدقاء) قد عددوا مجموعـــة مـــن الاسجابات هي : البعد عن عيون ومراقبة الأسرة (أعمل زي ما أنا عـــايز) ٣٣,٦%

١- السيد عبد العاطي ،صراع الاجيال :دراسة سوسيولوجية لثقافة الشباب ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

، ومقابلة الأصدقاء والصديقات ٢٥,١% عدم الالتــزام بمعــايير الأســرة وقيمــه وضوابطها (عشان محدش يسألني أنت رايح فــين) ٢٣,٩% ،ممارســة ســلوكيات خاصة قد لا ترضي عنها السلطة الأبوية (البطريركية) ، (أشرب سجاير ولا أي حاجة أنا عايزها) ١٧,٤ % وإذا كنا قد عينا هنا الأسباب التي تجعل هذا الجــزء من العينة التي تدفعهم إلي البعد عن السلطة الوالدية ،فإننا يمكن أن نعزي إلي نــسب من يقطن مع أسرهم ، أو حتي في المدن الجامعية إلــي تــشددهم فــي الاســتقرار والتحصيل الدراسي ناهيك إلي عدم نزوعهم إلي التخلص من السلطة أياً كان نوعهــا وهو ما يعود إلي طبيعة التنشئة الاجتماعية ، ونوازع الامتثال الداخلي .

إنه في ضوء ما تقدم ، فإننا يمكن القول أن تنوع الاتجاهات الــسابقة لعينــة الدراسة ومواقفها من السلطة الوالدية يعكس أيضاً تنوعاً في أسلوب وشكل الــسلطة الوالدية ذاتها ، وأن رفض هذه السلطة أو قبولها يرتبط بمستوي اقتصادي واجتماعي معين ، يضاف إلي ذلك أن الضوابط التي تفرضها الأسرة ،وطبيعــة التناقــضات الحادثة في المجتمع ، يشكلان سبباً جوهرياً في سيادة الطابع التمردي لأمر الــسلطة الأبوية الذي لا يترافق مع وجود المعاناة والعوز أو الفقر . إن ســلطة الــذات هنــا تحاول أن تتجاوز السلطة البطريركية (الأبوية) ، وهو ما نعتبره جدلاً بينهما يعبر عن تمثل اللاوعي للذات الذي يسعي إلي تجاوز كــل مــا هــو ســلطوي وتحقيــق الاستقلال .

وإذا ما انتقلنا إلي حيز طبيعة العلاقات الاجتماعية ، وما يــنجم عنهــا مــن سلوك وتصرفات ، وفق القيم الثقافية وحتي الدينية السائدة ، فإن الدرســة الراهنــة تكشف عن أن مجتمع الذكور يفضلون أن تكون علاقاتهم مــع الإنــاث (٨٧,٣%) وأن مجتمع الإناث يفضل الذكور في علاقاتهم (٧٧,١%) ، وهو ما يعنــي أن كــلاً منهما يفضلون النقيض النوعي لهما ، وهو ما يعني أن الــذات الإنــسانية تتحــرك

خارج إطار القوانين السائدة ، وهو ما يشجعها علي اختيار اللذة والمتعة والعاطفة بعيداً عن الموانع والضوابط القائمة .

وللتدليل علي ما سبق ، فإن عينة الذكور يرون أن الأسباب التي تعود إلي اختيار الإناث في صداقاتهم تعود إلي الأسباب التالية :

البعد عن النزاعات والصراعات بين الجنس الواحد (عشان مايحصلش مشاكل) ٢٣,٦% ، أن الصداقة مع الإناث تفيد في إشباع الكثير من الاحتياجات (البنت تلاقيها في أي زنقة) ٣٢,١% ، أن الإناث يصعب لديهن البوح بالأسرار (البنت تؤتمن علي السر) ١٥,٤% ، أن الذكور لا يعرفون الصداقة وغير أهل لها (الواد بيغير ومش جدع) ٢٨,٩% . علي الرغم من الأسباب السابقة تعبر عن المشاعر الشابة التي تدور حول الصداقة ، فإنها تنسحب أيضاً عن إمكانيات التوظيف التروي والبيولوجي .

وحيث أن ما سبق يمثل رؤية عينة الذكور للأسباب التي تجعلهم يفضلون نوعية الإناث في صداقتهم ، فإن الوضع لا يختلف كثيراً عن الإناث ،إذ يفضلون أيضاً ما هو مضاد لنوع جنسهم ، تكاد تكون الأسباب هي هي . إننا هنا بصدد عملية إزاحة من الجنسين للسلطة البطريركية ، لإحلال الذات عوضاً عنها لكي تتجدي محاذير وممنوعات الحياة اليومية التي تحدد مسافة بعد الجسد ،ومن ثم تقف موقفاً مناهضاً من متغير العلاقات الجنسية ([1]) .

وأحري بنا أن نسجل هنا أن عملية انزياح السلطة البطريركية لا تتم في مواجهتها وإنما من خلف ظهورها . فبعيداً عن عيونها يتم التفاعل بين الذكور والإناث ، إذ تتم داماً في أماكن خاصة (شقة) ١٩,١% ، أو في النادي ٢٨% ، أو

١ - زهير حطب وعباس مكي ، السلطة الأبوية والشباب دراسة ميدانية اجتماعية نفسية حول طبيعة السلطة وتمثلها ، معهد الإنماء الصدي ، بيروت ، د.ت ن ص ٦٧ .

في المقهي ٢٤,٥% ، أو في الجامعة ١٦,٣% ،أو في الأماكن الخاصة بتقديم الأطعمة السريعة مثل:كينتاكي ، بيتزا هت ، ماكدونالد ، تشيلسي ١٢,١% .

وإذا كنا نشعر من الاستجابات السابقة مدي دخول الجنس والإشباعات البيولوجية في إطار العلاقات الاجتماعية بين الذكور والإناث بعيداً عن قيود الدين والمجتمع ومؤسسة الأسرة ، فإن ذلك تراقف معه شيوع الزواج العرفي . إنه نتيجةللقيود القتصادية وإطلاق الحريات في السلوك والتصرفات نتيجة لغياب السلطة وتكوين ثقافة خاصة لمجتمع الشباب ، فإن جزء كبيراً من عينة الدراسة (٨٣,٥%) قد أيدت هذا النوع من الزواج الذي يتم بعيداً عن القيم المرجعية السائدة، إذ رأت أن شيوع مثل هذا النوع يرجع إلي : سهولة إجراءاته وقلة النفقات (سهل ومبيحتتاجش لفلوس كثير) ٤٦,١% ، إشباع للذة البيولوجية وعدم وجود قيود (الجنس متعة ومهواش حرام) ٢٢,٣% ، عدم تدخل السلطة الأبوية في عملية الاختيار (هوه اتفاق بين اثنين وعلي ورقة والأهل مبيدخلوش) ٨٣,٥% .

إن المتأمل في شيوع الجنس بين مجتمع الدراسة الراهنة ، يمكنه أن يستدل إلي أي حد يتحايل الشباب وفق إرثهم الديني والعقائدي لإشباع حاجاتهم البيولوجية فبديلاً عن النمط الأوربي – الغربي – الذي لا يضع قيوداً عنالجنس ، فإنهم خلعوا عليه مسحة دينية وفق تأويل بعض المذاهب الدينية التي تحرم مسألة الزواج العرفي . إن شهوة الأجساد وممارسة الحرية الجنسية وفق تبرير ديني . يجعل الشباب وفق منطقهم الخاص أمام ابتكار أنواع من التحايل علي سلطة المؤسسات القائمة في المجتمع ناهيك عن أنه من خلال آليات سلطة الطب الحديث ، فإنه غالباً ما يتم الحيلولة دون حدوث الإنجاب ، أو حتي ترميم البكارة خاصة بعد انزواء أسباب هذا الزواج العابر أو الخفي .

(٣) الشباب والاهتمامات الاجتماعية :

وحيث أننا أوضحنا في ما سبق ، لطبيعة العلاقات الاجتماعية التي يخرج بها الشباب عن إطار سلطة الأسرة والمجتمع ، وآلياتهم في إشباع احتياتهم وفق منطــق المحاكاة والتي هي مع الثقافة التي تدفع آليات الليبرالية إلي تسييدها ، فإننا بإماطــة اللثام عن اهتمامات هذه الفئة ، وطبيعة الموضوعات التي يتم تدوالها فيمــا بيــنهم ، فإن الدراسة الحالية توضح أن أهم الموضوعات هي الحديث عن اللــبس والموضــة ١٨,٦% ، عن الموبايل ١٢,٨% عن العلاقات مع الجــنس الآخــر ١٩,٤% ، فــي مباريات كرة القدم ١٦,١% في الحفلات وأماكن الترويح المختلفة ٩% ، أوفي عينة الآخرين (بنتكلم عن بعضنا) ١٣,٦% ، أو عن المخدرات وتفــضيلهم لأي منهــا ١٠,٥%. إن المتفحص لطبيعة الموضوعات السالفة، يجد أن هــذه العقــول تتــسم بالخواء ، اللهم إلا من الموضوعات الهامشية التي تأتي دوماً عبر البث الإعلامــي ، الذي وفقاً لإهدافه ومراجعه وممن يقف ورائه ، يسعي إلي جر هذه الفئة للهث وراء الثقافة الغربية.

فبدلاً من تأمل أوضاعهم وأوضاع الواقع . الذي يعيشون بين جنباته ، فــإنهم يسبحون في الشكل السلبي الذي تتسم به هذه المجتمعات وهو مأ يساهم فــي فــرض نفطاً عاماً للثقافة والفكر في إطار ما يسمي بثقافة الاستهلاك الغربية .

وإذاكانت عينة الدراسة قد أوضحت لطبيعة الموضــوعات التــي يتجاذبهــا الحديث في مجتمعهم الخاص ، فإنه لكي نقف علي مصادر هذه المعرفة الخاصــة ، فقد أفادت أنها تتشكل إما من التليفزيون٩% أو من الدش ٩,٦% ،أو من المجــلات ١٢,٧% ، أو من شرائط الفيديو ١٥,٥%، أو من الإنترنت ٣٤,٣% . والمطلع علي المصادر والآليات التي تنقل المعرفة وشكل عقول فئة الذباب ، يجد أنها تزيح ما هو وطني (التلفزيون) وتنصب عوضاً عنه ما هو وافد ، الذي هو في نهايــة الأمــر يعمل علي تكريس ما هو غربي وغير وطني . إنه حسب ذلك يكون الغرب قد حول

المعلومات إلي سلطة غيرمادية من شأنها أن تخضع وتبدل المعايير السائدة بأخري ، بهدف اختراق الأوطان وتمزيق وحدتها وشيوع الاغتراب ،ناهيك عن تعزيز نمـط الحياة الغربية ،ولعل تفعيل وسائل اللهو والتقليد فـي اللـبس ، وانتـشار مطـاعم الماكدنالد والكنتاكي والهمبرجر وألبيتزا هت والكوكولا ، وشيوع ثقافة الجنس ، هي أهم مظاهر هذه الممارسات ، التي من شأنها أن تكون أداة للـسيطرة علـي الثقافـة والفكر من الخارج وإعلاء ثقافة الغرب من جهة ،والحط من قيمة الثقافة في الـداخل والإضرار بالمصالح الوطنية والتنموية والاستقلاـ من جهة أخري [1] .

(٤) ثقافة الشباب والانتماء والهوية

من المسلم به أن العولمة كسياسة تنموية غربية تعمل علي سيادة الإيديولوجية الليبرالية الغربية كمنطق واحد ووحيد في الكون برمته علي جميع الأصعدة . فهـي كما تعمل علي خلق مناطق اقتصادية تابعة لها ،فهي في الوقت ذاته تزيـل الحـدود والجغرافيا لتسييد ثقافة كونية – غربية واحدة . إنه منذ تفعيل سياسات العولمة غداة ما يسمي بالحرب الباردة ،فقد جاهدت بكل ما تملك من آليات تمويليـة وتكنولوجيـة وعسكرية إلي تبديل الهويات الثقافية . إنه بتعانق السياسة والاقتصاد والثقافة تـسعي سياسات العولمة إلي إيجاد هويات ثقافية جديدة ،ومن ثم السير وراء أعلام جديـدة ، ذلك الذي يؤدي في نهاية الأمر إلي تعميق عدم الانتماء وسيادة التفسخ الاجتمـاعي [2].

ولكي نكشف عن ذلك في إطار الدراسة الراهنة ، فإن عينـة الدراسـة قـد أوضحت عدم الفرق بين ما هوغربي وما هو وطني ،فضلاً عن تفـضيلهم للثقافـة

١- حول دور الاعلام في تعزيز وتكريس الثقافة الغربية ونفي الاستقلال الوطني انظر :

* هربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول ، ترجمة عبدالاسلام راضون ، عالم المعرفة ، العدد ١٠٦ ، الكويت ١٩٨٦، ص ص ١١- ١٨.

* مصطفي المحمودي ، النظام الاعلامي الجديد ، عالم المعرفة ، العدد ٩٤، الكويت ، ١٩٨٥، ص ١٤١ .

٢- أنتوني جيدنز، العولمة ، في الطريق الثالث ، تجديداص للديمقراطية الاجتماعية ، ترجمة : أحمد زايد ومحمد محيي الدين ، المجلس الأعلي للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ص٦٥ -٦٦ .

الغربية علي الثقافة الوطنية (٩٠,٣) ، وأن أسباب هذا التفضيل يرجع إلي أن ممارساتهم لا تخضع إلي أية قيود (٤٦,٥%)، وأن ما يضعه المجتمع وحتي السلطة الوالدية من قيود تدخل في إطار ما يسمي بالموضة القديمة (٢٣,٩%)، وأن الثقافة الغربية تسمح لهم بإشباع الاحتياجات بدءاً من الأقل ومروراً بالجسد وحتي التكنولوجيا (٢٠,٦%) .

وبيد أن فئة الشباب يرتكنون ويفضلون الثقافة الغربية علي ثقافة مجتمعاتهم التي يوصفونها بالتقليدية ، أو بحسبانها موضة قديمة ، فإن ذلك انسحب علي ممارسات معينة أخري وهو ما يتعلق بتفضيل اللهث وراء الإعلام غير الوطنية . لقد رأي ٩٣,٦% من مجموع العينة أنهم يفضلون تزيين سياراتهم ولبس الجيتر والأحذية الأمريكية ووضع أغطية علي الرأس(الكاب) وهو ما يعبر عن الانتماء للمجتمع الأمريكي ، وعن ممارسات حياتية ترتكن إلي واقع ثقافي مغاير للثقافة الوطنية . وفي الوقت نفسه أشارت عينة الدراسة إلي ممارسات أخري مثل الوشم أو ما يسمي " بالتاتو" لكي يعبروا بها عن ممارسات حياتية دون فهم حقيقي لممارساتها ذلك الذي يعني أن ثمة تغيراً أو ثورة علي كل ما هو وطني وأصيل . لقد دفعت الثقافة الغربية برموزها وعاداتها في إطار ما يؤديه " التوتم " لكي تقيم تواصلاً بين المادي والفكري الذي يسعي إلي دحض الهوية من جانب ، وتكريس الضياع والتبعية من جانب آخر .

إن الملبس وحتي المآكل باعتبارها طقساً يومياً ورمزياً في آن ، من شأنه أن يدمج الفرد في المجتمع الذي يسعي إلي فرض هيمنته علي الآخر ، أو قل هو محاولة من الثقافة الغازية لإعادة تشكيل الواقع أوقوليته وفق استراتيجيتها وهويتها وقيمها [١] .

١ – جان فرانسوا بايار ، أوهام الهوية ، دار العالم الثالث ، الطبعة الأولي ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ١٧٤ .

وأيضاً راجع :

إن ذلك يمكن أن نلمحه بطريقة جلية في تفضيل طريقة اللبس والمأكل وحتي التكنولوجيا علي الطريقة الغربية . وللوقوف علي أسباب هـذه التفـضيلات ، فقـد أوضحت عينة الدراسة أنها تناسب أذواقهم واهتماماتهم ٢٣,٦% وأنها تمنح الـذات قيمة ووضعاً اجتماعياً مميزاً ٣٦,١% ، وأنها تشبع احتياجـاتهم ١٤,٨% ، فـضلاً عن كونها ضد التقليدية ومع التحديث ٢٥,٥% .

أنه علي هدي ما تقدم ، فإن الدراسة الأمبريقية أوضحت بجلاء عن موقـف شباب الطبقة البرجوازية الكبيرة والصغيرة من جميع أنماط السلطة القائمـة . ففـي الوقت الذي يتخذون فيه موقفاً نداً من السلطة البطريركية علي صعيد الأسرة ، فإنهم في الوقت عينه يعبرون عن هذا الموقف علي الصعيد الثقافي . إن الخروج والتمرد علي كل قيم المجتمع السائدة ، في حين أنه يقدم صورة لتجاوز الشباب أنماط السلطة القائمة في الإطار المحلي ، فإنه بنفس القدر يشير إلي الانصياع إلي سلطة أخري ، تلك التي فعلتها آليات الليبرالية الجديدة سواء علي المستوي السياسي أو الاقتـصادي أو الثقافي .

لقد تفاعل الاقتصاد والسياسة والثقافة لترسيم حدود ثقافـة عالميـة جديـدة ، تتناقض مع ثقافة وهوية المجتمعات الغربية ، سمح بتفوق وتجنيس ثقافة العالم برمته وفق الثقافة الغربية ، تلك التي ساهمت في شيوع أنماط جديدة من القيم والانحـراف وثقافة الاستهلاك ،ناهيك عن نزع الدين عن الواقع المعاش وتـسكينه فـي العـالم السماوي وحسب ، وهو ما دعي إلي بروز ما يسمي بالصحوة الدينية التـي عبـرت عنه بصدق أحداث العنف الديني ، ليس فقط في إطار مجتمعاتنا وإنما فـي سـياق المجتمعات الأخري التي كانت تدخل في أضمومة الدول السوفيتية .

ففرض النمط الغربي كأسلوب حياة علي العالم بأسره ،جعل من الثقافـة قـوة مفرقة ومجمعه في آن . ففي حين هي تعمل علي تجميع العالم كلـه وفـق معـايير

* تومي كاريل ، فلسفة الملابس ، ترجمة طه السباعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠١.

الثقافة الغربية لخدمة أغراضها السياسية والاقتصادية ،فهي أيضاً تعمل علي تمزيـــق الثقافات المحلية ،ومن ثم إنهاء الهوية ، تلك التي من شأنها أن تلحق الفروع بالثقافة الأم أقصد الثقافة الغربية . إن انسحاب الشباب عن قيم مجتمعاتهم يفصمون روابـــط الانتماء بينهم وبين مجتمعاتهم ،الأمر الذي جعل قسطاً غير قليـــل مـــنهم عرضـــة للجماعات الهروبية . لقد بات الشباب وفق سياسات العولمة مهـــاجراً ســـيكولوجيا ً وليس فيزيقياً – علي صعيد ثقافته ،وهو ما ندلل عليه بـــشيوع بثقافـــة الاســـتهلاك الغربيةوقيمها التي تفرغ توجهات وسلوك وتصرفات الشباب من كل ما هو وطني .

إننا حيال كل ما سبق ، فإن تأسيس ثقافة خاصة بالشباب من خـــلال التوكـــؤ علي ثقافة الغرب ، ومناهضة ثقافتنا ، تجعلنا نشك في مستقبل هـــؤلاء ومجتمعاتنـــا ،وذلك باعتبار أن هذه الفئة العمرية هي أكثر الفئات حيوية وقدرة علـــي النـــشاط ، التي سوف تضطلع بقسادة الوطنوتحقيق الاســـتقرار والتنميـــة وتفعيـــل الاســـتقلال الوطني في المستقبل .

ثانياً : ثقافة الآخر وآليات الغزو :

يعد الواقع الثقافي القائم بين صفوف شباب مجتمعنا، ثمرة مـــن ثمـــرات المحاولات الدائمة لاختراق وتغلغل الإيديولوجية في أرجـــاء المجتمـــع المـــصري ، لتسييد ارأسمالية ، وإحكام قبضتها سياسيا واقتصادياً وعسكرياً وثقافيـــاً . إن ســـعي الأيديولوجية الرأسمالية لخلق نسق من السلوك والعادات والتقاليد والقيم الاستهاكية ، هو ما يسمي بعملية الإتباع الثقافي ، أو قل أنه الاستلاب الثقافي بعينه ، الذي يسعي إلي الهيمنة الثقافية – الإيديولوجية علي مختلف الأصعدة.

إن تشكيل اعقل وإعادة إنتاج ثقافة الشعوب ،ما هي إلا ضرباً مـــن ضـــروب الفنون الاستعمارية القديمةوالحديثة في آن ، التي طريقها يسعي الغرب إلـــي إيجـــاد

عقل متحرر من جذوره الوطنية وهويته وخصوصيته ، ذلك الذي سوف يؤدي في نهاية الأمر إلي وجود ما يسمي بالاغتراب[١].

وإذا كان ذلك كذلك ، فإننا حاولنا في هذا الجزء أن نكشف كيف أن ىلآخر وفق وسائطه يعمل علي إعادة إنتاج نوع من العقل يفصم علاقاته بهويته الوطنية من جانب ، ويضيع ذاته وفق قيم ليست أصيلة في مجتمعاتها . إن تصدير الغث وليس الثمين وفق آليات الإعلام ، هو ما يعبر عن مؤامرة تم حياكتها بهدف إنماء عملية الانتماء من جانب ، وجعل هذه الفئة الشبابية صيداً سهلاً في المستقبل من جانب آخر .

إننا حاولنا هنا أن نقيم دراسة تحليلية متعمقة علي مجموعة من الحالات ذات الطبيعة الخاصة، سواء من حيث تركيبها الاجتماعي أو من حيث طبيعتها التمردية علي سلطة الكبار والمعايير والضوابط الاجتماعية . إننا باعتبار أن دراسة الحالة منهجاً تعمقياً يستطيع سبر ما بداخل الذوات الإنسانية [٢] . فقد قمنا بتطبيقها علي خمس حالات تفارقة وغنية بكثير من التحليلات والشواهد التي خدمت الغرض من هذا الجزء [*] ، وهذا هو محور الحديث في الصفحات التالية :

١- مسعودضاهر ، مجابهة الغزو الشمالي الامبريالي للمشرق العربي ، منشورات المجلس الدولي للثقافة ، الطبعة الأولي ، بيروت ، ١٩٨٩ ،ص ٢٦٨ .

٢ – حول طبيعة وحدود منهج دراسة الحالة ، أنظر :

عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، مكتبة وهة الطبعة التاسعة ،القاهرة ١٦٨٥ ، ص ص ٢٤٠- ٢٥٤ .

(*) علي الرغم من حصول الباحث علي حا لات كثيرة في إطار الدراسة الراهنة إلا أنه اكتفي بعرض هذه الحالات فقط نتيجة اعتبارات عدة ،لعل أهمها تكرار بعضها ،ناهينا عن التقيد بالمساحة وتعليمات النشر .

(**) اسماء الاعلام علي طول هذا الجزء من وضع الباحث .

(***) يريدي صاحب هذه الحاة الجيتر ، وبعض المشغولات الذهبية في نقه ويده ، ناهيك عن حمله لنوعين مختلفين من التليفون المحمول (موبايل).

الحالة الأولي :

صاحب هذه الحالة (سامح) (**) يبلغ من العمر نحو عشرين عاماً وهو طالب في معهد السياحة والفنادق في مدينة ٦ أكتوبر ويعمل والده بدولة الكويت ويقطن بحي المهندسين في شقة تمليك خاصة به ، وهي تشكل عالمه ووجوده التي من خلالها يدير سلوكه وتصرفاته وعلاقاته بالآخرين : والمدقق في ملامحه ، يجد أن مستواه الاقتصادي والاجتماعي ينعكس علي مظهره (***) ولوصف كل ما سبق وفق ما تقول به فإنه يذكر :

"........ أنا والدي بيشتغل في الأعمال الحرة في الكويت .... وأنا عايش هنا لواحدي لأن أسرتي كلها هناك ..... وأنا عايشفي شقتي اللي والدي اشتراها ليا ..... والدي اشتري ليا ولأخويا ولأختي كل واحد شقة هنا في المهندسين ... وشقة والدي جانبي هنا .... حاجة .... أنا عندي كل حاجة ومش ناقصي حاجة ..... لدرجة أنه فرشها حتي السجاد عجمي ..... شقتي هي كل حاجة بالنسبة ليا .... أنا باقابل فيها صحابي وصاحباتي .... وبقضي فيها معظم أوقاتي ... أنا والدي بيبعت لي كل شهر ألف جنيه علشان أعيش منها وأصرف علي العربية .... و ده غير مصاريف المعهد ، واللبس ، لأنه هو مخصص ليا كل صيف وشتاء ألفين جنيه عشان أجيب اللي أنا عايزه ..... ده غير اللي هو بيجيبه وهوه جاي .... ده حتي التليفونات دي هوه اللي جابها ....."

وإذا كان ما سبق يعبر عن حالة " سامح" من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فإنه أيضاً يعبر عن نمط حياة سلوكية وتصرفاته وعلاقاته مع الآخرين تلك التي تتماهي مع نمط الحياة الغربية .... السيئ الذي يصدره الغرب وفق إعلامياته . وحول ذلك يذكر :

"..... أنا تعلمت السجاير من ممثل أجنبي .... أنا عجبتني مسكته للسجاير قمت اتعلمتها من الممثل ده هو جون ترافولتا ..... والخاتم الدهب اللي في صابعي الصغير ، أنا أخذته من واحد كان في فرقة أجنبية اسمه بالك استريت يويز ودي فرقة أصلها ايرلندي اشتهرت في أمريكا ..... وده نوع من الروشنه وحتي لبس ده كله أنا بجيبه إما من المشهورين في أمريكا أو هنا برش نفسي علي آخر موديل .... أنا بحب اللبس مثلاً البنطلونات اللي بيقولوا عليها التيجر اللي هيه بنطلونات واسعة وليها جيوب من الجنبين ... وفيه ناس بيسموها الباجي .... في مجتمعاتنا اللي ما بيلبسش النوع ده مبيبقاش روش ويبقي ملهوش لزمة ....."

وبيد أن صاحب الحالة في الموضع السابق قد أوضح كيف يستقي مظهره من آليات البث التلفزيزني والفضائي التي جعلته يحاكي النمط الغربي فإنها ذاتها هي التي سمحت له وع معايير خاصة في اختيار نمط حياته وعلاقاته الخاصة بمن يحيط به في دائرة وجوده وفي ذلك يقول :

"...... شوف أنا بطبق اللي بشوفه ... مش بس في اللبس ولكن برضه في اختيار أصحابي .... أنا مخترش الناس المعقدين الي يقولوا حلال وحرام ... أنا عايز أعرف الناس الفري Free اللي زيي ... أنا مش عايز كلكعة ....أنا أحب الناس النضاف اللي ما يهمهمش حاجة .....ممكن يسهر ومحدش يحاسبه ويعمل اللي هو عايزه وطق في دمغنا حاجة نعملها ومنخفش .... ونصرف نروح في أي حته ....الناس اللي زي دول بريوا وميخلوش العيشة غم .... أنا ميهمنيش هو ده مين ولا ابن مين المهم أن يكون دماغه كبيرة وعلي قد دماغي ... أنا وصحابي بنقعد قعدات حلوه بيبقي الواحد مننا دماغه طايرة وأقل قعدة لازم يكون فيها المزاج .... لازم يكون المزاج طلقة (البانجو) والطلقة دي بتكون بتتقال علي البانجو لما يكون فيه أغضان كثيرة واحنا بنقول عليها "عرانيص " وجنب البانجوو يكون فيه بيرة أو خمرة وبرشام واحنا بنقول عليه حبة الجراءة وهوه اسمه " ريفو تريل " وده

اواحد بياخده لما بيكون مضايق ويكون عايز أعمل دماغ ، والبانجو له أسماء كثيـرة زي جوين أوبوب أو سامن، أو سميز ، الجوين بيتقال علـي الحبـة الـصغيرة ، والبوب نقوله علي اللفة الكبيرة ....واحنا في أي قاعدة لازم يكون فيه حاجة حلـوة عشان " التعلية " أو الواحد يكون مشعشع، وطبعاً يكون المسجل فيـه أغنيـة اللـي بتساعد علي الشعشعة ،والدماغ تولع والأغاني دي لمايكل جاكسون وجورج مايكـل وسيتاليكاود......"

وعلي الرغم من أن صاحب هذه الحالة يعبر حسب مل ذكر عن إتباعه لنمط الحياة الغربية إلا أنه يشير بشكل أقوي عن إنسحابه من الواقع . ولمـا كـان غيـر مبرراً مثل هذا السلوك حيث أن إشباعاته لا تقف أمامها العوائق الاقتـصادية التـي تجعله يسجل موقفاً هروبياً ، فإننا يمكن أن نرجعه إلي غياب السلطة الوالدية والثورة علي كل ما قائم . ولتكمله سلوك صاحب هذه الحالة وما يـتم فـي إطـار جلـساته الخاصة ، فإنه يصفها علي النحو التالي :

"...... والقعدات دي لازم يكون فيها احنا بنسميها " سلطان القاعدة " وهـوه اللي بيعرف يضبط القاعدة ويعرف يلف ، ويصب البيرة أو الخمرة ويولع الجـوين .... والجوين لما يتولع لازم النار تكون جوه،ويبقي فيه كرتونه من بره احنا بنسميها الكارتيلا ودي عاملة زي الفلتر عشان البانجو كله يولع والقعـدة دي متنتهـيش إلا يوصل كل واحد منا الحالة خراب واحنا بنقول عليها " الأنجكـة " أوالطيـران ..... وطبعاً دي يعني أن الواحد ميكنش واعي بأي حاجة ولا حاسس بحاجة ..... وفـي القعدة دي احنا بنقعد نشتغل بعض ونتريق علي بعض ودي بنـسميها " التـسقيطة " يعني أن الواحد يبقي خربان .... ولازم الواحد في القعدة دي يبقي " أدرجي " يعني صايع عشان ، عشان ميوقعش في القعدة ، أحسن يبقي هو فاكهة القعدة ......"

ولما كان " سامح " قد وصف طبيعة الجلسات ،و بعض المفــاهيم المتداولــة فيها وما يحدث من غياب أو انسحاب فإنه أيضاً قدم لطبيعة النــوع الــذي تــصحبه جلسات الغياب والهروب من الواقع ،وحول ذلك يذكر :

"..... الجلسات دي بيكون فيها بنات .... كل واحد جايب " الموزة " بتاعتــه أو اللحمة الحمرة ..... ودول بيكون ليهم في الحاجات اللي بنــشتريها .... وكمــان منهم اللي بيضرب ماكس أو يشم التذاكر (يقصد الهيروين) ..... ومحدش منا لــه دعوة الإ الموزة بتاعته ، حتي لوهيه كانت ضايعة محدش يقــرب لهــا ....الــشلة بتاعتنا ليها مبادئ ....حتي الشمام ليه مبادئ ....والبنات دي مستويات هــاي اللــي فيهم أبوها عميد شرطة وهيه بتضرب وتتنيل بس مع واحد بس ....والموضــوع ده واخد شكل حب من بره .... ولكن حقيقة هو جنس كل واحد بيروش نفسه مع البنت بتاعته .... والموضوع ده عادي .... محدش يقدر يقرب من أي وحداة في القعــدة متلزموش وإلا يبقي احنا بزقع " الأرايل " وطبعاً أي حد يقدر يقعد معانا لأن الــشمة بـــ ٥٠ جنيه والبانجو بـــ١٠ جنيه ....".

إن المطلع فيما دفع به صاحب هذه الحالة ، يستطيع أن يقف علــي طبيعــة السلوك والتصرفات التي ينهجها فئة من الشباب . واللغة الخاصة أو الرمــوز التــي يخلعها علي الفاعلين الاجتماعيين الذين يشاركون التصرفات والسلوكيات المتخارجه مع أي سلطة قائمة ، تلك التي دفعت بها آليات الإعلام الغربي ، إما لغياب هــؤلاء وانفصالهم عن واقعهم الآني والمستقبلي ، أو لبعدهم باعتبــارهم طليعــة الحاضــر والمستقبل – عن التفكير في أوضاع مجتمعهن المتناقضة التي تتطلــب نوعــاً مــن التحرر . إن محاولات مسخ الوعي وفق آليات الإعلام والمعلومات الغربية ،ما هــي إلا محاولة لنزع فكرة التحرر والاستقلال والهوية الوطنية ، فضلاً عن وضع الذات الإنسانية في دنيويته الرخيصة لا آخرته .

وإذا كان " سامح " وفق ما ذكره آنفاً قد أوضح أن العلاقات بين الشباب (ذكر – أنثي) تأخذ ملمس ظاهراً وآخر باطناً ، الأول هو الحب والآخر هو الجنس ، فإن هذه العلاقات قد تأتي في بعض الأحيان مغلفة بإطار شرعي . ولكنغداة تحقيق الذروة والإشباعات الجنسية سران ما تنتهي ، إذ يبحث كل منهما عن بديل آخر ليقضي إشباعاته .لتوضيح ذلك فإن عين كلامه هو:

".... كل واحد بيوهم التاني إنه بيحبه . وهما بيوهموا بعضهم .... بيجتمعوا علي الكلمة دي وبيحصل اللي بيحصل بينهم .... وساعات همه عشان يخلصوا من وجع الدماغ ، وأن حد يبصلهم بصة مش كويسة ،همه بيكتبوا عرفي ... ولما يزهق أي واحد من التاني يقوموا يقطعوا الورقة دي وخلصت الحكاية ، وكل واحد يشوف طريقة ، ويدور له علي حد تاني ....وفيه ساعات البنات تجوز وتروح تعمل عملية ترقيع ومحدش شاف حاجة ...."

إن المرجية الإعلامية الغربية التي دفعت الشباب إلي إدارة ظهورهم لمرجعية مجتمعهم وضوابطه ، جعلتهم يكونون إدراكات خاصة تجنح عن المشروع المقدس . فوفق آليات الترويج للثقافة الغربية تم إباحة الحب العابر والتحريض علي شهوة الأجساد وشيوع الممارسة الجنسية ومن تطوير آليات ترميم البكارة ، فضلاً عن وضع القيود الكيميائية والتكنولوجية دون حدوث الإنجاب .

الحالة الثانية :

تبلغ " سمر" من العمر نحو أربع وعشرين عاماً ، وهي طالبة بكلية التجارة بجامعة القاهرة . ويعمل والدها دكتور كيميائي ([1]) ولها من الأخوة ثلاث ،ولدان ، الأول مهندس والآخر ضابط ،أما الأخري فهي مدرس مساعد بإحدي كليات العلوم وصاحبة هذه الحالة ، هي خريجة لإحدي المدارس الأجنبية وتقطن بحي مصر

(*) الأب متزوج بأخري نتيجة وفاة الوالدة .

الجديدة وإذا كان الملخص الفائت يكشف الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية لصاحبة هذه الحالة فإنه أيضاً يعد المسئول عن ممارستها وسلوكها وتصرفاتها ،حتي ثقافتها . لكي نكشف عن ذلك فإنها تذهب :

"…. أنا من سكان مصر الجديدة …..ووالدي أستاذ في الجامعة وهو متزوج من غيرأمي لأنها ماتت ….. أخواتي (٣) ،واحد مهندس والثاني ضابط وأختي مدرس مساعد في كلية العلوم ومعها ماجستير في الكيمياء …. أنا خريجة من مدرسة لغات ….يعني الموضة دي مش هاقولك عليها …. احنا كنا بنتباري في اللبس وفي المكياج وفي التسريحات …. كانت لو واحدة تشوف حاجة في التليفزيون ولا في الدش كانت بتقلدها وتتباهي بها …. وأنا كنت زيهم كنت دايماً أشوف إيه الجديد …. مش كده ، بس كمان كنا بنتسابق علي اللي يعرف الولاد ….وكان كل واحدة تتغزل في الولد اللي تعرفه ، اللي بيحصل بينا ……".

وإذا كانت صاحبة هذه الحالة قد أوضحت التأثير الطاغي للبث الإعلامي في تكريس ثقافة خاصة ليس عليها وحسب وإما علي جميع الأخريات التي تعيش في محيطها ، فإنها تثبت أيضاً أن هذه الثقافة جعلتها أسيرة للتقليد ومحاكاة كل ما تتلقنه من هذه لآليات . وفي ذلك تذكر :

"…. أنا مش بس بأخد الموضة والتسريحات والماكياج ، لا أنا كنت بشوف الأفلام إياها (الجنسية) اللي هيه علمتني حاجات كتير … أنا من يوم ما شفت الحاجات دي ، وكنت بطبقها عملي ، ومكنش فيها مشكلة حتي وأنا كنت في الثانوية العامة …. المدرسة كانت مختلفة ، وكانت الواحدة ممكن تعمل علاقات زي ماهيه عايزة …..وده كان من رواء أهلي لأني كنت بخرج من المدرسة وأعمل اللي أنا عايزاه وأرجع في وقت المدرسة ،أو أقول أني رايحة أذاكر أو أزور مع حد من زميلاتي …"

وحيث أن المناخ الذي عاشت فيه صاحبة هذه الحالة ، بالإضافة إلي غياب السلطة الوالدية . قد ساهم في وجود سلوك خاص فتخارج ، فإن هذا السلوك قد دفع بها إلي تكرار رسوبها ليس فقط علي مستوي المرحلة الثانوية ، وإنما أيضاً في الجامعة . وفي ذلك توضح :

"... الحقيقة أنا كنت مهتمة بالحاجات دي وكنت بزوغ من المدرسة سقطت مرتين في الثانوية العامة ... وفي الجامعة أنا سقطت مرة في أولي ،ومرة في ثانية ...."

وعلي الرغم من إدراك صاحبة هذه الحالة أن فشلها كان محصلة لسلوكها وتصرفاتها ، إلا أنها لم تقلع عن هذه التصرفات إذ تري فيها الانطلاق والحرية وإشباع الرغبات ، وحول ذلك يري :

".... أنا عارفة أن التزويغ من المدرسة وخروجي الكثير مع الشباب اللي أنا تربيت معاهم في المدرسة هو اللي خلاني أكوم كام سنة، بس أنا مبطلتش حتي لما دخلت الجامعة .... أنا مقدرش أقيد نفسي وأحبس روحي ... الحاجة دي بقت في دمي .... مقدرش أحرم نفسي من الحاجة اللي أنا عايزاها .... أنا في الجامعة زادت علاقاتي ، وبقيت جنسية أكثر من اللازم ...."

وحيث أن سمر قد أوضحت قبل قليل أن طغيان الإعلام المرئي، قد أدي بها إلي المحاكاة في بداية الأمر ، فإنه لاحقاً قد جعل من هذه المحاكاة شيئاً أصيلاً في سلوكها . والحقيقة أن هذا الأمر لم يدم علي حاله ، إذ طرأ عليه تبديلاً في ممارستها ،فبدلاً من اختيار الجنس المخالف لها في ممارساتها ، فقد اختارت من نفس جنسها . وهي في ذلك تبين :

" ..... أنا لما كنت بشوف الأفلام والدش وشرايط الفيديو ، كنت بلاقي واحدة مع واحد ... ولقيت أن الموضوع ده أحسن وميجبش وجع دماغ .... حتي

لما الواحدة تيجي ليا أسهل من أني أدور علي واحد ، وأنا مقدرش استقبله في بيتـــي ... أنا دورت علي واحدة من زمايلي في الكلية ،وهيه كانت أحلي مني ، ومرة فـــي مرة بقت هي ليا وأنا لها وده بيقولوا عليه لسبينيز LESBIENS .... ولمـــا كانـــت الظروف متوافقش أنا كنت بعمل معها في التليفون أورال سكس Oral sex ..."

إن المطلع علي الكلام الفائت يجد أن التكنولوجيا الغربية قد اســتخدمت فـــي غير محلها . لقد تم استخدام آليات الاتصال لإشباع الرغبات الجنسية بعيداً عن دائرة الزواج . إن تجاوز المحارم وشيوع الجنس بطريقة خفية أوعبر الأسلاك ، يجعلنـــا أمام استنطاق للصور التي يصدرها وسائل الإعلام الغربية .

لقد حاولت صاحبة هذه الحالة تحويل الصورة إلي أشياء ملموسة، ذلك الـــذي أدي إلي تشويه الحرمات والثورة علي القيم المرجعية التي تقف موقفاً مناهضاً مـــن كل هذه الممارسات . (١)

الحالة الثالثة :

صاحب الحالة الراهنة هو "وائل " الطالب الفرقة الثالثة بكلية العلوم . ويقطن بحي الزيتون، ويعمل والده طبيباً بالمملكة العربية السعودية ،والذي من حاصل عمله من عشرين سنة شيد مترلاً بناه من خمس طوابق كان لصاحبنا إحدي الشقق فيـــه . وعلي الرغم أن ما سبق يمثل الخلفية الاجتماعية له ، إلا أن "وائل " قد اضـــاف أن هذه الخلفية قد انعكست علي نمط حياته وتفكيره في بـــواكير مرحلـــة الـــشباب ، إذ يذهب :

" ..... أنا والدي بيعمل في السعودية من عشرين سنة ..... وهو طبيب كبير ومشهور هناك .... احنا بنعيش في بيت ملكنا ، والدي بناه لينا عشان نعـــيش فيـــه

(*) لقد دفعت صاحبة هذه الحالة بمجموعة من المقررات اللغوية الخاصة التي تيتخدم في إطار الفئات الشبابية مثل طحن = قوي ، أبعته = أعمل مقلب ، شيعوا = مشيه ،خليه يسجد = يسكنه ، حوقه = قلق ، يتشنير = يروح في داهية أو يتطع ، تلفني = اتكلم في التليفون .

احنا والأسرة كلها ... كل واحد من اخواتي له شقة فيها ....أنا شقتي محجوزة .... والدي مش مخليني عايز حاجة ....طبعاً انا عشنا في السعودية فترة ، وأنا واخد الثانوية من هناك .... أنا في الفترة دي لغاية لما دخلت الجامعة كنت ملتزم .... وكنت بصلي وطالق اللحية ....أنا أول ما دخلت الجامعة و كنت بتردد علي الجامع قابلت شبان متدينين ودخلت معهم الجماعة ، وقصرت الجلباب وعملت زيهم ... أنا والدي جه مصر ولقاني كده ، فأقنعني أن ده هيصفيني .... أنا اقتنعت وحلقت اللحية ، ورجعت زي ما كنت الأول ...."

وإذا كان صاحب هذه الحالة قد تلقفته إحدي الجماعات الهروبية أو الانحابية ، بحكم تكوينه الثقافي في المجتمع السعودي ، فإن هذا الوضع قد تحول إلي خط مخالف له بعد أن التف إلي جماعة رفاق أخري ، جرته إلي اعتناق ثقافة أخري وافدة .

وحول ذلك يري :

".... أنا بعد كده عرفت شلة جديدة في الجامعة ... وهمه خلوني أبعد خالص عن السكة القديمة اللي كانت هتوديني في داهية .... أنا من يومها بقيت البس الجيتر واخرج معاهم ونروح نسهر واتعلمت منهم أسمع الأغاني الأجنبي اللي فيها خبط ورقع والهتك والرتك .... وبقيت البس لبس فيه بهرجة وحوسكة وحنتفه .... وهمه عرفوني علي بنات كتير وكنت بصرف عليهم وده ان لزوم المرجلة ..."

وعلي الرغم من أن جماعة الرفاق قد حولت صاحب هذه الحالة إلي اتباع طريقة أخري في الحياة ، ساعدته في التخلص من طقوس الجماعات المنسحبة من الواقع القائم ، فإن هذه "الشلة " أو الرفقة قد جعلته ينسحب أو يدخل في إطار واقع أخر مناقض هو الأخر لما هو قائم .وفي هذا الصدد يوضح " وائل " ما يلي :-

"…. أنا لما كنت مع الجماعة المتدينة كنت باختصر أصحابي علـــي الـــشكل يعني كان لازم يكون مطول اللحية ومقصر الشارب والجلبـــاب ... بعـــد كـــده أنـــا اتغيرت وبقيت أنقي أصحابي علي اساس اللبس الحلو والشكل والكلام ... يعني لـــو كان واحد في وشه بشله ولا شكله مش نضيف كنت أقرف منـــه …. وعـــشان مـــا يشبهنيش ..."

إن المتأمل فيما سبق يتضح له حجم التغير في طبيعة وسلوك صـــاحب هـــذه الحالة . ففي الوقت الذي تبدلت نظرته للحياة ، فقد تحولت في الوقت ذاتـــه طريقـــة انتقاء رفاقه ، تلك التي استندت علي رؤية طبقية ، ساعدته في اختيار الأماكن التـــي يرتادها . وفي هذا السياق يشير :

"….. إحنا الشلة بتاعتي مبتقبلش حد مش نضيف . ولازميكونابن ناس مـــش عشان احنا بنروح كنتاكي وبيتزا هت والمولز زي جنينة مول والـــسراج والبـــستان …. و الأماكن دي مبيدخلهاش إلا الكويسين ، واللي يقدروا علي مصاريفها ….."

وبيدو أن "وائل " قد تغيرت نظرته في اختيار الرفاق ، كذا الأمـــاكن التـــي يشبع فيها بعض احتياجاته ، فإن ذلك انسحب علي رؤيته للجنس الآخر وعلاقته بهن ، وهو ما عينه في المقطع التالي :

" ….أنا لما بخرج مع أصحابي …. انا بنقابل بنات ….لأن الشلة دي خليط ولاد علي بنات ... وبنروح نسهر مع بعض …. وهمه فري (Free) …. بنـــتكلم مع بعض في أدق التفاصيل …. الموضوع عادي يننا …. كل واحد منا له واحـــدة خصوصي ... وبيحصل كل حاجة تتصورها …. احنا بنروح مع بعـــض رحـــلات طويلة في الغردقة والاسماعلية وشرم الشيخ واسكندرية وبنبات مع بعض …. يعني اتخيل ايه الي بيحصل …. وهمه كمان بيخرجوا في العربية بتـــاعتي …والعربيـــة

زي الشقة بيحصل فيها بلاوي .... والبنت هيه اللـــي بتغــويني .... ســاعات أنـــا باصطاد من الشارع ، وهمه بيكون قصدهم الجنس وبس ....".

ويضيف أيضاً صاحب هذه الحالة ، أن الأماكن التي يتقابل فيهـا ورفاقــه لا توقف علي الأماكن العامة ، أو حتي في إطار سيارته ، بل أيضاً في الأماكن خاصة (شقة) تلك الأماكن التي تسمح طبيعتها بممارسة الجنس حيناً ، أو مشاهدة الــصور التي تثير النوازع الجنسية ، وحول ذلك يوضح :

".... أنا في نهاية الأسبوع بنجمع في شقة واحد مع الشلة وهو قاعد لوحده ، أسرته زي حالتي أبوه بيشتغل بره ... واحنا بنجيب افلام السكس ونقعد نتفرج عليها ، وطبعاً بيكون فيه البانجو والخمرة والحشيش .... ولزوم القعدة ... بيكــون معانـــا البنات أصحابنا ... وكل واحد بيدلع نفسه ... مش لازم برده ان الواحد يفضل علي واحده ، احنا ساعات بنعمل سكس جروب ..."

وعلي الرغم من أنصاحب هذه الحالة يمارس الجنس وفق ما أوضح قبل قليل ، إلا أنه يرتبط لإحدي الفتيات عرفياً ، وهو ما جعله يأخذ موقفاً إيجابياً من الــزواج العرفي أو السري الذي يلجأ إليه الشباب لتفريغ دوافعهم البيولوجية بعيداً عن السلطة البطريركية .

والتالي هو عين ما ذكره في هذا الصدد :

".... أنا مجوزواحدة عرفي ... أنا اتعرفت عليها في المكتبة وهيه من دولـــة عربية ...وهي علي درجة كبيرة من الجمال ... أنا عرفتها ولما ملقيتش فايده أنـــي أخد مزاجي منها ، قممت عرضت عليها الجواز العرفي .... هيه وافقت ولقت فيـــه مبرر عشان ميبقاش حرام اللي بنعمله .... هيه بتعمل ده عشان بتجبني وأنا باعملـــه عشان أخد مزاجي وأريح نفسي ...."

اننا بشكل عام أمام شخصية تناقضة ، ففي الوقت الذي وجد صـــاحب هـــذه الحالة طريقه للهروب من الواقع ومغرياته وانغمس فيها مفعلاً كـــل طقوســـها ففـــي وقت آخر وجد ضالته في جماعة أخري ينتهك عن طريقها كل المحرمات وكل مـــا هو مقدس ، أي أنه حينما ابتعد عن مغريات الثقافة الوافدة حيناً من الوقـــت ، فإنهـــا هي هي التي أبعدته عن واقعه وهويته وثقافته .

الحالة الرابعة :

صاحبة هذه الحالة " دينا "حاصلة علي بكالوريوس التجارة قسم الإنجليـــزي، وتبلغ من العمر ثلاث وعشرين عاماً ، وتعمل سكرتيرة تنفيذية في إحـــدي شـــركات الاستثمار ، وتسكن بمدينة ست أكتوبر بفيلا مملوكة لوالدها عميد الشرطة الـــسابق ، الذي انفصل عن والداتها منذ فترة طويلة ، نتيجة الخلافات المتكررة بينهمـــا وفـــي ذلك تقول :

"... أنا عانيت في حياتي واتبهدلت من غير ما يكون ليا سبب ولا ذنـــب ... أسلوب التربية وطريقة معاملة الأهل تقرف ... والدي كان بيتعامل معانـــا إن احنـــا عساكر عنده .... وماما كانت ضعيفة قدامه ... هوه كان بيعاملنا بقـــسوة ، وهيـــه كانت بتعوضنا .... وكان بسبب معاملته هما كـــانوا بيفترقـــوا كثيـــر ... وبعـــدين بيتصالحوا .... وكان ده مسلسل غم عندنا .... خناقات وبعدين طرد وبعدين صـــلح وبعدين ضرب وصلح ... لغاية في الآخر ما انفصلوا ..."

ولما كان ما سبق يمثل طبيعة الجو الأسري السائد لصاحبة هذه الحالة ، فإنها أيضاً قد انعكست علي طريقة التنشئة الاجتماعية . ففي الوقت الذي تقف فيه السلطة الأبوية بحزم أمام ايه تصرفات ، فإننا علي الجهة الأخري نجد أن الأم تتسامح فـــي كثير من الأمور، وهو ما أدي إلي إخفاء التصرفات والسلوكيات عن رب الأســـرة ،

وهو ما خلق مناخاً ومسرحاً لحرية الحركة لصاحبة هذه الحالة ولكي نوضح ذلك ، فإنها نستشهد بما دفعته في هذا المقام :

"…. والدي كان صعب قوي … وأمي كانت حنينة … وهي مكنتش بتحب تزعلني … كان لما والدي يحاسبني زي العساكر بتوعه كان هيه بتطبطب عليا … وكان البيت بتاعنا شعلة نار … حريقة … كنت أنا دايماً طفشانه … كنت بروح لواحدة صاحبتي " الانيتم" بتاعتي .. وكنت بقضي معاها طول الوقت … وكانت أمي بتداري عليا …"

إنه نتيجة لإخفاء الأم عن تصرفات صاحبة هذه الحالة ، وعدم تواجدها بالبيت ، فقد استغلت " دينا " هذه الفرصة لكي تتحرر من الوصاية والسلطة ، وهو ما دعاها إلي وضع قدميها علي أولي عتبات مخالفة معايير السلطة الوالدية من جانب ، سلطة المجتمع ومعايير التنشئة الاجتماعية القائمة من جانب آخر . إذ تذكر :

"… في الفترة دي أنا والأنتيم بتاعي اتعرفنا علي اتنين من الشباب …. صاحبتي اتعرفت علي شاب ، والشاب ده جاب صحبه وأنا تعرف عليه …. وبأت حكايتنا … أنا كنت غيرة وارتبطت بيه قوي … هو فتح عينه علي حاجات كثير … وعرفت معاه كل حاجة … من اللبس للجنس …."

وإذا كانت الظروف الاجتماعية . الأسرية قد سمحت لصاحبة الحالة الراهنة في ضرب المعايير والضوابط الاجتماعية الأسرية ، فإن الرفقة هي الأخري كانت من بين العوامل التي مهدت للإتيان بأنماط سلوكية خارجة ، إن تضافر هذه العوامل ساهم في ضياع أغلي ما تملكه البنت وفق التقاليد الشرقية وإليكم نص ما جاء علي لسان حالها :

"…. أنا لما كانت أمي بتداري عليا وأنا استغليت الموقف ده ، وعرفت صاحبي ، كان بيحصل بيننا حاجات كثير … ومرة احنا اتمادينا، قمت خسرت أغلي ما أملك … وعلي سيرة الحب وان احنا هنتجوز بقي الموضوع عادي … ولما دخلت الجامعة طلبت منه أن يجي يتقدم ، وكانت أمي مساعداني ، وهيأت الموضوع مع والدي لغاية ما وافق … ولكن طلع صاحبي (…) …" .

واستكمالاً لطبيعة التغيرات السلوكية التي طرأت علي "دينا" فإنها تري أنه منذ اللحظة التي تم الانفصال بينها وبين من ترتبط به راحت تدب في معرفة الجنس الآخر ، خاصة وأنه تم الانفصال بين والديها . وحول هذا الموقف تروي :

"…. أنا بعد الموضوع ده حصلي تغير كبير … أمي انفصلت عن والدي … وأنا بقيت لوحدي في البيت …. ووالدي طلع علي المعاش وعمل شركة تصدير واستيراد وبقت سفرياته كثيرة … والجو خلي ليا … أنا عرفت بعد كده علي شبان كثير … بدأت اتحرر من كل القيود …."

انه نتيجة للتغيرات السابقة ، بالإضافة إلي محاولة الأب إلي استرضاء صاحبة هذه الحالة لعدم الانضمام إلي والدتها فقد أتيح لها حرية التصرف بشكل يفوق عن الأوضاع السابقة وهو ما فرض عليها الانغماس في جميع الملذات ، تلك التي كانت تعويضاً عما أصابها . والتالي هو عين شهادتها :

"….. أنا بعدكده لقيت والدي بيتساهل معايا في حاجات كثير كنت برجع متأخرة ، وأغيب كثير عن البيت وكنش يقول حاجة …. هوه كان خايف أني أروح أعيش مع أمي … وده سهل عليا حاجات كتير … في الوقت ده أنا تعرفت علي شلة في الشغل بتاعي ، وكنا بنخرج كثير ولاد علي صبيان …ناكل بره ،ونسهر ، ونروح شقق زمايلنا والحكاية هاصت …وفي الشقق دي كل واحد عايز يعمل حاجة بيعملها … اللي بيشرب واللي بيدخن ، واللي بيضرب، واللي بينام … وأنا بقيت

مع كل واحد شوية ... أنا مكنتش " شرشر " لا ده كان مزاج ، أعمل اللي أنا عايزاه مع اللي يعجبني ...."

وبيد ان صاحبة هذه الحالة تنفي عن ذاتها السقوط ، إذ تـري أن ممارسـتها للجنس ، كان يتوقف علي الانتقاء والمتعة فإنها لكي توضح ذلك تري ...."

"...أنا " ريلي " Realy كنت "ستايل " معين من الناس ...طريقـة لبـسهم مختلطة ،وهمه شيك وبيعرفوا يلبسوا عشان محسش إني بترل لتحت ... لإنـي أنـا كنت بلبس زي " مادونا " أو زي فريق " سبايس جيرل " مش بس فـي لبـسهم ، ده كمان في الاكسسوار بتاعهم (يلاحظ وضعها لمجموعة من الأقـراط فـي أذنيهـا) ومجموعة من الحلي في عنقها ويديها فيبقي إزاي أنا أختار اي واحـد ... وعـشان اتمتع معاه ... كنت اللي اقعد معاه يومين مقعدش الثالث ..." .

وحيث أن صاحبة الحالة قد أوضحت طريقتها في الحياة وفي البحث عن اللذة الجسدية انتقاء لأقرانها فإنها قد خلعت علي ذاتها مجموعة من الصفات ، تلك التـي دفعت بها علي النحو التالي :

" .... أنا بقيت سبيل ...أنا بطلت الكلام البايخ بتاع الحب ... وبقيت عارفـه ازاي أمتع نفسي ...أنا باختصار بقيت " امرأة عصرية جدا " أنا اتعلمـت حاجـات كتير من الحياة ...أنا ممكن أقدم تنازلات في الشغل عشان أخد اللـي أنـا عـايزاه ...الحياة هات وخد .... واحنا مش عايشين في مدينة فاضلة ...."

إن المطلع لكل ما طرحناه فيما تقدم ، نستطيع أن يتلمس إلـي أي حـد قـد ساعدت الظروف المجتمعية وحتي الأسرية ،إلي جنوح صاحبة هذه الحالة عن القـيم والعادات والتقاليد التي تحيا في إطارها ، وكيف أن هشاشة البنية الداخلية للـذات ، دفعتها إلي إتخاذ الجنس نوعاً من المتعة حيناً ، ولقاء أجر غير منظور حيناً آخـر . إن بيع الجسد سواء لقاء أجر أو بدون، هو ما يفسرتخطي الذات للـضوابط سـواء

الدينية أو الدينوية وفق معني تحرري وهمي ، خلقته تناقضات الذات محيطها من جانب ، تناقضات الواقع النعاش الذي تعيش في إطاره من جانب آخر .

الحالة الخامسة :

صاحب هذه الحالة هو أحد طلاب المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة ، الذي انتقل إليه بعد فصله من كلية الشرطة ويبلغ من العمر نحو عشرين عاماً ، ووالده هو أحد أعضاء مجلس الشعب ويقطن بمدنة نصر ، وبرغم هذه الطبيعة الأسرية إلا أن ثمة أشياء أخري تتضح من المقطع التالي ، خاصة في ياق التضاد الحادث بين صاحب الحالة الراهنة والسلطة الوالدية ، وهو في ذلك يقول :

"... أنا والدي عضو مجلس الشعب ... وساكن في مدينة نصر جنب ومبي ... أنا طالب في معهد الخدمة في مدينة نصر ، وانتقلت له من كلية الشرطة ... والدي فرض عليا أني أدخل كلية الشرطة وهيه مكنتش علي مزاجي .... عملت فيها مشاكل لغاية لما فصلوني ....أنا بكره قيود والدي .... مش بس في اختياري لمستقبلي ، ده كما في أصحابي ...وده بيخليني أسافر وابعد عنه ...احنا عندنا شاليه في الغردقة لي طول أنا قاعد فيه ...لدرجة أن امتحان الترم أنا مكنتش عارف ميعاده إلا قبلها بيومين ....وطبعاً دخلته بس ما نجحتش ...".

وعلي الرغم من أن المقطع السابق يوضح لطبيعة العلاقة بين مجتمع الكبار ومجتمع الشباب ،وكيف يتملص الأخير من سلطة الأول ، فإن صاحب هذه الحالة قدأوضح أيضاً للفجوة الجيلية بينهما ،وفي ذلك يقول :

"...أنا والدي صعب .... وهو عايز يتحكم في كل حاجة .... مش بس عايز يختار مستقبلي ،وأصحابي ، ده كمان بيدخل في اللبس بتاعي ...هوه عايزني زيه ... وأنا بحب لبس الكاجوال والجينز والكوتشي .... ودي حاجات هوبيكرها وأنا بحبها ... أنا مالي انه عضو مجلس الشعب ...."

وإذا كان صاحب هذه الحالة قد أثبت فيما مضي لتعارض نمط الحياة والثقافة بين الأجيال ، فإنه قد أوضح أيضاً آليات اختياره اليت تأتي من سـياقات مجتمعيـة وإضافة لما سبق فإنه يري أنه يرفض التقليدية ويعتبر أن كل ما هو وافد يدخل فـي إطار العصرية ، وحول ذلك يوضح:

"....أنا والدي دقة قديمة ... هو عايز أني أمشي علي هواه ... هـو بيلـبس بدلة زي الأفندية ، وأنا ما ليش طاقة علي أن أخنق نفسي .... أنا عايز أبقي حـر ... البس حاجات تناسب ذوقي ... الحاجات الحديثة اللي كل اللي في سني بيلبسوها .... الحاجات العصرية مش الكلاسيكية ...".

انه وفق ما سبق ، فإنه ثمة فجوة جيلية سواء فـي التفكيـر أو حتـي فـي الممارسة ، وهو ما يشير إلي محاولة الجيل اللاحق فك روابطه عنه، مقـبلاً عـن تجاوزه أو التمرد عليه . وإذا ما أردنا الوقوف علي المؤشرات الخارجية التي تـدفع بصاحبنا إلي اختيار ثقافته المرجعية التي توجهه في سلوكه وتصرفاته ، فإنه يذهب :

"... أنا ماشي علي الموضة .... بس مش هقول ان بجيب حاجاتي من بـره لا أنا بجيب حاجاتي من محلات معينة هي بتقدم كل حاجة جديدة زي مكس وبينتون وإم إم ...والحاجات اللي أنا باختارها بكون شايفها علي ناس "سـتارز " مـشهورين ... أو بشوفها علي حد من اللي في سننا وتكون علي الموضة ...".

وبيد أن " اسماعيل " يخضع في اختياراته لمنطق الموضة التي تـسأل عنهـا الإعلاميات ، أو التي يقوم بتقديمها وكلاء رأس المال الأجنبي، فـإن علاقتـه مـع الآخرين لا تخل عن نفس المنطق ، إذ يتبع المعايير الغربية في نمط حياته وحـول ذلك يري :

".... احنا شلة بنعيش مع بعضنا مش فينا واحد بغانه [(*)] ولو فيه احنا بنحلق له حتي لينا لبس واحد ... بس مش شاكله أسود زي بتوع عبادة الشيطان .... احنا بنحب نلبس الكاب بطريقة معينة ، ودايماً بنحب نلبس التشرتات اللي هيه بتكون مرفوعة عند العضلات ... والجينز بيكون ضيق شوية ... أو بنلبس البنطلون الكاجول اللي بيكون فيه جيقب علي الصفين والبنات اللي في الشلة بتاعتي برده ليهم لبس معين ... أكثرهم بيكونوا لابسين " بضي " وحاجات من الشفتش شوية ..."

وعلي الرغم من أن جماعة الرفاق أو الشلة تضم خليط بين الذكور والإناث ، إلا أن صاحبنا يري أن هذه الجماعة بل يدخل في إطارها ما يسود في جماعات الرفاق الأخري التي ذكرناها لطبيعتها في الحالات الأخري، أنه بمعني آخر أن الجنس واللذة والمتعة الجسدية تنتفي من سياق هذه الجماعة ، إذ يجتمعون وحسب لقضاء الوقت واللهو ، خاصة في الأماكن العامة . ولتوضيح هذا الأمر فهو يقول :

"... احنا بنتجمع مع بعض ، ونروح أي مكان نلعب بلياردو أو ناكل أي سندويتش " تيك أواي " أو نسهر في حفلة زي ليالي التليفزيون، أو حتي نروح سينما مع بعض ... وأكثر حاجة الواحد مننا يتفتح أو ياخد واحدة سفنكس ....".(*)

ولما كان صاحب هذه الحالة لم يأت بذكر علي شيوع العلاقات الجنسية بين جماعة الأقران او الشلة برغم أنهم يخضعون فكرهم لثقافة الغرب ، إلا أنه يأتي بذكر هذا الأمر ، حيث ارتباطه بإحدي النساء التي تشبع غريزته في إطار ما يسمي بالمحارم ... وحول ذلك يوضح :

".... أنا مش نبي .... أنا عارف واحدة مجوزه .... أنا كنت بعرفها قبل ما تتزوج ... وعلاقتي بها مستمرة لغاية دلوقتي ... هيه دي وبس اللي بتديني كل

(*) تشير كلمة بغانه إلي معني الدم الثقيل أو ما يعرف بالشخص السمج.

(*) تشير كلمة تتفتح أي يدخن شيشة تفاح ، وكلمة سفنكس تشير إلي السيجارة .

حاجة ... أنا بخاف من الجنس البراني التاني ... عشان الأمراض ... وأنا والـــدي مكانه حساس .... والواحد مش لازم يبهون الدنيا ...وداري علي شمعتك ...".

أن المتأمل في ما ورد علي لسان هذه الحالة ، يستطيع أن يستدل دون عنـــاء بوجود فجوة بين سلطة الأباء وتصرفات الأناء ، فضلاً عن التمرد والخـــروج عـــن سلطة الضوابط ، ليست الدنيوية وحسب ،وإنما الدينية أيضاً . إن تـــضافر العوامـــل الداخلية والخارجية أوجدت مساحة واسعة كل القيم والعادات والتقاليد المحلية ، تلـــك التي استعيض غنها بأخري وافدة أو غازية ، تحاول ضرب الهويات والخصوصيات الثقافية، بهدف تعبيد الطريق لفرض ثقافتها وهويتها علي جميع الأصعدة .

استخلاصات أساسية :

رصدت الأدبيات النظرية ثلاث مراحل للاستعمار ، الأولي هي مـا تعـرف بالغزو العسكري والاستيطان . والثانية هي ما أطلق عليها بالاستعمار عن بعد عـن طريق القروض المساعدات، أما الأخيرة ، فقد عرفت بما يسمي اسـتعمار العقـل ومسخ هويته . لقد أيقن العالم الغربي في هذه الآونة أن آليات الاقتـصاد وحـدها لا تستطيع أن تغلب كلية علي المغلو ب وهو ما دفعها إلي تفعيل العامـل الاقتـصادي جنباً إلي جنب مع العامل الثقافي . انه في ظل الشكل الأخير الذي يعرف بـسياسات العولمة الذي نعيش في رحاه اليوم ، فقد تم ربط العنصر الثقافي بمعادلـة الإنتـاج والتسويق ورأس المال والفردية وقوانين العرض والطلب ولاسـتهلاك والإعـلام ، لخلق نوع من التثاقف ، بغرض وجود ثقافة عالمية واحدة ، لا ترضي بـديلاً عـن خلق الإنسان الكوني الذي يدين بالثقافة الغربية .

إن طرح الثقافة العالمية – الغربية كنمط وحيد من خـلال آليـات الترهيـب ولترغيب ، لإزالة الحدود الثقافية والغربية ، وإقصاء ما يـسمي بالهويـة الثقافيـة والصراع الحضاري ، ما هي إلا محاولة لتفوق الثقافة الغربية علي ما عـداها مـن ثقافات وقيم ، ودعوة لأفول الهويات القديمة وتعدد الثقافات علي الصعيد الكـوني ، ومن ثم عل نمط الحياة الغربي ، المرجعية الوحيدة والقائدة للثقافة العالمية .

والواقع أن فرض الهيمنة علي الصعد الاقتصادية والسياسية والثقافية ، جـاء بفعل تضافر آليات الغرب . فمن خلال الصور الخيالية وأوهام الديمقراطية والرخاء والرفاهية والتحديث والعقل الأدائي (التكنولوجيا) تم تصدير ثقافة متعدية للأوطـان والحدود الجغرافية بهدف خلق مناخ أمنـاً بيـسمح بتكـريس ثقافـة الغـرب فـي خصوصيات وهويات متباينة ، وهو ما يعبر عن سيادة نمط من علاقات القوة التـي تسعي غلي تغيير وتشويه معالم الوعي الاجتماعي والأخلاقـي والقيمـي وتغريـب العقل.

ولا ريب أن محاولات الغرب لفرض هيمنتـه علـي المـستويات الـسياسية والاقتـصادية والثقافيـة تعبـر بجـلاء عـن الحيلـوة دون فكفكـة الاسـتعمار DECOLONIZETION ومناهضة الإمبريالية الغربية . فمحاولات مسخ الوعي القومي والدخول في عالم ثقافي واحد ونزع فكـرة التحـرر والاسـتقلال والهويـة الوطنية ، وإزالة الحدود والحواجز الثقافية ، أصبح قدراً محتوماً في سياق العولمـة وآلياتها التي تضغط بقوة لفرض نمط وثقافة المجتمع الغربي .

إنه حسب الطرح السابق ، فإن الشباب في المجتمع المصري بفعـل تغييـر بنائه الاجتماعي والاقتصادي ومنظومته القيمية ، فقد انسحبت عليه مجموعـة مـن التحولات علي نيته الذهنية وسلوكه وتصرفاته . ففي الوقت الذي تمـردت بعـض الشرائح علي أخلاق وقيم العولمة وراحت توشج علاقاتهـا فـي إطـار الجماعـات الإنسحابية والهروبية المستندة علي مرجعية أصولية دينية ، فإن هناك من امتثل لهـا وسايرها ومشي في ركبها تحت مفهوم الحداثة والغربنة ، إن تدين بعـض الـشرائح بدين العولمة وأيديولوجيتها ، ساهم في شيوع الانهيار الثقافي والقيمي ، فضلاً عـن تفكك النظم المعيارية والمرجعيات التي تسم الخصوصية والهوية الثقافية السائدة عن غيرها .

ففي سياق هذه التحولات ، ومسايرة بعض الفئات الشابية لنمط الحياة الغربي ، فقد تمردت عن سلطة الكبار ،وفككوا روابطهم مع المعـايير والقـيم والمعتقـدات السائدة ، بهدف خلق ثقافة خاصة لذواتهم تتسم بالتخارج وعدم الالتزام لكل ما هـو قائم . إن تأسيس ثقافة خاصة أو فرعية للشباب في المجتمع المصري ، من خـلال التوكؤ علي النمو الغربي ،عمل علي إيجاد نمـط حيـاة خاصـة ولغـة ومفـاهيم وتصرفات وقيم خاصة ، تلك التي يغلب عليها روح التمرد والعناد ، وهو ما يدخلها في ضوء ما يسمي بالثقافة المضادة للواقع المعاش ،والتبعية والانقياد للثقافة الوافـدة أو الغازية .

وبتأمل كل التحولات التي طرأت علي عقل وذهنية الــشباب فــي المجتمــع المصري سياسات الليبرالية الجديدة ، التي أطلت بتأثيرها علي المنظومة المجتمعيــة ، نجد أنه بجانب محاولات طمس وتشويه هوية وخصوصية الثقافة وهو ما يتــضح في معالم الثقافة الخاصة لمجتمع الشباب ، فإنهم أيضاً يبحثون عــن اللــذة والمتعــة لإشباع آنية ، وهو ما يجعلهم يغتربون عن الواقع الاجتماعي القائم وتناقــضاته . إن خلق آليات خاصة للهروب من الواقع سواء بطريقــة كيميائيــة أوجــسدية أوحيــة مصورة ، يجعل من ثقافة العولمة " أفيون الشعوب" التي بها يسجل الشباب انــسحاباً عن واقعهم ومشاكله ، لكي يدخلوا في عالم آخر صور لهم كل ما هو سيئ ، بهــدف إغراقهم في مناخ يتسم بالتوتر والاطراب في الوعي الاجتماعي ،وهــو مــا يحــول بينهم والاضطلاع بما هو مأمول منهم آنياً ومستقبلياً .

مراجع البحث :

أ- المراجع باللغة العربية :

١- ادجار موران ، روح الزمان (الجــزء الأول) ، ترجمـــة انطـــوان حمصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٥ .

٢- السيد عبد العاطي ، صراع الأجيال :دراسة سوســيولوجية لثقافــة الأجيال ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الأولي ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ .

٣- أنتوني جيدنز ، العولمة ، في الطريق الثالث ، تجديداً للديمقراطيــة الاجتماعية ، ترجمة أحمد زايد ومحمد محي الدين ، المجلــس الأعلــي للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩.

٤- تومي كاريل ، فلسفة الملابس ، ترجمة طه السباعي،الهيئة المــصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ٢٠٠١ .

٥- جان فرانسوا بايار ،أوهام الهوية ، ترجمة حليم طوسون ، دار العالم الثالث ، الطبعة الأولي ، القاهرة ١٩٩٦.

٦- حسن فتح الباب والسيد خميس ،" الواقع الثقافي العربي " ، في : عمــر الحامدي وآخرون ، مصر عشر سنوات بعد عبدالناصـــر ، دار الطليعــة ، الطبعة الأولي ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٧- رمزي زكي ، وداعاً للطبقة الوسطي ، دار المستقبل العربي ، الطبعــة الأولي ،القاهرة ، ١٩٩٧ .

٨- زهير حطب وعباس مكي ، السلطة الأبوية والشباب دراســة ميدانيــة اجتماعية نفسية حول طبيعة السلطة وتمثلها ،معهد الإنماء الصدي ، بيروت ، د. ت .

٩- عادل حسين ،الاقتصاد المصري من الاستقلال إلي التبعية ١٩٧٤ – ١٩٧٩ ، (جزاءن)، دار الوحدة العربية، الطبعــة الأولـــي ، بيـــروت ١٩٨١ .

١٠ – عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، مكتبة وهبة الطبعة التاسعة ،القاهرة ، ١٦٨٥.

١١ – عبد السلام المسدي ، العولمة والعولمة المضادة ،كتاب سطور ، الطبعة الأولي ، القهرة ، ١٩٨٨.

١٢- علي ليله "فريق العمل في مجال رعاية الشباب "، المؤتمر العلمي السنوي الرابع ، كلية الخدمة الاجتماعية – جامعة القاهرة فرع الفيوم ، الفيوم ، ٢٣- ٢٥ ابريل ، ١٩٩١ .

١٣- صامويل هنتجتون ، صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعت الشايب ، سطور ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

١٤ – فرانسي فوكوياما ، نهاية التاريخ وخاتم البشر ، ترجمة حسين أحمد امين ،مركز الأهرام للترجمة ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

١٥- محمد علي محمد ، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الأولي ، الاسكندرية، ص ٩٨٧ .

١٦ – مسعود ضاهر ، مجابهة التمردية علي سلطة الكبار والمعايير الدولية للثقافة ، الطبعة الأولي ، بيروت ، ١٩٨٩ .

١٧ – مصطفي امحمودي ، النظام الإعلامي الجديد ، عالم المعرفة ، العدد ٩٤ ، الكويت ، ١٩٨٥ .

١٨ ، هربرت شيللر ، المتلاعبون بالعقول ، ترجمة عبد الاسلام رضوان ،عالم المعرفة ، العدد ١٠٦ ، الكويت ١٩٨٦ .

ب – المرجع باللغة الأجنبية :

19- Giddens A., sociology , polity press , Cambridge , 1991 .

20- Rearney M. , Boundors and Boundaries of the state and self at the and Empire , Journal of Histori cal socie logy , no . 4 , 1991 .

الفصل الخامس

الطبقة الوسطي في زمن العولمة :

طبيعة الوعي المتناقض

مقدمة:

يعد مصطلح العولمة من المصطلحات التي تطرح نفسها بقوة علـــي صـــعيد الكون ، والتي كثر حولها الجدل لما تخلفه من تـــداعيات وتـــأثيرات علـــي مجمـــل التكوينات الاقتصادية والاجتماعية.

ونتيجة لذلك فقد راح كوكبة من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية لإخضاع هـــذا المفهوم للتمحيص والبحث ، انطلاقاً من مدخل نظرية متباينة ، كالمداخل التآمريـــة ، والاقترابات الثقافية ، ومداخل الاقتصاد السياسي ، ورؤى المستقبل . والمتأمل لهـــذه المداخل يمكنه أن يشهد مدي الاتفاق بينها رغم تباينها ، وأنها تنطلق من أن العولمة هي العملية التي بمقتضاها تصبح الأيديولوجية الرأسمالية منهجاً واحداً ووحيداً فـــي عملية التنمية ، وأن الأسواق في التكوينات المختلفة سوقاً واحـــدة ، إذ تلعـــب فيهـــا التجارة دوراً ديناميكياً خاصة في مجال السلع والخدمات وتـــدفقات رؤوس الأمـــوال والتكنولوجيا ، وفق شروط رأس المال الدولي ، وبعيداً عن سيطرة الدول الوطنيـــة [(١)] .

وإذا كانت المداخل النظرية التي تصدت لدراسة العولمة قد اعتمـــدت علـــي التعريف السابق ، فإنها تكون قد نظرت إلي العولمة في ضوء سعيها الحثيث لإبـــدال الكيانات الوطنية بأخرى خاضعة لمنطق سلطوي وقهري يسعي إلي فرض هيمنتـــه من أعلي علي من يخضع له في أسفل ، بهدف التخلي عن مسألة التوجيـــه الـــداخلي للاقتصاديات ، وإدخالها في مندمجات غير وطنيـــة ، لتـــسييد أيـــديولوجيا الـــسوق وسياسات العرض والطلب .

١- حول هذه النظرية وتأثير العولمة علي التكوينات الاقتصادية والاجتماعية راجع :

*Goldblatt D ., Held D., Golobal transformation : Concepts, Arguments and Evedence, polity press, Cambridge, 1999,p.11-13.

* Hirst P. Q., Thompson G.F., Goloblization in question : The enternational economy and possibilities for governance , polity press, Cambridge , 1997 ,P. 86 .

ومع فرض أيديولوجيا النظام الرأسمالي باعتباره نهاية التاريخ ، خاصة بعـد انتصار النهج الرأسمالي وأفول الاشتراكية ونهاية حرب الخليج الثانيـة ، أصـبحت الدول الرأسمالية العالمية منذ هذا التاريخ متعدية الأوطان ، تفرض هيمنتها علي كل أصقاع العالم [١] . إن عولمة الاقتصاديات ، وأفول الهيمنة الوطنية ، وإشاحة الدولة عن وظائفها التي كانت تحقق التوازنات الاجتماعية في

الداخل، ساهم في إشاعة الفوضى في تلك البلدان ، وتحويل الدولـة الوطنيـة إلي أداة طيعة في يد الرأسمالي الدولي ، ناهيك عن تحويلها إلي دولة ريعيـة غيـر منتجة ، ومن ثم تابعة [٢] .

وحري بنا أن نسجل هنا أنه غداة سيادة الأيديولوجيا الرأسمالية كأيديولوجيـة واحدة ووحيدة في الكون ، باتت الليبرالية الجديدة أول مشروع أممي علي الـصعيد العالمي يعمل علي جر كل التكوينات الاقتصادية والاجتماعية للسير في فلكها وإتباع منظومتها ، ففي الوقت الذي أجبرت هذه التكوينات علي خلع استقلالها ، في الوقـت عينه الذي أعادت توزيع الدخول ، إذ وقفت في صـف فئـات اجتماعيـة معينـة ، وأضرت بمصالح فئات أخري ، أي أنها حاولت تكيف هذه الاقتصاديات وفق منطق العلاقات الرأسمالية ، وأعادت تشكيل الخريطة الطبقية من جديـد [٣]. لقـد أثـرت سياسات الليبرالية الجديدة بشكل بالغ في الانحيازات الاجتماعيـة ، وفـي سياسـات توزيع الدخل والثروة ، ومن ثم علي مـصالح الطبقـات الاجتماعيـة وشـرائحها المختلفة ، وعلي علاقات القوي بينها . فتطبيق سياسات الخصخـصة أو الليبراليـة الجديدة ساهم في إيجاد فوارق متباينة في مستويات معيـشة الطبقـات الاجتماعيـة. والواقع أن تأثير هذه السياسات لم يكن رأسياً فحسب، أي علـي حـساب الطبقـات

٢- فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ وخاتم البشر ، ترجمة حسين أحمد أمين ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولي ، الأهرام ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص١١ ، ص ٢٥ .

[١] - سمير أمين ، إمبراطورية الفوضى ، ترجمة سناء أبو شقرا ، دار الفارابي ، الطبعة الأولي ، بيروت ، ١٩٩١ م ، ص ١٠٤ .

[٢] – رمزي زكي ، الليبرالية المستبدة : دراسة في الآثار الاجتماعية والسياسية لبرامج التكيف في الدول النامية ، سينا للنشر ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص ٦٢ .

الاجتماعية المختلفة، وإنما كان أفقياً في داخل الشرائح المكونة لها. فعلي الرغم من استفادة احدي الشرائح الاجتماعية في مصفوفة طبقية معينة ، فقد أصيب بالضرر شرائح أخري في داخلها ، الأمر الذي يعني تأثير الليبرالية علي الأوضاع الاجتماعية سواء سالباً أو إيجابا ، لم يكن هو هو علي كل المستويات الاجتماعية[١].

لقد ساهمت الليبرالية الجديدة في تقدم فئات اجتماعية بعينها،وتخلف وتهميش أخري ، ناهيك عن أفول مصطلح العدالة الاجتماعية ، الذي جاء عوضاً عنه بمفاهيم أخري مثل سياسات العرض والطلب ، وقوي السوق ، وتحرير الأسعار والتجارة الخارجية ، وبيع القطاع العام ، والحد من تدخل الدولة في تقديم الخدمات والتوظيف،وتخفيض العملة ، وإطلاق الحبل علي الغارب لتدخل القطاع الخاص في كل شئ [٢] .

ولما كانت الدراسة الراهنة تنصب بالأساس لرصد حجم التغيرات التي أصابت الأوضاع الاجتماعية للطبقة الوسطي في المجتمع المصري ، فضلاً عن تعيين الوعي الاجتماعي الذي تشكل في زمن العولمة وسياساتها ، فانه يتوجب علينا توضيح المقصود بالعولمة والطبقة الوسطي ، خاصة وأن تحديد المفاهيم يفيد في تعيين طبيعة الموضوع الخاضع للبحث .

١ – مفهوم العولمة

إذا كان البعض يري أن العولمة تعود في نشأتها إلي أوقات بعيدة ، خاصة وقت الاستكشاف في القرن الخامس عشر ، ثم تطورت مع ظهور الدول القومية والمركزية بعد التحول من الإقطاع وسيادة العصر التجاري ، وبزوغ القطبية الثنائية بعد الحرب العالمية الثانية ، فان هذه الفترة تمثل الفكرة الأولي لمشروع العولمة .

---

٣ – رمزي زكي ، الرأسمالية المستبدة ....، مرجع سابق ، ص ٩٩ ، ١١١ .

٤ – برتران بادي ، الدولة المستوردة في تغريب النظام السياسي ، دار العالم الثالث ، الطبعة الأولي، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ١١ .

ثم تبدأ المرحلة الثانية بعد نهاية الحرب الباردة وتحطيم سور برلين ونهاية حرب الخليج الثانية ، تلك التي أصبح فيها العالم علي حد تعبير مارشال ماك لوهان M.Macluhan بقرية صغيرة . ولما كانت المراحل الأولي من فكر لعولمة تستند إلي التجارة وإنشاء الإمبراطوريات ، فإنها اليوم تستند إلي التكنولوجيا وتدفقات رأس المال والمعلومات [١] .

وبيد أن الشكل الأول يتباين عن الآخر سواء في الشكل وفي الوظيفة ، فان المسرح العالمي يكون قد تغيرت ملامحه ، فبدلاً من القطبية الثنائية ، أضحت القطبية الواحدة ، التي راحت تكرس سياساتها وتطبق نصوصها ، من خلال آليات التمويل وبيوت الاقتراض الدولية . انه وفق هذه الدراما المسرحية برزت نجوم جديدة ، عوضاً عن النجوم التقليدية (الحكومات) التي غرب شمسها ، ولم يكن أمامها إلا الانصياع لتنفيذ الأدوار الجديدة التي خلقت عليها [٢] .

وإذا كنا فيما سبق قد عيينا المقصود بمفهوم العولمة ، فانه لا يفوتنا هنا أن نشير إلي معني الليبرالية Libaralism التي هي أيديولوجيا العولمة .. إنها تشير إلي مجموع السياسات التي تعظم من الفردية لتغليب المصالح الشخصية علي المصالح الاجتماعية ، وإطلاق العنان لحرية العمل والتملك والتعاقد والتجارة ، وحتي الاعتقاد والتفكير والإيمان والتغيير ، وهننا يتوجب علينا الإشارة أيضاً إلي أن هذه السياسات قد عرفت ثلاث مراحل رئيسية هي : ما يسمي بالمرحلة المطلقة التي جاءت بعد أزمة الكساد الكبير ١٧٥٠ – ١٩٢٩م والتي فيها عملت علي إعلاء الفرد علي أي شئ في ضوء سياسة العرض والطلب لتحقيق مصالحه . والمرحلة الثانية هي ما يطلق عليها بالليبرالية المنظمة التي تم فيها تهذيب المصالح الفردية ، وسمح

---

[١] – كيمون فالاسكاكيس ، " العولمة كمسرحية " ، في : العولمة ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد ١٦٠ ، اليونسكو ، يوليو ١٩٩٩م ، ص٢٩.

[٢] – محمد علي الحوات ، العرب والعولمة : شجون الحاضر وغموض المستقبل ، مكتبة مدلولي ، الطبعة الأولي ، القاهرة ٢٠٠٢م ، ص ٨٨ .

بتدخل الدولة لتنظيم النشاط الاقتصادي لإيجاد سياسة تعويضية تسمح بتقديم الخدمات ، وتخفيف الضغوط الاجتماعية عن الفئات الضعيفة ، في إطار ما يسمي بدولة الخدمات ، وهو ما فرضه تزايد حدة الاتجاه الاشتراكي آنذاك . أما المرحلة الثالثة والأخيرة والتي تعيش في إطارها الآن ، فهي ما يطلق عليها بالرأسمالية المستبدة أو المتوحشة ، والتي ترتكن وحسب إلي مصالح الأفراد ، دون النظر إلي مصالح الطبقات الاجتماعية الأخرى ، وبما يتم نفي دور الدولة ، وخلع القدرة علي الأفراد للاضطلاع بكل شئ[1] .

٢- مصطلح الطبقة الوسطي

إن المدقق في هذا المفهوم وفق الأدبيات السوسيولوجية يجد أنه يفتقر إلي الدقة العلمية ، حيث يتسم بالاتساع وعدم التحديد . فإذا كانت الطبقة في إطار تكوين اجتماعي مجدد ، هي مجموعة من الناس تحمل تجانساً سواءً من ملكيتها لأدوات الإنتاج وموقعها من العملية الإنتاجية ، أو في إطار ماتدره من دخول ، فان مفهوم الطبقة الوسطي وفق ما تضمه من شرائح مختلفة ، فهي يدخل في إطارها شرائح متعددة ، قد تعيش علي الدخول التي تستخلصها بحكم مواقعها الوظيفية في سياق الدولة . أو من خلال الأعمال الخاصة ، أو ما يستخلص من الريع الخاص بها ، أو ما تملكه من عقارات وأراضي ، أو حتي ما تملكه من بعض الأعمال الصغيرة .

انه إزاء ذلك . فانه دائماً ما يتم تقسيم هذه الطبقة إلي ثلاث شرائح أساسية هي الشريحة العليا والتي تضم أساتذة الجامعات والمديرين وأصحاب المهن المتميزة مثل الأطباء والمهندسين والقضاة والمحامين وكبار الضباط ، وهم الذين يتقاربون أو يحاولون أن يتشابهون في أنماط معيشتهم مع الطبقات العليا ، ومن ثم يأخذون موقفاً ايجابياً من سياسات الدولة . والشريحة الثانية في هذا التقسيم هي ما يطلق عليها

---

[1] – رمزي زكي ، وداعاً للطبقة الوسطي ، دار المستقبل العربي ، الطبعة الأولي ، القاهرة ١٩٩٧م ، ص ص ٧٨- ٨٤ . وأيضاً لنفس المؤلف راجع :الصراع الفكري والاجتماعي حول عجز الوازنة العامة في العالم الثالث ، سينا للنشر ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ص ٨٥ – ٨٨ .

بالشريحة الوسطي، والتي تضم في طياتها من يتحصل علي أجور ثابتة أو شبه ثابتة ، ويحظون بمواقع إدارية وفنية متوسطة ، أو إشرافية في مختلف الأجهزة والمؤسسات الحكومية مثل المدرسين والموظفين في القطاع العام والمؤسسات التجارية والاستثمارية والبنوك ، وكذا من يعملون لصالح ذواتهم في مؤسسات صغيرة خاصة بهم ، هؤلاء الذي يطلق عليهم بالمستورين . أما الشريحة الثالثة والأخيرة في داخل هذه الطبقة ، والذين يقبعون في قعر هذا الدرج ، فإنها تشمل صغار الموظفين الذين يعملون في الوظائف الكتابية والإدارية البسيطة في مختلف الدواوين الحكومية ، ومن يعمل لصالح ذاته في قطاع الخدمات والمشروعات الصغيرة ، الذين يدرون دخولاً ثابتة بحكم تأهيلهم المهني والتعليمي ، تمكنهم من إشباع احتياجاتهم الأساسية والبقاء علي قيد الحياة وحسب [1] .

انه علي هدي التقسيم السابق للشرائح المكونة للطبقة الوسطي ، فمن الخطل النظري أن نتصور أنها تشكل وحدة متجانسة ، إن العكس هو الصحيح . ولكن بغض النظر عن التباين في أوضاع شرائح الطبقة الوسطي ، فانه من الأهمية بمكان أن نسلم بان هذه الطبقة تحاول دائماً الحفاظ علي خصائصها المشتركة ، فضلاً عن سعيها الحثيث إلي تدعيم ظروفها الاجتماعية وتحسين أمورها المعيشية ، وتكييف ظروفها وفق ما هو قائم . الأمر الذي يجعلها نقطة التقاء لجميع التناقضات المجتمعية ، إذ تجمع في داخلها اتجاهات اقتصادية وسياسية وأيديولوجية وقيمية متباينة [2]

وإذا كنا قد حددنا المقصود بمصطلح العولمة وأيديولوجيتها ، وبمفهوم الطبقة الوسطي ، فما هو التأثير الذي أتت به الأولي علي أوضاع الثانية . انه علي

---

[1] - رمزي زكي ، وداعاً للطبقة الوسطي ..... ، مرجع سابق ، ص ٨٦ . وحول نفس الأفكار انظر : باهر شوقي وسامر سليمان ، تشريح اقتصادي واجتماعي للطبقة الوسطي ، أحوال مصرية (مجلة) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، العدد الأول ، الأهرام ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص ٦٢ .

[2] - سعد الدين إبراهيم ، أزمة مجتمع أم أزمة طبقة ؟ : دراسة في أزمة الطبقة المتوسطة الجديدة ، المنار (مجلة) ، العدد ٦ ، يونيو ١٩٨٥م ، ص ص ١٨ -٢٠ .

مستوي نظري يمكن القول أن بعض سياسات الليبرالية الجديدة ، فقــد تــم إحــداث تحويلات واسعة علي أوضاع هذه الطبقة . فمنذ عقد السبعينيات وحتي الآن ، ربــت مصالحها في مقتل ، وهوما يتضح من خلال الدراسات التي تــصدت حــول هــذه المسألة ، والتي يمكن إجمال نتائجها في : انخفاض الأجور الحقيقية ، وفقدان فرص العمل ، وزيادة معدلات البطالة ، وزيادة الأعباء المعيشية ، تلك نتجت عن سياسات تحرير الأسعار والأسواق ، وخروج الدولة من مضمار تقــديم الخــدمات ، ومــنح القطاع الخاص أفضليات وميزات جعلته يسيطر علي مقدرات الأمور [١] .

وحري بنا أن نوضح أنه إذا كانت سياسات الليبرالية المتوحشة قد فعلت فعلها في تدهور أوضاع الطبقة الوسطي ، وهو ما تم فعله علي صــعيد نظــري ، فانــه يتوجب علينا أن نقف علي ما هو حادث بطريقة امبريقية . انه في إطار ذلــك فــان الدراسة الراهنة تسعي إلي الكشف عن ما يلي :

١- ما حجم التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية التي خلفتها سياسات العولمــة علــي أوضاع الشرائح الوسطي والدنيا من الطبقة الوسطي ؟.

٢- ما طبيعة رؤي ومواقف الطبقة الوسطي من سياسات الدولــة وفــق تفعيلهــا لأيديولوجيا الليبرالية ؟.

٣- ما هي الطبقات الاجتماعية التي تقف في صفها سياسات الليبراليــة الجديــدة ، والاخري التي تقف ضدها ، أو بقول آخر ، العولمة في صف من ؟.

[٣] – حول مخرجات هذه الدراسات راجع :

* بيتر مارتين وهارالد شومان ، فخ العولمة : الاعتداء علي الديمقراطية والرفاهية ، ترجمة عدنان عباس علي ، عالم المعرفة ، العدد ٢٣٨ ، الكويت ، أكتوبر ١٩٩٨م .

* ملف الطبقة الوسطي ، في أحوال مصرية (مجلة) ، مرجع سابق .

* أنتوني جيدنز ، العولمة ، في : الطريق الثالث : تجديد الديمقراطية الاجتماعية ، ترجمة أحمد زايد ومحمد محي الدين ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

* Tonje .B. , Effect of globalism on endividual nations,

http :// carin . English . mwsc . edu /eng 108 sum2000/ essays / jean .htm

٤- ما معالم الوعي الذي تشكل في ذهنية أعضاء الطبقة الوسطي حول العولمة من جانب ، وحول تأثيراتها من جانب آخر ؟.
٥- ما طبيعة المواقف المتناقضة التي أفرزها عقل الطبقة الوسطي تجاه قضايا العولمة ، وما العلاقة بين الفكر والممارسة في هذا الصدد؟.

ولما كانت هذه الدراسة تسعي إلي الإجابة عن التساؤلات السابقة، للوقوف علي حجم التغيرات التي أصابت الأوضاع الاجتماعية المحيطة بالطبقة الوسطي ، وطبيعة الوعي الاجتماعي الذي عكسته هذه الأوضاع في ذهنيتها ، فان ذلك فرض ضرورة الاضطلاع بدراسة امبريقية علي بعض الشرائح المكونة لها ، خاصة الوسطي والدنيا منها . وفي هذه الدراسة حاولنا تفعيل الطريقة الكمية والطريقة الكيفية ، الأولي حاولنا من خلالها الكشف عن حجم التأثيرات التي لحقت ببنية الطبقة الوسطي ، والاخري سعينا إلي تبيان معالم الوعي الاجتماعي الذي تحمله ذهنيتها في سياق ما يسمي بالتفسير والتأويل ، وهو ما سوف نعرض له في الصفحات التالية .

أولاً : العولمة وتأثيراتها علي أوضاع الطبقة الوسطي

باعتبار أن الوعي الاجتماعي هو نتاج لوجود اجتماعي معين ، فإننا نسعي هنا إلي الوقوف علي مكونات ذهنية شرائح الطبقة الوسطي في زمن العولمة . وبيد أننا هنا نشدد علي الكشف عن النسق الكامن من المعرفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتي الثقافية، فإننا أردنا استدرار الآراء المختلفة حول تأثير العولمة علي أوضاع الطبقة الوسطي وهذا ما فرض علينا التوكؤ علي دراسة امبريقية حاولنا فيها خبر صورة الواقع القائم لهذه الطبقة من جهة ، وتأويلاتها وتفسيراتها لحجم التحويلات التي طرأت علي نمط وأسلوب معيشتها ، فضلاً عن مواقفها المتباينة والنسبية من سياسات الدولة الناهجة لما يسمي بالليبرالية .

انه علي ما سبق ، فان محاولتنا الراهنة تسعي إلي الوقوف علي ما يحمله العقل البيني (عقل الطبقة الوسطي) من منظومة فكرية ومعارف ، تلك التي تكونت بفعل التأثيرات الجوانبية والبرائية التي يعكسها الوجود الاجتماعي . وفي ضوء ذلك فقد استندت الدراسة الميدانية علي عينة مقصودة [١] قوامها ٢٢٣ مفردة ، جاءت مقسمة علي محافظتين الأولي هي محافظة السويس (١١٠ مفردة) ، والاخري هي محافظة القاهرة (١٠٣مفردة) . والمدقق في حجم هذه العينة وفق قسميها الفائت ، يجد أن ثمة فرقاً المستجيبين أو المبحوثين ، فالواقع أن حجم العينة في كلاُ المحافظتين كان متساوياً ويفوق هذا العدد ، ولطبيعة خوف المبحوثين من إكمال أسئلة أداة البحث ، فقد آثرنا استبعادها ، وهو فرض وجود هذا الحجم .

وأحرى بنا أن نسجل هنا ، أن اختيار مكان البحث يعود إلي أن الباحث من أبناء المحافظة الأولي (السويس) ، أما المكان الآخر ، فهو مكان إقامته . هذا الأمر الذي سهل علي الباحث الإتيان بعينة الدراسة وفق المعرفة الخاصة حنياً ،والتي عن

١ - إننا هنا قصدنا شرائح معينة من الطبقة الوسطي ، وهي التي تتحدد في الرافد الأوسط والأدنى فيها. إننا هنا نستبعد الرافد الأعلى من هذه الطبقة ، تلك التي بفعل انجذابها إلي الطبقة الرأسمالية في المجتمع ، قد خرجت عن إطار مرده الطبقة الوسطي .

طريقها ثم بفضل طريقة كرة الثلج للإتيان بجزء كبير منها حيناً آخر [1] هذا وقد تم تطبيق استمارة البحث في شهر يوليو ٢٠٠٠م ولا يفوتنا في الصدد أن نشير إلى منهجية التحليل في هذا الجزء ، وهي التي حاولنا من خلالها عرض حجم التفاوتات بين مكاني البحث ، حتي يسهل علينا رصد طبيعة الشرائح التي أخضعناها للبحث والدراسة ، ثم في محاولتنا للكشف عن خصائص الوعي الاجتماعي ومكوناته لهذه الشرائح ، فقد قمنا بتحليل مجتمع البحث بطريقة كلية ، حتي يسهل علي الباحث الخروج بنتائج إجمالية تتصف بالتجانس والتكامل .

هذا وقد قمنا علي ما أثرناه في السطور الفائتة بتطبيق استمارة بحث (مقابلة)، جاءت مكونة من خمس وخمسين سؤالاً ، حاولنا من خلالها الإجابة علي التساؤل المحوري للدراسة الراهنة . ولما كانت هذه التساؤلات لم تترك شاردة ولا واردة ، فإننا اكتفينا وحسب ، بما يخدم هذا الفصل . ويجدر بنا أن نذكر أن أداة البحث التي تم تطبيقها قد خضعت لإجراءات منهجية قبل النزول بها لأرض الواقع فضلاً عن القيام بتحكيمها جمع من المتخصصين وذوي الخبرة .

ووفقاً لكل ما سبق ، فإننا هنا سوف نعرض لما يلي :-

أولاً : وصف الطبيعة الاجتماعية لمجتمع البحث .

ثانياً : نمط ومستوي حياة مجتمع البحث .

ثالثاً : المشاركة الاجتماعية والسياسية وصور التضامن الاجتماعي .

رابعاً:الوعي بالقضايا الاقتصادية والسياسية والثقافية .

أولاً : وصف الطبيعة الاجتماعية لمجتمع البحث

---

٢ – حول هذه الطريقة راجع : شحاته صيام ، الدين الشعبي في مصر : نقد العقل المتحايل ، رامتان للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٩٥م ،ص ص ٩٢ – ٩٣ .

نستطيع أن نوضح في مستهل هذا الجزء ، انه لكــي نقــدم وصــفاً مناســباً لمجتمع البحث وفق الحالة التي عليها ، فان هذا يفرض ضــرورة التعــرف علــي الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لعينة الدراسة ، تلك التي تقودنا إلــي الوقــوف علي حجم التنوع والاختلاف بين الفئة العمرية وطبيعة المهنة ، ومكــان الإقامــة ، والحالة الزواجية ، وحجم الأسرة ، وحكم الدخل ومصادره . وبالنظر إلــي الجــزء الأول والذي يتصل بالفئات العمرية لعينة الدراسة ، فاته منذ البداية نقرر أن أعضاء هذه الطبقة الاجتماعية ، تدخل في إطار الأعمار الشابة ، أو ما تعارف عليهــا فــي أدبيات السكان بالقوي العاملة . وللكشف عن مفردات وفئات هذه الأعمــار بالنــسبة لمحافظة السويس ، فان الفئة العمرية من ٣٠- ٣٥ قد حظيت بنمو ٣٩،١ % مــن حجم عينة الدراسة ، وهي تمثل إلي النسب إذا ما قورنت بالفئات الأخرى . وبينمــا هذه الفئة تأتي في صدارة هذه النسب ، فان الفئة من ٤٠ سنة فأكثر تمثــل المرئيــة الثانية بنسبة تقدر بحوالي ٢٩،١ % وتأتي في المرتبة الثالثة الفئات العمرية من ٣٥ – ٤٠ ، ا ٢٣،٦% ، أما النسبة المرتبة الأخيرة لهذه الفئات العمرية ، فكانــت مــن نصيب الفئة العمرية من ٢٥ –٣٠ ، حيث كانت تقدر نسبتها بحوالي ٨،٢ % .

وإذا ما قارنا ترتيب الفئات العمرية السابقة ، وفق ما مثلته محافظة القاهرة ، فإننا نجد أن الترتيب قد اختلف . حيث تأتي الفئة العمرية من ٣٠ – ٣٥ في مقدمــة النسب ، إذ بلغت حوالي ٣٠،١% ، وبيد أن هذه قد تباينت في ترتيبها الذي ســجلته المحافظة الأخرى ، فان المراتب التالية قد اختلفت أبضاً ، وهذا ما يعكسه الجــدول رقم (١) ، حيث احتلت الفئة العمرية من ٣٥ والأخيرة ، إذ حققــت علــي التــوالي ٢٦،٢% ، ٢٣،٣ % ، ٢٠،٤% .

جدول رقم (١) يوضح الفئات العمرية لعينة الدراسة

السن / المحافظة	السويس		القاهرة	
	ع	%	ع	%
من ٢٥ – ٣٠	٩	٨,٢	٢٤	٢٣,٣
٣٠- ٤٠	٤٣	٣٩,١	٣١	٣٠,١
٣٥ – ٤٠	٢٦	٢٣,٦	٢٧	٢٦,٢
٤٠ فأكثر	٣٢	٢٩,١	٢١	٢٠,٤
مجموع	١١٠		١٠٣	

وبالانتقال إلي العنصر الثاني المكون للخصائص الاجتماعية والاقتصادية في الدراسة الراهنة، لوجدنا أنها مجموعة تضم مجموعة متباينة من الوظائف والتخصصات، التي تعكسها طبيعة المؤهل العلمي الذي تحصلت عليه مفردات عينة الدراسة. والمتأمل في طبيعة هذه الوظائف يجد أنها تتباين فيما بينها ، وهو انسحب علي تمثيلهم أيضاً . والمتطلع إلي الجدول رقم (٢) الذي يوضح هذه الوظائف ، يجد أن تضم مفردات لمكونات الطبقة الوسطي ، ومقدما أشارت إليه الأدبيات النظرية، إذ جاء في الأغلب الأعم ممن يعملون في إطار الدولة مثل الأطباء، والمهندسين ، والأخصائيين الاجتماعيين ، الفنيين ، والمدرسين، فضلاً عن وجود بعض من يعمل كموظف في إطار المشروعات الخاصة الصغيرة . وإذا ما أردنا أن نكشف عن

حجم تمثيل هؤلاء في محافظتي الدراسة، فانه يتضح أن المدرسـين فـي محافظـة السويس قد حققوا نسبة عالية في مواجهة الوظائف الأخرى، حيث بلغت نسبتهم نحو ٢١,٨%، ويأتي بعدهم علي التوالي في المراتب التابعة الموظفين والأطباء ١٧,٣% ، ١٤,٥% . وبمقارنة هذه المواقع في المحافظة الاخري فإنها كانت مـن نـصيب المدرسين أيضاً في المرتبـة الأولـي بواقـع ٢٣,٢% ، ثـم يـأتي الأخـصائيين الاجتماعيين ، والفنيين في المرتبتين الثانية والثالثة ، إذ كانت نسبتهما علي التـوالي ١٨,٤% ، ١٥,٥% .

جدول رقم (٢) يوضح طبيعة وظائف عينة الدراسة

المحافظة / الوظيفة	السويس		القاهرة	
	ع	%	ع	%
موظف بالحكومة	١٩	١٧,٣	١٢	١١,٧
موظف في محل	١٣	١١,٨	١٥	١٤,٦
طبيب	١٧	١٤,٥	٩	٨,٧
مهندس	١٤	١٣,٠	٨	٧,٨
أخصائي اجتماعي	١٢	١١,٠	١٩	١٨,٤
فني كهرباء	١١	١٠,٠	١٦	١٥,٥
مدرس	٢٤	٢١,٨	١٨	١٧,٤
مجموع	١١٠		١٠٣	

وحيث أن تبعية البناء المهني لمجتمع العينة ، يعبر عن تعاظم من يعمل فـــي القطاع الحكومي باستثناء فئة قليلة منه ، فان ذلك لايخلو من دلالة اجتماعية لا مراء فيها ، وهي التي تتمثل في أن هذه الشرائح الاجتماعية ، مازالــت تتعلــق بأهــداب الحكومة التي تتظاهر بدفع المرئيات التي لا تفي ببقائهن علي قيد الحياة ، فضلاً عن أن سوق العمل وفق شروط العولمة ورسملة الدولة لم يعد يسمح بضمهم في إطــار المؤسسات الاستثمارية .

وبالنظر إلي مكان إقامة عينة الدراسة في نطاق محافظتيها ، فإننا نجد أنهمــا قد تباينوا من حيث الإقامة سواء في المناطق الهامشية أو الطرفية ، وهي المنــاطق التي يمكن لأصحاب هذه الشرائط الطبقية الحصول فيها علي موضع قــدم ، حيــث الانخفاض النسبي لأجور أو أثمان الوحدات السكنية التي تتلاءم مع طبيعة دخولهم ، وبتأمل الجدول رقم (٣) الذي يوضح مكان الإقامة ، فإننا نجد أن محافظة الـــسويس معظم مفردات العينة قد تركزوا في المناطق الشعبية ، أو حتي الوسطي من المدينــة ، تلك التي وفرتها الدولة خاصة بعد عودة أهالي هذه المحافظة من الهجــرة غــداة حرب ١٩٧٣م . أما بالنسبة لمحافظة القاهرة فانه يتضح مــن الجــدول عينــة ، أن معظم جمهور البحث يقطن في المناطق التي مازالت علي أطراف مدينة القــاهرة ، أو التي بحكم الامتداد العمراني وطغيان الزيادة السكانية ، باتت في أسرة أو وســط مدينة القاهرة .

جدول رقم (٣) يوضح مكان إقامة عينة الدراسة

السويس			القاهرة		
المنطقة	ع	%	المنطقة	ع	%
الأربعين	٣٥	٣١,٨	عين شمس	٢٢	٢١,٤
السويس	٢٧	٢٤,٥	العباسية	٢٥	٢٤,٣
فيصل	١٨	١٦,٤	الدرب الأحمر	٢١	٢٠,٤
عتاقة	٢١	١٩,١	عزبة النخل	١٨	١٧,٥
بـــــــور توفيق	٦	٨,٢	المطرية	١٢	١١,٦
			إمبابة	٥	٤,٨
المجموع	١١٠			١٠٣	

وبالوقوف علي الحالة الاجتماعية لعينة الدراسة ، فإننا نجدها تشهد تعاظمـــاً في نسبة المتزوجين علي صعيد محافظتي السويس والقاهرة، إذ سجلت كـــل منهمـــا علي التوالي ٨٩,١% ، ٨٦,٤% ، ثم يأتي بعد هذه الفئة فئة المطلقين ، ولكن تسجل محافظة القاهرة نسبة تفوق عن محافظة السويس بنحو ٧,٢% ، أما المرتبة الأخيرة فكانت من نصيب الأرمل الذي فقد زوجته ، إذ سجلت نحـــو ٤,٥%فـــي محافظـــة السويس بينما في المحافظة الأخرى لم تضم أي منهم، وهو ما ينطلي أيـــضاً علـــي فئات العزاب الذين لم يسبق لهم الزواج.

جدول رقم (٤) يوضح الحالة الاجتماعية للمبحوثين

المحافظة / الحالة الاجتماعية	السويس		القاهرة	
	ع	%	ع	%
متزوج	٩٨	٨٩,١	٨٩	٨٦,٤
أعزب	–	–	–	–
مطلق	٧	٦,٤	١٤	١٣,٦
أرمل	٥	٤,٥	–	–
المجموع	١١٠		١٠٣	

وللكشف عن المكون العددي لأفراد أسر عينة الدراسة ، فانه من الجدول رقم (٥) يمكننا أن نلاحظ أن حجم الأسر التي تتكون من ١-٣ أفراد في محافظة السويس كانوا يزيدون عن نصف العينة بقليل ، وأن من يتكون أسرهم من ٣-٥ فقد بلغوا ما يقرب من ثلث العينة ، أما الفئة الأخيرة من ٥ فأكثر فقد حظيت بتمثيل نحو خمس العينة تقريباً . وبمقارنة ذلك بما هو في محافظة القاهرة ، فانا نشهد أن الفئة الأولي قد حظيت بنحو النصف إلا قليل ، ثم الفئة الثانية قد جاء تمثيلها بنحو ثلثي العينة ويزيد ، أما الفئة الأخيرة فقد سجلت نسبة صغيرة إذ ما قورنت بالفئتين السابقين ، حيث كانت حوالي ١٣,٦ % .

ويمكننا وفق ما أتينا به في السطور الفائتة أن نقول ، أن معظم عينة الدراسة تخضع عملية الخلفة لتنظيم إجباري ، يعكسه طبيعة الدخول لهذه الفئات التي لو

خضعت لأية مؤشرات تحديدية لاحتياجات البقاء الفيزيقي ، فإنها لا تتناسب ليس فقط لبقاء أسرهم ، وإنما لوجودهم كأفراد . وبعيداً عن هذا التفسير ، فإننا يمكن أن نطرح تأويلاً آخر لذلك، مفاده أن هذه الفئات ووفق شروط العولمة التي تحيا في إطارها ، فهي تذعن لوصفاتها الطبية ، تلك التي بتعارف عليها بالصحة الإنجابية .

جدول رقم (٥) يوضح عدد أبناء أسر المبحوثين

المحافظة / عدد الأبناء	السويس		القاهرة	
	ع	%	ع	%
من ١-٣	٥٦	٥٠,٩	٤٨	٤٦,٦
من ٣-٥	٣٣	٣٠,٠	٤١	٣٩,٨
من فأكثر	٢١	١٩,١	١٤	١٣,٦
مجموع	١١٠		١٠٣	

وإذا ما تناولنا لطبيعة الدخل في إطار عينة الدراسة الراهنة ، فإننا يمكــن أن نلمح مدي توافق الفئات الدخلية مع طبيعة المهايا والأجور التي تخلفهــا الوظــائف الحكومية . وبعيداً عن ذلك ولتوضيح تمثيل الفئات الدخلية وفقاً لعينة الدراســة فــي محافظة السويس ، فإننا نجد أن الفئة الدخلية من ٢٠٠ – ٣٠٠ سجلت نحو ٢٩,١% ثم كان للفئة الدخلية من ١٠٠– ٢٠٠ نحو ١٩,١% ، ثم سجلت الفئة الدخليــة مــن ٣٠٠ – ٤٠٠ حوالي ١٧,٣% ، أما أقل النسبة فكانت للفئة الدخلية من ٥٠٠ فــأكثر ، إذ كانت نسبتها ما يقرب من ١٤,٥ % . أما بالنسبة لمحافظــة القــاهرة ، فإنهــا تشترك مع المحافظة الأخرى في وضعية الفئات السابقة خاصة الأولي والثانيــة ، إذ تصدرت الفئة من ٢٠٠ – ٣٠٠ أعلي النسبة ،ثم يجئ بعدها الفئة من ٤٠٠ – ٥٠٠ ، وبعد ذلك تأتي الفئة من ٣٠٠– ٤٠٠ الفئة الأخيرة ، وكانت نسبهم علي التــوالي ٢٦,٢% ، ٢٣,٣% ، ٢٢,٣% .

وبيد أن ما سبق يمثل تفاوتاً واضحاً بين عينة الدراسة في طبيعة الفئات الدخلية ، فان هذا التفاوت لا يعود إلي طبيعة الدخول الرسمية ، بقدر ما يعود إلي وجود فرص لبعض أفراد العينة لزيادة دخولهم عن طريق أعمال إضافية ، أو حتي نتيجة لمساعدة الزوجة في الإنفاق ، أو من مساعدة الأهل ، أو عن طريق ما يسمي بالتحايل علي المعايش . وإذا ما تركنا ذلك جانباً لنعود له بعد قليل ، فان نسبة كبيرة من هذه الدخول لا تتناسب أيضاً مع طبيعة الأسعار القياسية للمواد اللازمة لإشباع الاحتياجات ، أوأن هذه الفئات تعيش في تماس مع مستوي خط الفقر . انه بقول آخر ، أن الدخول لا تتناسب مع الحصول علي السلع الغذائية الضرورية التي تسمح بتوليد القدر الملائم للطاقة الضرورية للإنسان ، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار التضخم الحادث في الأسعار وتأجيج أثمان السلع والخدمات ، تلك التي هي نتيجة حتمية للدخول في سياق شروط العولمة ([1]) .

[1] – حول طريقة قياس خط الفقر وتطبيقها بشكل فعلي علي المجتمع المصري راجع:

* عادل الجبار ، أساسيات توزيع الدخل في مصر ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، العدد ٥٥ ، الأهرام ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

*Townsend P., Measure and explanation of poverty in high and low income countries, in : peter Townsend (ed.) the Concept of poverty , Heinemann, London , 1970.

* البنك الدولي للتعمير ، مؤشرات التنمية في العالم : ١٩٩٩م ، مرجع سابق .

جدول رقم (٦) يوضح الدخل الشهري لمجتمع العينة

المحا فظة الدخل	السويس		القاهرة	
	ع	%	ع	%
١٠٠- ٢٠٠	٢١	١٩,١	١٨	١٧,٥
٢٠٠- ٣٠٠	٣٢	٢٩,١	٢٧	٢٦,٢
٣٠٠- ٤٠٠	١٩	١٧,٣	٢٣	٢٢,٣
٤٠٠- ٥٠٠	٢٢	٢٠,٠	٢٤	٢٣,٣
٥٠٠ فأكثر	١٦	١٤,٥	١١	١٠,٧
المجموع	١١٠		١٠٣	

وعلي الرغم من أن الفئات الدخلية السابق الإشارة إليها لا تفي باحتياجات عينة لدراسة المعيشية ، إلا أنها تمثل الأجور الحقيقية التي يتقاضاها أصحاب هذه الوظائف ، إذ أنها تقل كثيراً عما هو واقعي . لذا وكما سبق أن أشرنا نجد أن ثمة إمدادا خارجياً يأتي لكي تبقي هذه الشرائح الاجتماعية علي قيد الحياة بالكاد . ولكي ندلك علي ذلك ، فان الجدول التالي يشير إلي نحو ربع عينة محافظة السويس ،

وحوالي ثلث عينة محافظة القاهرة ، هم الذين يعتمدون وحسب علي دخـــولهم مـــن العمل الرسمي ، حيث سجلت مجموعة أخري أن دخولهم أو ما يكفي ســـد رمقهـــم تتعاون فيها الزوجات والأسر ، فضلاً عن إقامة الجمعيات ، وهـــي الطريقـــة التـــي تنتشر في الأوساط البسيطة ، لكي يعينوا ذواتهم علي إشباع احتياجاتهم، أو مواجهـــة المآزق الحياتية التي تواجههم ، أو تلك التي نطلق عليها باحدي صور التحايل علـــي المعايش.

جدول رقم (٧) يوضح مصادر الدخل لمفردات عينة الدراسة

المحافظة / مصدر الدخل	السويس		القاهرة	
	ع	%	ع	%
من العمل فقط	٢٨	٢٥,٥	٣٣	٣٢,٠
من الوظيفة وعمل إضافي	١٠	٩٠,١	٢٥	٢٤,٣
من الوظيفة وعمل زوجتي	٤٤	٤٠,٠	٢٦	٢٥,٢
من الوظيفة وعمل جمعيات	١٥	١٣,٦	١٩	١٨,٤
من الوظيفة ومساعدة الأهل	١٣	١١,٨	--	--
المجموع	١١٠		١٠٣	

انه علي حسب ما تقدم ، فانه يمكن القول أن شرائح الطبقة الوســطي التــي تمثلها عينة الدراسة ، في سياق قوانين وتدابير العولمة ، قد أخلت وتنازلــت كرهــا عن كل ما تمتعت به في زمن الشعبوية .؟ فبدلاً من كونها كانت تمثل عصب الدولة وقتذاك ، فان هذه الدولة قد أدارت ظهرها لها ، وراحت تقوي تحالفاتها مع أخري ،

وهو ما فرضه منطق السياسات الليبرالية وتوجهاتها التـــي تنـــادي بـــإعلاء شـــأن الرأسمالية من خلال ما يسمي بسياسات الخصخصة . انه وفق هذا التحالف ، فقد تم سحب شرائح الطبقة الوسطي إلي مصاف الطبقات المعوذة ، فبـــدلاً مـــن الـــستر – ترسخت الحاجة ، وهو ما يتضح بشكل لا مراء فيه في طبيعة الـــدخول وطرائـــق التمويل الأخرى والمساعدات التي تفرضها ما هو حادث من تـــأجيج فـــي أســـعار الاحتياجات الأساسية للقطاع الواسع من السكان . انه لولا هذه الآليات والبدائل التـــي يفعلونها للتحايل علي المعايش لكان معظم شرائح الطبقة الوسطي في عدد مـــن تـــم تكفينهم وقبرهم.

ثانياً : نمط ومستوي حياة مجتمع البحث

يتفق المجتمع الدولي – بعد جدل طويل – علي ضرورة الاعتراف بـــالحقوق الإنسانية . انه من خلال الوثائق الدولية والمواثيق، فقد تم الإقرار بوجـــوب الحيـــاة الحرة والكريمة والآمنة ، ليس علي مستوي الحقوق السياسية ، وإنما أيـــضاً علـــي صعيد الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهو ما أجبر معظـــم الـــدول علـــي تضمين ذلك في دساتيرها [(١)] . إن إلزام الدول بتوفير الواقع الحياتي الملائم بهـــدف سيادة حياة معيشية ملائمة تضمن لسكانها صحتهم ورفاهيتهم وأمـــنهم علـــي كافـــة المستويات ، إقرارها بذلك في سياق زمن ولي ، فان هذا الإقرار تم هجره ، بل قـــل أنه أصبح حبراً علي ورق ، لا يتم منه إلا من قبل الدعايات السياسية . ولكي نـــدعم ذلك، فانه ينبغي علينا التعرف علـــي الظـــروف الـــسكنية والـــصحية والتعليميـــة والمواصلات وكيفية قضاء وقت الفراغ. ولما كان الحجم هنـــا ينـــوء عـــن تحمـــل الإفاضة في كل ما سبق ، فإننا سوف نعرج علي بعضها ، حتي يمكـــن أن نكـــشف

١ - حول طبيعة هذه الاتفاقات والمواثيق الدولية راجع :

* عادل عازر وآخرون ، الضمان الاجتماعي في مصر : تجربة في مواجهة مشكلة الفقر، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٨١، ص ٨٢ .

إلي حد تركت الدولة حليفتها السابقة ووقفت ، تتفرج علي الطبقة الوسطي في مقاومتها لعدوان سياسات العولمة عليها .

وبيد أننا قد أوضحنا في موضع سابق، أن حجم الدخل أصبح حاكماً في اختيارات عينة الدراسة للمناطق الطرفية مكاناً للإقامة، فان هذا المعيار ينعكس بوضوح في نوعية المسكن وظروفه. وعلي الرغم من ان سكني عينة الدراسة من الطبقة الوسطي التي تقيم في مناطق حضرية ، إلا أنها مازالت لا تتمتع بالمرافق والخدمات ، وهو ما يجعلنا نراها بمثابة مكاناً للحماية من العوامل الطبيعية ، وليست مكاناً صالحاً للحياة والاستقرار(١) .

ولكي نبين ذلك ، فانه بالنظر إلي طبيعة السكن ومحتوياته ، فقد أفادت عينة الدراسة كلها (القاهرة والسويس) أن حوالي ٨٨,٣% يسكنون في وحدات سكنية ايجارية وفي مقابل هؤلاء فقد كشف نحو ١١,٧% أنهم يسكنون في ملك خاص بهم . وهذا ما يشير أن غالبية عينة الدراسة قد تم تحريكهم مكانياً من المناطق التي ولدوا فيها إلي المناطق الطرفية التي يسكنون فيها حالياً ، وهذا بفعل طبيعة الدخول التي لا تقوي أمام الأرقام الفلكية لسكني المناطق المتميزة ، أو حتي لشراء وحدات سكنية في إطار الأماكن التي يعيشون فيها . وبتأمل النسبة الضئيلة التي تسكن في أماكن مملوكة لهم ، فإننا أمام دخولهم الضعيفة ، فأما هؤلاء قد ورثوها عن آبائهم ، أن أنهم بفعل الخروج إلي النفط ، فقد أصابهم نوع من الادخار الذي تم توظيفه في شراء مسكن خوفاً من ضياعها أما نمو التضخم الذي أصاب كل شئ في المجتمع.

وللوقوف علي ما يضمه مسكن هذه الشرائح الاجتماعية، سواء أكانت إيجاراً أو ملك، فان نحو ٦٨,٦% قد أفادوا أنها تتكون من حجرتين، وان نحو ١٢,١% يسكن في حجرة واحدة، وأن حوالي ١٩,٣% يقطنون في ثلاث حجرات . ولما كان اختيار مثل هذه الأحجام يتحكم فيها أيضاً طبيعة الدخول ، فان ما يزيد عن ثلاث أرباع

٢- ميلاد حنا ، أريد سكنا ، مشكلة لها حل ، مكتبة روزا ليوسف ، الطبعة الأولي ، القاهرة ،١٩٧٨ ،ص ٥٦ .

العينة ن حاولت تدبير ما يؤيها وحسب . وهو ما يطلق عليه ميلاد حنا "بـالمطرح " الذي يتنوع استخدامه حسب الظروف(١). أو قل أن هذا الأحجام لا تتناسب مع أحجام كثير من أسر عينة الدراسة ، خاصة إذا ما عرفنا أن النسبة الكبيرة منها تضم من ٢ إلي ٥ أفراد ، وهو ما يعني أن خصوصية الذات الإنسانية قد أقصيت تماماً في داخل هذه الأسر، تلك الحالة التي تتشابه مع ظروف حياة الأسر الفقيرة سواء في الريف أو الحضر .

وإذا كان طبيعة سكن شرائح الطبقات الوسطي تقترب كثيراً من سكن الفقراء، فإننا أيضاً يمكن أ، ندعم ذلك بما يتمتع به هذا السكن من مرافق ، ففي الوقت الذي أدلي فيه ٨٧,٥% بأنهم يحظون بوجود المياه، وأن نحو ٩٣,٦% يتمتعون بوجود الكهرباء، وأن نحو ٥٢,٧% يوجد لديهم مجاري، فان الفرق من إجمالي هذه النسبة، يعكس إلي أي حد أن نسبة غير قليلة من شرائح عينة الدراسة تفتقر لهذه الخدمات، وهي ما تتوازي في وضعيتها مع كثير من سكني المناطق العشوائية والطرفية.

وبيد أن ما سبق يدلل بشكل واقعي علي عدم مناسبة سكني عينة الدراسة، فان الواقع الميداني يأتي بعكس ذلك، حيث أفادت نحو ٨٢,١% من عينة الدراسة عن رضاهم عن سكناهم والواقع أن هذه الإفادة كانت لظروف ضاغطة، تلك التي تتعلق بما يلي : رخص السكن ٢٩,٥% ، قربه من العمل ١٣,٣% ، قربه من إقامة الأسرة ١٥,٧% ، امتلاكه له ١١,٧% ، قربه من الأسواق ١٣,٦% ، قربه من المواصلات ١٧,٢%.

وإذا كنا في الصفحات السابقة قد اشرنا إلي بعض المؤشرات المرتبطة بنوعية ونمط الحياة الخاص بالشرائح العينية في مجتمع الدراسة ، فانه استكمالاً لبقية هذه المؤشرات ، يتوجب علينا التعرض إلي الخدمات الاجتماعية ومدي توفرها

١ - المرجع السابق ،ص ٥٩.

، تلك التي توضح طبيعة التوجهات السياسية تجاه وضعية هذه الطبقة. فبالنظر إلـي موقف عينة الدراسة من الخدمات الصحية، نجد أن نحو ٩,١% منهـا تـذهب إلـي طبيب خاص، وأن حوالي ٣١,٩% يذهبون إلي المراكز الطبية الأهلية التي أقامتهـا مؤسسات المجتمع المدني، وأن ما يقرب من ٢٦,٤% قد راحت إلـي المستـشفيات العامة ، وأن نحو ٣٣,٦% يلجأون إلي التأمين الصحي. والمتأمل في النسب السابقة يجد أن أصحاب هذه الشرائح الاجتماعية يلجأون إلي أنواع معينـة مـن الخـدمات الصحية ، التي لا تتطلب أموالاً باهظة وقد تناسب دخولهم ، وهو ما نستدل عليه من عدم طلب هؤلاء للطب الخاص والاستثماري بالغ التكاليف الذي بلـغ أوجـه حـين خرجت الدولة كضابط وكمقوم للخدمات الصحية ، وقت أن أطلقت العنان للأمـوال تتغلغل في كل صغيرة وكبيرة .

وبإدارة ظهرنا إلي الخدمة الصحية ، والذهاب إلي الجانب المتصل بالتعليم ، فإننا نري أن أصحاب هذه الطبقة مازالت تعتمد علي ما تقدمه الحكومـة فـي هـذا الإطار، وهو بالطبع الذي يتناسب مع طبيعة الدخول النقدية لهـا، إذا مـا قورنـت بتكاليف المدارس الخاصة التي تعتمد علي تقديم الخدمة مقابل أرقام يندر من تحملها كاهل هذه الشرائح الطبقية. وفي هذا السياق توضح الدراسـة الراهنـة أن حـوالي ٧٩,١% من حجم العينة يعلمون أولادهم في المدارس الحكومية، وان ما يقرب مـن ١٣,٦% يدفعون بأولادهم في المدارس النموذجية التابعة لوزارة التعليم، وان نحـو ٧,٣% يفضلون تعليم أولادهم في المدارس الأجنبية. انه حسب هذه النسب ، يمكـن الذهاب أن الجزء المتعاظم من عينة الدراسة مازالت تتمسك بما تقدمه الحكومة مـن خدمات ، وان جزءاً قليلاً منهم يعتمد علي المدارس الأجنبية التي ما هي إلا نوع من الوجاهة ، أو بحسبان أن خريجيها يحظون بميزات تفضيلية سواء في تحصيل العلـم والدرجات ، اغو حتي في الحصول علي وظائف متميزة بعد تخرجهم ، خاصـة إذا

ما عرفنا أن خريجي هذه المدارس يتسلحون بذخيرة لغويـة وتكنولوجيـة يفـضلها أصحاب المشروعات والشركات الاستثمارية .

وبإلقاء الضوء علي توجهات عينة الدراسة حول أفضلية التعليم ، أو إكسابهم حرفة معينة ، فان الدراسة الراهنة قد تثبت لها أن معظم أفـراد العينـة ، مـازالوا يفضلون تعليم أولادهم للحصول علي شهادات بعينها حتي يمكنهم إيجاد نوعـاً مـن الحراك الاجتماعي الذي يعد التعليم من أهم مسبباته . ولتوضيح ذلك، فقد أظهر نحو ٩٢,٣% من مجموع العينة أنهم مازالوا مع تعليم الأولاد في الوقت الذي كشف نحو ٨,٣% أنهم مع تعليم الأولاد بجانب تعليمهم أو صقلهم حرفاً معينة ، وإذا كنـا قـد ذكرنا قبل قليل أن أفراد عينة الدراسة يدفعون بأولادهم للتعليم بهدف إحداث نوعـاً من الحراك الاجتماعية بشمل يفوق عن تعليم الحرف ، فان ذلك من وجهة نظـرهم يعود إلي الأسباب التالية : الحصول علـي شـهادات جامعيـة متميـزة ٢٥,٤% ، والإمساك بوظائف معينة في إطار الشركات الاسـتثمارية ١٣,٥% ، أن المجتمـع وفرص الحراك فيه إما تعتمد علي المال أو علي التعليم ١٥,٧٥ ، أن المتعلم أفـضل من المنهي ١٩,٣%، و أن نظرة المجتمع للمتعلم أفضل من نظرته للمهنـي ١٨,٨% .

وبالنظر إلي رؤية أصحاب العينة الراهنة لماذا يفضلون التعليم الحكومي عن التعليم الخاص. فبعض النظر عن عملية الاعتماد علي الحكومـة، فـإنهم طرحـوا مجموعة من الأسباب التي هي من وجهة نظرهم، أن تكلفة التعليم الحكومي تناسـب مع دخولهم ١٧,٨%، وان التعليم الحكومي لا يعتمد علـي الـربح ٢٣,٧% ، وانـه يتناسب مع دخول معظم الناس في المجتمع ١٦,٤% ، وان التعليم الحكومي لا يعتمد علي التمييز بين الغني والفقير ١٩,٩% ، وان تكلفة التعليم الحكـومي تـسمح لهـم بتحمل تكاليف الدروس الخصوصية التي تنتشر ليس فقط في التعليم الحكومي وإنمـا أيضاً في التعليم الخاص ١٥,٥% . إن ذلك يعني من وجهة نظرنا إلي أن التعليم في

الوقت الذي يتناسب مع طبيعة وأحجام الدخول النقدية لهذه الـشرائح ، فـي الوقـت عينه الذي يشير إلي أن الدولة وما تقدمه من خدمات لا تسعي إلـي الـربح إذا مـا قورنت بالخدمات التي يقدمها الأفراد ، ومؤسساتهم الخاصـة الاسـتثمارية التـي لا يهمها إلا تكديس الربح ، وهو منطق الأفراد في زمن العولمة .

ثالثاً : المشاركة الاجتماعية والسياسية وصور التضامن الاجتماعي

من المسلم به أن أي مجتمع من المجتمعات يعج بالكثير من أنواع العمليـات الاجتماعية ، ما تتصل بتفعيل صور التعاون أو الصراع، وهو ما يعكسه طبيعة القيم الاجتماعية السائدة التي تأتي دوماً كترجمة لنمط الإنتاج السائد . وفي إطـار تـسييد المنطق الرأسمالي في مجتمع غير متجانس ، فهل ثمة لحمة اجتماعية بين الفـاعلين الاجتماعيين في إطار تفاعلاتهم . وعند الإجابة علي التساؤل الفائت، فإننـا حاولنـا الكشف عن طبيعة التفاعلات الاجتماعية في إطار الواقع المعاش . وفي هذا الـصدد فقد كشفت الدراسة الراهنة أن أعضاء مجتمع البحث يؤثرون أنفسهم علي الآخرين ، وهو ما يتضح في عدم معاونة الآخرين في وقت الحاجة. ففي الوقت الذي لا يوافق نحو ٨٢,٤% من حجم العينة علي إقراض الآخرين ، نجد أن نحو ١٢,٦% يوافقون علي ذلك ، ذلك الذي ردوه إلي عدم وجود فائض نقدي ٢٦,٨% ، وأن دخولهم تكاد وحسب ٣٢,٦% ، أو أن مثل هذه الأشياء لا تخلف إلا الخسارة (السلف تلف والـرد خسارة) ١٢,٣% ، أو أن مثل هذه التصرفات تأتي بصور المـشاحنات والعـداوات ١١,٩ % ، أو أنه في هذه الآونة تؤثر الذات نفسها علي الآخرين (كل واحد يدوب يشيل همه) ١١,٩% . انه علي هدي ماسبق ، يمكننا أن نستدل علي أنه فـي زمـن الحاجة والتوحش يدير الذات ظهره للآخرين ، ومـن ثـم تنتفـي صـور التعـاون والتعاضد والتكافل الاجتماعي ، ولكي ندعم ما طرحناه تواً ، فإننا ذهبنـا للوقـوف على الصور السابقة من خلال مشاركة أفراد العينة للمناسبات الاجتماعية للآخرين . وهنا يوضح نحو ٦٨,٣% من مجموع العينة أنهم يشاركون الآخـرين مناسـباتهم ،

وخاصة فيما يتصل بالأفراح والأتراح ، وأن نحو ٣٥,٢% أنهـم يـشاركون فـي الأفراح ، وما يقرب من ٢٣,٨% يشاركون في الأتراح ، بينما ٢١,٠% يـشاركون في الاثنين معاً .

وإذا كنا قد دعمنا بما سبق ، ما كنا قد طرحناه من قبل في الـسطور الفائتـة ،فإننا بالنظر إلى الأسباب التي تجعل أصحاب العينة يشاركون الآخرين مناسـباتهم ، فان الآخرين الذين قد أدلوا بعكس ذلك، قد عددوا مجموعة من الأسباب التي تحـول دون مشاركتهم الآخرين، وهي أن البيوت ضيقة ٤٢,١% ، وعدم وجود وقت نتيجة انشغالهم كل الأوقات لتوفير المطلوب النقدي اللازم لبقـائهم أحيـاء ١٤,٢%، وأن الآخرين يضيقون من ظهور أفراد أسرتهم عليهم ١٢,٢%، وعدم وجـود وفـورات مالية تسمح بشراء الهدايا اللازمة لتعميق الود والاتـصال بـين النـاس ٣١,٥% . وحيث أن هذا الجزء من العينة قد طرحوا مجموعة من الأسباب التي تقف نداً مـن إتمام التفاعل الاجتماعي بين الذوات البشرية ، فإنهم كشفوا أيـضاً أن ثمـة أمـاكن أخري يتم فيها اللقاءات ، وهي التي تتمثل في المقاهي ٢٣,٧%، أو فـي الأمـاكن العامة ١٢,٦% ، أو في الشوارع بطريقة عابرة ٤٥,١%، أو فـي أمـاكن العبـادة ٨,٦% .

وبالانتقال إلي صور المشاركة السياسية التي من خلالها يمكن وضـع أيـدينا علي طبيعة الانتماء والولاء لهذه الشرائح الاجتماعية لمجتمعهم، فضلاً عـن تبيـان موقفهم من الدولة وسياستها والوعي بما يدور حولهم، فـان نحـو ٨٧,٦% يقـرون بحوزتهم لبطاقة انتخابية . وهو ما يشير إلي وجود وعي واضح بمـصالحهم علـي المستوي النظري . ولكن علي المستوي الواقعي ، فقد أكد حوالي ٩٣,٢% أنهـم لا يستخدمون حقهم الانتخابي، أي أنهم يشاركون في الانتخابات ، وهذا ما أرجعوه إلي أن المشاركة أو عدمها هي هي من جنس واحـد ٢٤,٧% ، وأن إرادتهـم عديمـة الجدوى والفعالية ١٧,٦% ، وأن المشاركة الحقيقية يمكن أن تخلف ضـرراً لهـم ،

خاصة إذا ما عبروا عن آرائهم الحقيقية (ابعد عن الشر وغني لــه) ١٨,٤% ، وأن الدولة لها قدرة متعاظمة في البطش بمن يحالفها (الدولة ايدها قوية وطويلة ومحدش يقدر عليها) ١٨,١% . انه هنا يمكن أن نسجل ، أن ثمة وعياً لدي عينة الدراسة بأن الدولة لا تنفذ إلا ما تريد ، وهي ذلك تعتمد علي ما تملكه من وســائط فــي إجبــار الآخرين لمسايرة إرادتها ، أي أن التعبير الحقيقي عن إرادة المجموع يغيب في ظل السلطة وآليات القهر والخضوع .

وحيث أن عينة الدراسة الراهنة قد عبرت عن مكنون وعيها تجاه ممارســات الدولة علي صعيد المشاركة السياسية ، فإنها أيضاً تشير بوضوح إلي مواقف الدولة منهم ، ومن مجموع أفرادها. وفي هذا الصدد توضح الدراسة الميدانية ، أن حــوالي ٩٥,٨% من مجموع العينة قد رأوا أن الدولة لا تدبر بالاً لسكانها ، وهو ما يــشير إلي أن الحكومة علي الناس لا معهم . ولكي نفند ذلك ، فإننا يمكنك أن نستدعي مــا ذكروه من أسباب ، تلك التي تتمثل في : أن الدولة لا تهتم إلا باستنزاف الفــرائض الاجتماعية (معدش همها إلا جمع الفلوس) ٢٥,٤% ، أ، الدولــة تحــابي أصــحاب الأموال وحسب (هي مع القادرين) ٣٢,٥% ، أن الدولة تساعد الأغنيــاء وتقــف ضد الفقراء والمحتاجين (هي بتسلف الأغنياء واحنا لو جيبنــا نــستلف) ١١,٩% ، وأن الدولة باتت تاجراً مثلها مثل أي رأسمالي (كــل حاجــة بــتخلص بــالفلوس) ٢٦,٦% .

رابعاً : الوعي بالقضايا الاقتصادية والسياسية والثقافية

ثمة اتفاق عام علي أن الوعي الاجتماعي هو انعكــاس لــشروط اجتماعيــة ووجودية معينة ، أي أنه من الصعوبة بمكان أن نفصل الوعي الاجتماعي والثقافــة السائدة من الواقع المعاش ، فالوعي الاجتمــاعي لا يتجــذر بعيــداً عــن الوجــود الاجتماعي القائم وثقافته وقيمه الاجتماعية التي تسود فيه [1] . ولما كان ذلك كذلك ،

١ – حول الوعي الاجتماعي كإنعاش للوجود الاجتماعي راجع :

فإننا هنا سوف نسعى إلي رصد كيف أن الواقع الاجتماعي الذي يتمفصل مــع قــيم وثقافة العولمة وسياستها قد أثرت في شرائح الطبقة الوسطي ، وجعلتها تشيد موقفــاً خاصاً منها . ولكي يتم لنا ذلك ، فقد حاولنا توضيح موقــف عينــة الدراســة مــن سياسات الدولة التي خضعت لكل مشورات الدولة العالمية . فمــن خــلال تــساؤل محوري حول انحيازات الدولة لطبقات اجتماعية معينة ، وإدارة ظهرها لأخــرى (في أي صف تقف ، وضد من ؟) فقد أفادت الدراسة الراهنة أن الدولــة تقــف مــع الرأسمالية التي تعبر عن توجهاتها ونمط إنتاجها (في صــف اللــي معــاه فلــوس) ٧٩,٦% . وفي الوقت الذي أجاب ما يزيد عن ثلاث أرباع العينة بالإجابة السابقة ، فان هناك من يري (٨٢,٢%) أن الدولة ف صف من يقعون في مــصفوفتهم ، وأن حوالي ٩,٩% أشار إلي أن الدولة تقف في صف الطبقــات الفقيــرة ، حــين رأي ٢,٣% أن الدولة لا تنحاز إلي طبقة بعينها ، إذ هي تقف محايدة . والمتأمــل فيمــا سبق ، يستطيع أن يخرج إلي أي حد أن الواقع القائم بكل تناقضاته ، قد انعكس علي وعي وفكر الشرائح محل الدراسة ، وهو الذي يتجلي في أن الدولة لم تعد ضــابطاً ومنظماً للفوارق الطبقية كما كان متعارفاً عليه إبان السياسيات الشعبوية وفي إطــار نمط إنتاج الدولة ، وإنما هي راحت لكي تصون وتعضد من وجود الطبقة الرأسمالية التي هي عماد سياستها وأيديولوجيتها التنموية في الوقت الراهن .

وإزاء ما يصدق في الطرح السابق ، فان عينة الدراسة أيضاً قد عبرت أنــه وفق نهج الدولة ، فإنها تقف ضد سياساتها ٨٧,٣% ، وهو ما أرجعته إلــي كوكبــة من الأسباب هي : أن الدولة تقف وتساند مصالح الرأسمالية (هي مع النــاس اللــي معاهم فلوس) ١٩,٧% ، وأن الدولة تدير ظهرها لمصالح الطبقات العريــضة فــي المجتمع (هي ما تهمهاش اللي زينا)١٦,٨% ، وأن الدولة تخضع لــشروط الغــرب

---

* أوليدوف ، الوعي الاجتماعي ، ترجمة ميشيل كيلو ، دار ابن خلدون ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٢١٢ .

* جرامشي ، قضايا المادية التاريخية ، ترجمة فؤاد طرابلسي ، دار الطليعة ، الطبعة الأولي ، بيروت ، ١٩٧١م ، ص ١٨٢ .

الرأسمالي الذي يسعي إلي تموين نمط إنتاج ثقافي واجتماعي علي غـراره (الدولـة ماشية في حضن الغرب) ١١,٢% ، أن الدولة تعيد وتكرس أوضاع الفقر(هي بتزود أعداد الفقراء) ١٥,٥% ، أن الدولة تقصر أدوارها علي خدمة الطبقات العليا (هـي بتغمض عينها عننا وبتساعد وبتسند الأغنياء)٢١,٣% .

وبيد أن عينة الدراسة قد أوضحت إلي حد كبير موقف الدولة وتحالفاتها مـن مفردات البيئة الطبقية القائمة ، وكيف أنها تشايع المنطق الرأسمالي ، تـسعي بكـل آلياتها لفرض هيمنة الرأسمالي علي الواقع المجتمعي ، فإنها أيضاً قد أفرزت وعيـا في هذه الدراسة من سياسات العولمة .

وللوقوف علي طبيعة ومعني العولمة وقف ذهنيتها ، فقـد رأت أن العولمـة تسعي إلي وجود العالم علي جنس واحد ووقف أيديولوجية تنموية واحدة وأن العـالم كله يكون شبه بعض في كل حاجة ، ١٥,٢% ، وأن العولمة وسياستها تعمل علـي فرض الغرب الرأسمالي علي كل شئ في الكـون (أن الغـرب يـسيطر علينـا) ١٨,٩% ، وأن العولمة وسياستها تعمل علي إبدال القـيم الوطنيـة والمحليـة بقـيم وأخلاق الغرب المسيحي (إن احنا نتخلـي عـن أخلاقنـا ومبادئنـا)٢٣,١% ، وأن سياسات العولمة تعمل علي إبقاء وتكريس الفقر للشعوب الضعيفة ، وتوليـد الغنـي والازدهار لديها (إن همه يغتنوا واحنا نفتقر) ٢٥,٤% ، ناهيك أن محاولات فـرض قيم الغرب الرأسمالي ، مـا هـي إلا محاولـة لتغييـب الإسـلام (العولمـة ضـد الإسلام)١٧,٤% .

وحيث أن ما سبق ، هو ما يمثل المكنون المعرفي لدي أصحاب العينة حـول مفهوم العولمة ، فانه يمكن أن نشتم تأويلاً سلبياً ضدها ، وهو مـا أيـده اسـتجابات العينة حول موقفها منها . لقد أفاد نحو ٨٨,١% من مجموع العينـة ، أنهـم ضـد العولمة وسياساتها وحتي إذعان الدول التي نحن في أضموتها ، وكان ذلـك أيـضاً نتيجة لمجموعة من الأسباب التي دفعوا بها وهـي : أن العولمـة تعمـل لمـصلحة

الغرب وحسب ٢٤,٣%، أن العولمة تحابي الدولة العبرية علـــي حـــساب العـــرب ١٧,١% ، أن العولمة تخلق منا سوقاً تجاريا لمنتجاتها ، ومن ثم استنزاف الفوائض الاجتماعية ١٨,٦% ، أن العولمة تحاول بالقوة فرض ثقافة مغايرة لثقافة المجتمعات الأخرى ١٣,٧% ، وأن العولمة وفقاً لسياساتها الاقتصادية والـــسياسية والإعلاميـــة ضد الدين الإسلامي ١١,٣% ، وأن العولمة وفق منطقها العسكري والثقافي تـــسعي فقط إلي خضوعنا لها ١٥%.

ولما كانت الاستجابات السابقة التي أتت بها الدراسة الراهنة ، توضح طبيعـــة الوعي الاجتماعي إزاء منطق العولمة المعنوي علي كل القوميات المغايرة لثقافتها ، فان الوعي أصبح في أوج اكتماله ،خاصة وان نحو ٨٩,١%من عينة الدراســـة رأت أن العولمة أضرت بمصالحها . بل وأضيفت جيوشاً هائلة من الفقراء ، انه بمعنـــي انعكاسي أن العولمة قد أضافت البنية الوسطي من الطبقات الاجتماعية إلـــي اعـــداد الفقراء ، وهو ما يعني أن البناء الطبقي السائد قد خرج من إطاره الطبقات الوسطي ، إذ بات منسي إلي أغنياء وفقراء وحسب .

وإذا كان ما سبق هو الحادث في إطار المجتمع المصري ، الذي جاء انعكاساً لسياساته التنموية والاجتماعية ، فان أصحاب عينة الدراسة قد أفـــادوا أنهـــم ضـــد سياسات الحكومة وإجراءات بيع القطاع العام ، حيث رأوا أنهـــم يفـــضلون تـــدخل الدولة في المناشط الاقتصادية وعدم قصرها علي الأفراد ، وذلك يعدد مـــن وجهـــة نظرهم إلي الأسباب التالية : القطاع الخاص لا يسعي إلا لتكوين الـــربح ومـــصالحه ٣٩,٧% ، أن القطاع العام لا يفرق بين غني وفقير ٣١,٦% ، أن أســـعار القطـــاع العام تراعي كل الدخول ٢٨,٧% .

وعلي الرغم من أننا مما سبق يمكننا أن نستنتج إلي أي حـــد يتبـــاكي علـــي سياسات الدولة القائدة التي كانت لا تراعي فيه الربح وفق مؤسسات القطاع العـــام ، فإنها قد دفعت بموقف خاص متناقض من التعامل مع ما هو وطني ، وما هو أجنبي

. ففي الوقت الذي تبدي فيه وعياً مناهضاً لسياسات العولمة ولدخول الرأسمالية الوطنية في سياق العملية الإنتاجية ، فنها تري أهنا تفضل شراء بارتفاع أسعاره (سعر غالي) ٢٨,٧% ، وأنه لا يدوم فترة طويلة (بيعمرش) ٢١% ، أن أذواقه لا تضاهي ما تطرحه المنتجات الأجنبية التي تتماشي مع الموضة والوقت (أذواقه وحشة) ٢٧,١% ، أن المنتج الوطني لا يفتش إلا علي الربح دون مراعاة الدخول الضعيفة (مبيدورش إلا علي المكسب وغير مناسب لدخولنا) ٢٣,٢% ، أنه علي الرغم من تناقض أصحاب العينة الراهنة في مواقفهم من سياسات العولمة ومن ثم سياسات الدولة ، وبين تفضيل المنتجات الأجنبية علي المنتجات الوطنية ، يعكس بشكل جلي أن بوصلة هذه الشرائح الاجتماعية تتجه دوماً إلي مصالحها ، والآن تقف ضدها حينما اشاحت وجهها عنها . إن ذلك يدعونا إلي القول أن تراعي الطبقة الوسطي يتشكل وفق مصالحها ، فإذا عمل المنتج الأجنبي يوماً لما يتوافق مع مصالحها ، لتغير هذا الوعي المناهض وبات وعياً ايجابيا.

ففي ضوء هذا الوعي المتناقض ، يمكننا أيضاً أن نقول أن هذا الوعي لم ينضج بعد ، أو هو وعي ضيق في إطار المصالح الآنية والفردية . إن الوعي غير الناضج الذي تتسلح به الصفة الوسطي ، هو الذي جعلها أسيرة لشروط العولمة ، الدولة المنفذة لها ، فبدلاً من محاولة القيام بتغيير هذا النظام ، فقد انسحبت إلي داخلها ، تنتظر إلي ظهور مخلص آخر . إننا هنا يمكن القول أن تركيبة وتفكير وممارسة الطبقة الوسطي قد طرأ عليه التغير ، فبدلاً من كونها وقود الثورات أو دافعها وباعثها الرئيسي ، في تاريخ الدولة المصرية ، فإنها اعتزلت الواقع والمجتمع ، تكيف أوضاعها وتضع التدابير البديلة من أجل بقائها علي قيد الحياة [1]
.

١- يستثني من ذلك بعض أعضاء هذه الطبقة الذين يدخلون في إطار مؤسسات المجتمع المدني الذين يعبرون عن وعي حقيقي ومناهض لما هو قائم .

إن الطبقة الوسطي وفق طبيعتها ومكونها المعرفي تعتـرف بأنهـا ضـحية سياسات الدولة ، وهو ما دفعهم إلي استئناس الفوضى الاقتصادية وتناقضات الواقـع ، دون البحث عن آلية للفكاك من ذلك ، لإعادة ترتيب الواقع ، بمـا يـضمن لهـم معيشة أفضل . إن قدرية الطبقة الوسطي وانتظارها لوجود قـوي أخـري مؤهلـة لتغيير الواقع ، يجعل من هذه الطبقة جثة بلا حركة ، حيث ينيبون عـنهم آخـرون للإتيان بالنظام المحجوز وهو ما يجعلنا ندخلهم في إطار الحالمين الطوباويين الـذين ينتظرون التغيير من خلال عالم سماوي أوغير مرئي ، دون امتلاك إسـتراتيجية أو تكنيك أو حتي ممارسة .

إن استعذاب العذاب أو تلذذ الألم من قبل الطبقة الوسطي ، ماهو إلا نوع من التعاطف مع المستغلين ، حيث يكون القهر والاستغلال بقدر ما هو تقييد للحريـة ، ووسيلة للاستغلال بقدر ما يكون تشويه فكري ونفسي للمقهور . فالتـشويه الحـادث في وعي هذه الطبقة، وعدم تحركها لتغيير واقعها، يمكن أن نقول عنه في التحليـل الأخير ، أنه محاولة منها لإرضاء من يتسلط عليها ، وهذا عين النفاق والكذب الذي يبديه الخاضع أمام من يسيطر عليه .

إنه من خلال كل ماتقدم ، فإن هذا الجزء حاول أن يكشف عن مكونات نـسق الوعي الكامن في ذهنية شرائح الطبقة الوسطي في مصر، تلك التي وقفت عليها من خلال بعض آراء ودفوعات عينة منها ، التي بينت بصدق العقل البينـي ، أو عقـل الطبقة الوسطي ومواقفها تجاه الدولة وسياسات العولمة ، ذلك العقل الذي بدا عقـلاً ناقصاً أو غير ناضجاً خاصة وأنه ينظر إلي ذاته وحسب ، وبالتالي يغفل اجتماعيته ، تلك التي جعلت من ذهنيته تتكيف مع الواقع القائم ، ومرائيه للسلطة القائمـة فـي الوقت ذاته .

ثانياً العولمة ورؤى الذات

باعتبار أن العقل هو مصدر التحليل ، بل والتأويل ، حيث أن الأشـــياء التـــي يدركها ما هي إلا صفات يخلعها الوعي من ذاته علي الأشياء ، فإن كـــل مـــا هـــو مدرك ليس إلا ثمرة لفعالية الذهن ، إذ أنه لا يوجد شئ في العالم الخارجي مـــستقل عن إدراكنا له . ولما كان الفاعل الإنساني له قدرة ومعرفة في تأويل الوجـــود مـــن خلال المشاركة الإيجابية التي تقوم بها الذات المدركة ، وأنه لا توجد معرفة خـــارج وعي الذات ، فإننا هنا نسعي إلي الكشف عما جاءت به العولمة من تـــأثيرات علـــي الوجود الاجتماعي القائم بشكل عام ، وعلي أوضاع الطبقة الوسطي بشكل خاص .

فتأويل الذات لما هو قائم ، هو بصورة أو بأخرى نوعاً من إدراك الآخـــر ، وهو ما يمثل مخزوناً معرفياً شكله طبيعة ما هو قائم . وحيث أن التأويـــل والإدراك يشكلان محوراً مهماً في تفسير الصور والنماذج القائمة ، فإن هذه التصورات تدخل في إطار الوعي الاجتماعي الذي يعبر عن سلوك اجتماعي محدد ، وينبئ بتصرفات الذات الإنسانية في إطار زمان ومكان معين . وإذا كنا هنا نسعي إلي تأويل الـــذات للأوضاع الطبقية والتحولات التي طرأت عليها بفعل انتهاج سياســـات الليبراليـــة ، وتفعيل المشورات والوصفات الدولية ، فإننا حاولنـــا أن نـــستخدم مايـــسمي بـــأداة الجماعة المركزية التي اعتدنا فيها علي مجموعة من المبحوثين الذين تم اصـــطفائهم من العينة الكلية للدراسة الراهنة ، لكي يرصدوا تصورتهم وتحيزاتهم الثقافية قضايا العولمة([1]) .

١ – تأثير العولمة علي الأوضاع المعيشية والقيم الاجتماعية

يتطلب استمرار بقاء أي فرد من الأفراد أن يشبع احتياجاته التي تبـــدأ مـــن الأشياء الفطرية في أدنـــي الـــسلم ، وتنتهـــي بـــالأمور الـــسيكولوجية والـــسلوكية

١- محمد الجوهري وسعاد عثمان ، دراسات في الأنثروبولوجيا الحضرية ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الأولي ، الإسكندرية ، ١٩٩٢ . وتجدر الإشارة إلي أنه وفق تكثيفات أداة الجماعة المركزية ، فقد انتقاء سبع من عينة الدراسة ، راعينا فيها مجموعة من الأبعاد هي :اختلاف الوظائف والمؤهل الدراسي ، وكذا أماكن الإقامة .

والاجتماعية في أعلي السلم . فالفرد وفق سلم الحاجات يسعي إلي إشباع احتياجاتـه ، وإن عجز عن ذلك ، فإنه يتحول إلي كائن مدمر للحدود والحرمـات ، أو علـي الأقل ينسحب من المجتمع أو يغترب عنه . وإذا كنا في موضع سـابق مـن هـذا البحث قد كشفنا عن أن العولمة قد أصابت في مقتل أوضاع الطبقة الوسطي ، فـإن ذلك انعكس بشكل واضح علي الأوضاع والمستويات المعيشية لها . ولكي نقف علي ذلك ،فإن عينة الدراسة الراهنة ، في إطار ما يـسمي بالجماعـة المركزيـة ، قـد أوضحوا ذلك علي النحو التالي :

".. احنا حالتنا بقت صعبة في الزمن الأغبر ده .. كل حاجة بقت غاليـة .. ومش قادرين نعيش .. طبعاً والدولة ودن من طين وودن مـن عجـين .. الدولـة معدش يهمها إلا الفلوس .. تروح تشتري الحاجة النهاردة ، تلاقي سعرها زاد عـن امبارح .. احنا ساعات بنقضي عشانا نوم .. الواحد مش ملاحق علي المـصاريف .. مش قادر يكفي بيته.. لولا الستر كنا انفضحنا .. "

تعانقت معها خاصة في فترات الخمسينيات والستينيات . إنه بفعـل الدولـة وسياستها ، فقد ضاقت معيشة هذه الطبقة نتيجة التضخم الحـادث فـي الأسـعار ، والطبيعة الربحية للدولة .

وإذا كان (ع.م) قد علل لتدني أوضاعه وذويه ومن يقع في مصفوفته لطلاق الدولة لهم وإشاحة اهتمامها عنهم ، فإن (ش.ع) [1] ، قد ذهب إلي أبعد مـن ذلـك ،حيث رأي أن الدولة بنهجها لسياسات الليبرالية التي هي أيديولوجيا العولمة ، فقـد تركت الحبل علي الغارب لتدخل القطاع الخاص ، الذي عمل بكل قوة علـي جنـي الأرباح دون مراعاة لظروف ودخول هذه الطبقة وفي ذلك يقول :

٢- يعمل مهندساً زراعياً في إحدي المؤسسات الحكومية بمحافظة القاهرة .

" .. الحكومة مش بس عاملة ودن من طين وودن مـــن عجـــين ، دي هيـــة بتساعد اللي معاهم فلوس يعملوا اللي همه عايزينه .. ماعدتش بتـــسأل إن الأســـعار دي مناسبة ، ولا حتي هية كويسة .. لأ ، دي سيباهم يعملوا اللي همه عايزينـــه .. كل واحد عايز يعمل مشروع ، يقوم يلم فلوسه في يومين .. وياريت المـــشروع ده هوه عمله من عرق جبينه ، لأ ده هو مستلف من الحكومة .. والفلـــوس دي هيـــة فلوسنا الضرايب اللي احنا بندفعها .. "

إننا هنا وفق ما سبق أمام تأويل آخر ، يري أن الدولة لم تقف وحسب ضـــد الطبقة التي ينتمي إليها ، إنما تساعد الطبقات الرأسمالية ، التي هي وجهتهـــا جمـــع المال فقط . والواقع أيضاً أن مساعدة الدولة للطبقات الرأسمالية لم تقف عنـــد هـــذا الحد ، إذ خرجت من وظيفتها أيضاً كضابط لكل شئ ، فبدلاً من مراقبة هذه الطبقة في وضع الأسعار وجودة الأسعار ، فإنها أدارت ظهرها لكل ذلك ، حتي تفعل مـــا تريد وفقاً لمصالحها .

وبيد أن الدولة وفق سياساتها وتوجهاتها قد ســـاهمت فـــي تـــدني الأحـــوال المعيشية للطبقة الوسطي علي النحو الذي أوضحنا له قبل قليل، فـــإن (أ.م) [1] قـــد أشار إلي تأثيرات هذه السياسات علي جوانب أخري، وحول ذلك يذكر :

"... الدولة بنت (..) خلت عيشتنا مرة .. مش بس هيه مخليانا نـــدور فـــي ساقية ومفيش فايدة .. دي كما مش مخليانا نعرف راحة .. أنا بأشتغل شغلانة ثانيـــة جنب وظيفي .. يعني أنا بأطلع من شغلي ، يدوب آكلي لقمة وأروح أركب تاكسي ، ألقطلي كام جنيه عشان أقدر أعيش .. مش كده وبس ده أنا مراتـــي كمـــا بتـــشتغل ومش عارفين نعيش .. أنا ساعات مبقدرش أوفر مصاريف .. وطبعاً كل ده بيـــأثر علي كل حاجة في البيت .. الراجل في شغله وهو مربوط فـــي ســـاقية ، والـــست

١- يعمل موظفاً بجامعة عين شمس .

برضه كده .. ومفيش لا ضابط ولا رابط ، وده خلي مشاكل في البيت .. من هنـــا بيجي انحراف الأولاد ..".

إن المدقق فيما به (أ.م) يجد أن التأثير سياسات الدولة لم تقف عند حد تدني الأحوال المعيشية، بل أنها تساهم أيضاً في عدم نجاح عمليات التنـــشئة الاجتماعيـــة نتيجة خروج رب الأسرة والمرأة للعمل لتدبير ما تحتاجه الأسرة. إن عـــدم وجـــود سلطة أبوية موجهة في إطار الأسرة، ساهم في توليد الانحراف بكل أنواعه ليس في إطار الأسرة فقط، وإنما أيضاً في إطار المجتمع برمته. ولكي نقف علـــي طبيعـــة السلوك المنحرف الذي انتشر بشكل واسع في إطار الواقع المعاش، فـــإن (ر.ش) [١] . يري أن تخلي الدولة عن وظائفها ، وعدم بقاء أرباب الأسرة لفترة طويلة ، سمح بوجود أنواع متباينة من الانحراف . ولتوضيح ذلك فهو يري :

"... كل أب وكل أم مكدودين في الشغل بتاعهم .. والراجل والست طـــايحين علي وشوشهم ، رايحين يدوروا علي قرشين عشان يقدروا يعيشوا .. بقي مين اللي هيراقب ... الواد من دول يروح يعمل اللي هو عايزه ، يروح يقعد علـــي القهـــوة يدخن له شيشة واللا يبلبع برشامة .. أو يضرب بانجو واللا يمشي مع بنت ولا يشم له شمة .. يقوم يضيع.. والدولة عارفة إن الحاجات دي كتير وهيه مطنشة مبتعملش حاجة .. "

وإذا كان (ر.ش) قد أوضح السبب والنتيجة للانحراف ، فـــضلاً عـــن عـــده لصور الانحراف ، وخلع المسئولية بصورة مباشرة غلي عدم وجود السلطة الأبوية ، وبصورة غير مباشرة إلي الدولة التي تنكس عن تنفيذ آلياتها ومسؤولياتها في هذا الصدد ، فإن (م.ي) [٢] قد أضاف إلي صور الانحراف السابقة ، نموذجاً آخر، نتج

٢- يعمل موظفاً في إحدي محال بيع الملابس بحي مصر الجديدة ، وهو حاصل علي شهادة جامعية .

١- يعمل أخصائياً اجتماعياً بمدينة السويس .

عن غياب السلطة الوالدية من جهة ، وقلة الدخول والإنفاق علي الأبناء ، ويمكننـــا أن نستدل علي ذلك من خلال ما دفع به إذ يوضح :

"... مش بس الحاجات دي اللي عرفناها في الزمن المنيل ده .. ده كمان فيه عيال صغيرين بيروحوا يسرقوا عشان يصرفوا .. طبعاً دول لو شبعانين ولأبـــوهم مخليهم مش عايزين حاجة ، مكنوش سرقوا طبعاً الراجل مننا أهو بيجري علي أكل عيشه ، واللي جاي علي قد اللي رايح ، ومش باقي له حاجة عـــشان يـــدي أولاده ، فالولاد ميلقوش حاجة قدامهم إلا السرقة ... وعشان الراجل برضه مـــش موجـــود عشان يراقب ولاده .. فبيكتر المصايب.. "

لقد أضاف لنا (م.ي) إضافة جديدة ، تلك التي تخلفها عملية عجـــز الوالـــدين عن تحقيق إشباعات أولادهم . إن عجز الآباء عن الإنفاق علي أولادهم ، فضلاً عن عدم تواجدهم ، جعل الأولاد لا يجدون أمامهم سوي السرقة لتحقيق إشباعاتهم بعيـــداً عن سلطة الأب . إنه في هذا الصدد يمكن القول أن اتباع الدولـــة سياســـات ونهـــج العولمة ، قد أثر سلبياً علي الأسرة برمتها، وهو ما يتمظهر بوضوح فـــي تخليـــق أنواع متعددة من الانحراف . وعلي الرغم من كثرة التأثيرات علـــي بنيـــة الأســـر والمستوي المعيشي لها ، التي دفع بها بعض المبحوثين ، إلا أن آخرين قـــد أدلـــوا بتأثيرات أخري ، تلك التي تتعلق بالتفكك الأسري .

لقد رأي (ي.ع)[١] أنه نتيجة لقلة الدخول ، وعجز أرباب الأسر عن الوفـــاء باحتياجات أسرهم ، فإن ثمة صوراً أو نماذج من التفكك السري ، وهو مـــا يتعلـــق بتزايد معدلات الطلاق.

وهو في ذلك يشير :

٢- يعمل مدرساً للفلسفة والاجتماع بمدرسة السويس الثانوية .

"... اللي يزود الطين بلة في اليومين دول ، إن الراجل لما ما يقدرش يـوفر مصاريف بيته ، بتكتر المشاكل .. الست تتخانق مع جوزها ، ولما تزيـد الأمـور أكثر من حدها بيحصل طلاق ... الست عايزة كن فيكـون ، ومهيـاش عارفـة إن الراجل مننا بيعمل أكثر من جهده، وموش قـادر .. وهيـه دي مقدرتـه .. تقـوم متصبرش ، وتطلب الطلاق .. وطبعاً الطلاق ده مصيبة ، لأنه بيجي علـي دمـاغ الولاد ، اللي بيضيع فيهم ، اللي بيضرب له أي حاجة ، وتحصل المصايب الكبيـرة .... "

وبيد أن ما سبق يمثل تأويل المبحوثين للتأثيرات المختلفة علي الأسـر التـي تقع في مصفوفة الطبقة الوسطي (خاصة الشرائح الوسطي والدنيا منهـا)، إلا أن الواقع يثبت أنها ليست هي جماع التأثيرات. فحيث أن هذه النماذج ، هو ما أطلت به سياسات الليبرالية بها علي الأسر ، فإن هناك صوراً أخري ألمت بالمجتمع ، وهـو ما أوضحه (أ.ي) [1] الذي يري:

"... الضيق اللي احنا فيه ، خلي كل واحد مننا مبيدورش إلا علي مـصلحته وبس .. ممكن الواحد يضحي بزميله أو حتي قريبه .. ده غير الجشع والأنانيـة .. كل واحد عايز ياخد رزق التاني ...ممكن تلاقي زميلك اللي انت معاه فـي مكـان واحد وواكل معاه عيش وملح وعملك مصيبة .. ده غير النصب والاحتيال والرشوة إلي كترت اليومين دول ... الناس اليومين دول فهلوية ، ويحبوا ينطوا علي أكتـاف الغير .. ده غير النفاق برضه .. الناس النهاردة بقم بميت وش ... ".

إن المدقق فيما يطرحه (أ.ي) يجد أنه أضاف مجموعة أخري من الأمـراض الاجتماعية التي تعج في أماكن العمل ، والتي هي انعكاس لما يسود فـي المجتمـع الواقع النعش من قيم . إنه في ظل سياسات الليبرالية المتوحشة ، تكثر قيم الأنانيـة وإيثار النفس علي الآخرين ، والخداع والمراوغة والنفـاق والرشـوة والفهلـوة ،

١ – حاصل علي معهد فني ويعمل بوزارة الكهرباء بمحافظة القاهرة .

ناهيك عن إشباع احتياجات الذات دون مراعاة لوجود الآخر ومصالحه . إن إزاحة الآخر وتفضيل الذات ، ما هو إلا نوع من عدم الانتماء إلي الوسط الذي يعيش فيه الفرد ، إذ تكون المصلحة العليا ، هي مصلحة الذات وحسب ، تلك النزعة التي تنشأ وتترعرع في إطار الأزمات التي يعيشها أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية .

وعلي الرغم من أن (أ.ي) قد أوضح كيف تفضل الذات وتؤثرها علي الآخرين ، وهو ما يباعد بينهما وبين الانتماء للمحيط الذي يعيش فيه ،فإن (م.ر) قد أوضح لنوع آخر من عدم الانتماء ، وهي الذي يتصل بعدم الانتماء للوطن . فحيث أن الفرد المنتمي يغار علي مصلحة وطنه، وهو ما يتجسد في قيم العمل والالتزام ، فإن (م.ر) يكشف لنا عن نموذج من عدم الانتماء للوطن ، وهو ما يتمثل في نكوص الفرد عن أداء عمله الوظيفي من جانب ، واستبقاء وإعلاء مصلحته علي أي مصلحة . ولكي نوضح ذلك ، فإننا سوف نطرح عينة ما دفع به، إذ يقول :

".. أنا واحد من الناس يدوب بأدي الحكومة علي قد فلوسها ، واللي يخلص النهاردة يخلص بكرة واللا بعه .. أنا أخلص شغلة واللا شغلتين ، وأمضي وأفلسع ... أروح أشوف سبوبة تانية أجيب منها قرشين ... هوه الواحد يقدر يعيش باللي بترميه الحكومة ... الواحد لازم يفتح فمه ، واللا الدنيا تخرب وملاقيش حاجة ... ."

إننا حسب القول السابق ، يتكشف لنا إلي أي حد ، أن أعضاء هذه الطبقة في ظل محاصرة سياسة الليبرالية واعتدائها عليهم ، قد راحوا بطريقة ذاتية ومتخارجة مع القيم السائدة ،يمولون معايشهم علي حساب الآخرين ، وحتي علي حساب مصلحة الوطن . فإذا كانت الدولة تتظاهر بدفع المرتبات ، فإن موظفيها من أعضاء هذه الطبقة يتظاهرون أيضاً بأنهم يعملون .

إنه وفق ما تقدم ، فإنه يمكن أن نخرج بمجموعة من النتائج أهمها :

أولاً :إن الدولة في مصر وسياساتها الليبرالية ، قد فصمت انحيازهـا عـن الطبقة الوسطي ، وعوضاً عن ذلك راحت توشج علاقاتها مع الطبقات الرأسـمالية ، وأطلقت لها العنان في التحكم في الواقع القائم ، وهو ما ساهم في تـدني الأحـوال المعيشية لها .

ثانياً : أن الطبقة الوسطي بكل ما تملك من آليات ، تسعي إلـي البقـاء فـي الوجود القاتم وتتحايل عليه ، وبرغم ذلك فهي لا تستطيع تأمين معاشهم ، ومن ثـم إشباع احتياجاتها .

ثالثاً : إن عدم تفرغ أرباب الأسر في هذه الطبقة قد خلـف مجموعـة مـن الإشكاليات الاجتماعية تلك التي تبدأ من انحراف الأبناء ، وتنتهي بالتفكك الأسري .

رابعاً : إن مساهمة الدولة وسياستها في إفقار وتدني الأحوال المعيشية للطبقة الوسطي ، عمل علي خلق قيم سلبية ومجموعة من الأمراض الاجتماعية ، ناهيـك عن تفكيك الانتماء سواء بالنسبة للمحيط الذي تعيش في كنفه هذه الطبقة ، أو حتـي بالنسبة للمجتمع والوطن الذي يضمهم .

٢- سياسات العولمة وتحالفات الدولة والتأثير علي المجتمع :

بداية يمكن القول هنا أن ثمة تضافراً بين سياسات العولمة وخضوع الدولـة لوصفاتها في إنزال الضرر علي الأوضاع الاجتماعية الطبقية ،وإشـباع احتياجـات القطاع العريض من السكان . إن تعانق العامل الخارجي مع العامل الداخلي ، ساهما في التأثر بشكل دامغ – سلبياً- علي مسألة العولمة الاجتماعيـة بـاختلال التـوازن الاجتماعي ،ذلك الذي عززه نكوص الدولة عن تفعيل دورهـا المركـزي ، بفعـل ضغوط المشورات العالمية التي عملت بقوة علي فرض سياسات الخصخصة كاتجـاه وحيد في عمليات التنمية ، وهو ما يجعلنا نري أن الدولة في مـصر ، هـي دولـة متراجعة .

إن تراجع الدولة عن أداء أدوارها التقليدية ، ساهم في إفراز مجموعـة مـن التناقضات الاجتماعية التي تقف عقبة تؤداً أما إشـباع الاحتياجـات . والحقيقـة أن بروز هذه التناقضات علي الساحة المجتمعية ولد وعياً لدي أفراد الطبقة الوسـطي . خاصة وقت أن حاولت الدولة أن ترفدها من الواقع القائم ، وتخرجها خالية الوفاض من أي نصيب . وفي هذا الصدد يثور تساؤل رئيسي مؤداه: ما المشكلات الرئيـسية التي تشغل بال وهو أفراد هذه الطبقة. والتي يشعرون أنها تهـدد وجـودهم، ومـا المحرمات التي يضعها المجتمع للحيلولة دون تجاوز ما هو قائم ؟

ولكي نجيب عن التساؤل المركب الذي دفعنا به تواً ، دعنا نعـرض لطبيعـة المخزون المعرف الذي جاء انعكاساً للواقع القائم . وحـول ذلـك يـري (م.ي) أن الدولة وسياساتها ساهمت في إفراز مجموعة مـن التناقـضات المجتمعيـة ، التـي تجاوزت التأثير علي الأوضاع الطبقية السائدة ، تلـك التـي تتعلـق بالإشـكاليات المجتمعية من جانب ، وبالقيم السائدة من جانب آخر . ولكـي نوضـح ذلـك فـإن صاحبنا يري :

"... الحكومة بتاعتنا معدش يهمها اللي زينا .. هيه رايحة في النـوم ومـش واحدة بالها من أي حاجة .. مش هاممها إلا مصالحها ، وطبعاً هيه مش تعبانه فـي حاجة .. إحنا اللي حالنا متنيل بستين نيلة .. وهي قاعـدة تـزود فـي الأسـعار ، وبتزودش في المرتبات .. وده خلي كل واحد يدبر حاله علي مزاجه .. اللي بيسرق ، واللي بيروح يعمله مصلحة عشان يقدر يعيش . ما هو سياسة الدولة الهباب خلـت ناس كتير مش لاقية شغل ، وده خلي الجرايم تزيد ، وخلي كما النـاس تتطـرف ، وخلي العيال تضرب وتروح تأخد المخدرات والحبوب والبانجو .. عـشان النـاس محتاجة كترت الحاجات دي ، وكترت الرشوة والواسطة ..." .

وإذا كان (م.ي) قد عدد مجموعة من الإشكاليات المجتمعية التي ردها إلـي سياسات الدولة ، فإن ذلك يعبر عن حجم الوعي والمعرفة التي قادته غلي رصدها .

إن سياسات الدولة – وفق ما طرحه – ساهمت في زيادة حدة الأمراض والمشكلات الاجتماعية التي قد تعود إلي الفرد ذاته أو إلي المجتمع لقائم ، تلك التي تنــتج عــن ارتفاع وثائر الإحباطات والقلق في الذات الإنسانية .

وعلي الرغم من الرصد السابق لطبيعة المشكلات الاجتماعية والفردية ، فإن (م.ر) أفاض في كيفية توليد هذه التناقضات الاجتماعية ، إذ يري أن تقاعس الدولــة عن أدوارها ، وترك الأمور برمتها لتصرف القطاع الخاص ساهم في توليد مــشكلة البطالة ، التي تسأل عن زيادة معدلات الانحراف . وهذا هو نص ما ذكره في هــذا الصدد :

"... من يوم ما الدولة معدتش بتوظف حد .. ومن يوم مــا الــشركات بقــت تسرح اللي بيشتغلوا فيها ...والمتعطلين عن الشغل زادوا .. الحكومة بتسرح اللــي عندها ، والشركات التانية مبتغلش حد إلا بالواسطة ، والدنيا زاطت ... الناس تعمل إيه ، اللي راح يسرق وينصب ويدمن .. هوه إيه اللي يخلي أي واحد يروح يعمــل الحاجات دي إلا لو مفيش شغل ..."

وبيد أن المقطع السابق يوضح إلي حد تسأل البطالة عن تفشي صور الفــساد والانحراف ، فإن (أ.م) قد خلع عليها المسئولية أيضاً إلي وجــود صــور التطــرف الديني الذي تمظهر بوضوح وفق أحداثه المتنوعة علي الصعيد المجتمعــي . وقــد إطار ذلك يقول :

"...طبعاً الدولة من يوم ما عدتش بتوظف حد ، البطالة كترت .. وطبعاً كتر الصيد في الميه العكرة .. الجماعات الدينية لقت الولاد دول صيد سهل .. همه مــش لاقيين شغل ،فعملت لهم غسيل دماغ ، وبقت تجندهم .. الناس دول مش لاقيين شغل ، ولقوا اللي هيصرف عليهم وكمان هيلاقوا الجنة في الآخرة ، مينضموش لهم ليــه .."

إن المتأمل فيما سبق ، يجد أمام تأويل خاص للأسباب الموضوعية التي تدفع بالشباب للدخول في إطار الجماعات الدينية المتطرفة ، تلك التي وجـدت أرضـية ومناخاً مناسباً لزيادة أعضاء جماعتها من جانب ، وتنفيذ ايديولوجيتها مـن جانـب آخر . وحيث أن (أ.م) قد دفع بالأسباب الموضوعية التي تقـف وراء ذلـك ، فـإن (أ.ي) قد أضاف أسباباً أخري تتعلق بالمنـاخ الثقـافي السـائد ، والـذي تحـاول الإعلاميات أن تفرضه بعيداً عن ثقافتنا الأصيلة وحول ذلك يذهب :

".. مش بس البطالة هية اللي خلت كثير من الشباب يروح ينضم للجماعـات المتطرفة .. لا ده الفراغ الديني برضه سبب في كده .. التليفزيـون والـدش وكـل حاجة في البلد دلوقتي بتجيب حاجات إباحية .. والحاجات دي إحنا ماكناش متعودين عليها .. همه لقوا أن الدولة معدتش بتحافظ علي الدين ، فقالوا عنها أنها كـافرة .. وملقوش قدامهم إلا أن يدخلوا في الجماعات دي .."

وحيث أن الدولة – من وجهة المبحوثين – وسياستها قـد سـاهمت بـصورة مباشرة أو غير مباشرة ، في تخليق أنـواع متعـددة مـن الانحـراف والأمـراض المجتمعية ، فأن هناك من ذهب في اتجاه آخر ، إذ رأي أنه باسـم الدولـة أو عـن طريقها يتم الخروج عما هو مشروع ، وما هو بات غيـر محرمـاً فـي القـاموس الاجتماعي للمجتمع المصري . لتبيان ذلك يري (ر.ش) ما يلي :

"... دلوقتي أنت متعرفش تعمل أي حاجة في دايرة حكومية إلا لما تـدفع ... وبقي عيني عينك .. ده أنت ممكن تطلع شهادة وفاة لواحد وهو حي ، بـس تـدفع الفيزيتة .. بقت كل حاجة متعسرة حسب أهميتها.. عايز تطلع رخصة تدفع .. عايز تعمل بطاقة تدفع .. لو مدفعتش مفيش حاجة تخلص .. دا أنـت لـو عـايز تاكـل سندوتش فول ، لو مدفعتش ميطلعش كويس .."

وبالإضافة إلي ما سبق ، فإذا كانت البرطلة أو الرشوة باتت جزءاً أساسياً في قاموس الشارع المصري ، إذ من خلالها يتم إنهاء المصالح الشخصية ، فإنها أيـضاً يمكن عن طريقها تجاوز أو خرق القوانين السائدة في المجتمع . إن غياب القـوانين بفعل الرشوة ، منح الحقوق لغير أصحابها ، وهو ما يعني أن من يمتنع عن الدفع لا يأخذ حتي حقوقه التي شرعها القانون . ولإيضاح ما سبق فإن (ن.م) يقول :

".. شوف أنت لو دفعت كل حاجة تخلص ، حتي لو كانت ضد القانون ، تأبج مصالحك تمشي ، ولو ما فتحتش مخك ، حتي لو كان لك حق متقـدرش تاخـده .. تبسط اللي قدامك ، هو يبسطك ويروحك مرتاح ، معملتش كده تعكنن وحقك يـروح .."..

وبيد أن قوة المال ، وعجز الذات عن إشباع احتياجاتها ، يلعبان دوراً أساسياً في تسيير الأمور ، ومن ثم تخطي القانون أو اختراقه ، فإنهما أيـضاً سـاهماً فـي سيادة ما يسمي بتدبير المصالح علي حساب الآخرين . ولما كان ذلك كـذلك ، فـإن سياسات الدولة ونكوصها عن أداء أدوراها ساهم في شـيوع مـا يـسمي بالـسوق السوداء ، التي تكدسها الدولة بصورة خفية وغير ظاهرة . إنه باسم الدولة ، وباسـم قوتها ، فقد شاعت هذه الظاهرة ، تلك التي تـؤثر بـصورة مباشـرة علـي تلبيـة احتياجات الأفراد . ولتبيان هذه الظاهرة ، فإن (أ.م) حاول أن يقدم طبيعتهـا علـي النحو التالي :

".. الحكومة نايمة بالجامد .. ومخلية شوية بيلعبوا في كل حاجـة .. الواحـد من دول طالما يعرف له قريب في أي حته ، هو يخلص له كل حاجة ..وعن طريقه هو بيلعب في السوق .. ويحط السعر اللي هو عايزه .. وحتي لو اتمسك بالصدفة ، اللي بيعرفه هو اللي بيخلص كل حاجة .. اللي له ظهر ما ينضربش علي بطنـه .. ويا سيدي شيلني وأشيلك .."

وحيث أن ما سبق يشير بأصابع الاتهام إلي الدولة ، إذ باسمها يـتم تـسويغ الفساد ، فإنه باسم قوتها أيضاً يتم حجب التعبير عن ذلك إلا بصورة داخلية ، أو في إطار الحجرات المغلقة . إن سياسة التكميم للأفواه ، وما يتبعها من بطـش ، يجعـل كثير من أفراد المجتمع لا يعبرون عن ما يختلج دواخلهم إلا في ظهـر الـسلطة ، وهذا ما سوف نستدل عليه فيما أورده (ش.ع) إذ يطرح ما يلي :

"... أهو إحنا قاعدين نفضفض ، ومحدش قادر يعمل حاجة .. محدش مننـا يطلع بره ويقول الكلام ده .. الواحد يروح ورا الشمس، وما حدش يعرف له جـرة .. إحنا بقينا نعاج ، محدش قادر يعمل حاجة، لأن قصادها رقبته .. الدولـة إيـديها طايلة ومحدش قدها .. أهو الفساد في كل حته ، واللي بيقدر مـنهم يعمـل حاجـة بيعملها ومحدش بيقدر يقولهم حاجة ... همه عايزينا نعيش واحنا متغميين ، ومحدش يتكلم ...".

إن المدقق في كلما سلف ، يجد أن الخوف من بطش السلطة ، جعـل أفـراد هذه الطبقة برغم وعيهم الذاتي بما يحدث علي المسرح الاجتماعي يتصفون بالسلبية Possivity ، إذ تخلوا عن قدراتهم ونافقوا السلطة القائمة من أجل البقـاء وعـدم الضياع ، برغم ضياعهم في الأصل، انتظاراً لوصول المخلص الذي قد يـأتي مـن السماء ، أن من بين صفوف أخري غير صفوفهم . إن التلذذ بما هو قائم من ألـم ، جعل القطاع العريض من المجتمع المصري يصدرون مخاوفهم إلي داخلهم . لا إلي المسبب الحقيقي ، وهو ما فرض عليهم الوجود علي هامش المجتمع .

إن عدم التمييز بين قدرات الذات ، ودورها في تفعيل العدالـة الاجتماعيـة ، يجعل من هؤلاء فاعلين غير حقيقيين ، ناهيك عن فقدانهم التفرقة بين أوليات الحيـاة ، والحياة الكريمة . إن تفعيل القهر والسلطة بـصورة اجتماعيـة ، يجعـل الـذات الإنسانية في حالة غياب حقيقي يغلفه نوعاً من القلق . إن القلق الذي نحيا بين جنباته نتيجة سياسات الليبرالية المتوحشة ، أن ما يسمي بالشكل الحديث للطاعون الأبـيض

White Plague ، جعل الطبقة الوسطي ومعها الطبقات الدنيا أشبه بالنعامة التي تدس رأسها في الرمال ، فبدلاً من التصدي لتغيير الواقع المــأزوم ، فإنهــا تهــادن الدولة وتكيف وتتواطأ مع أوضاعها .

إنه حيال كل ما تقدم ، فإننا يمكن أن نخرج بمجموعة الملاحظات التالية :

أولاً : أن الدولة وفق ممارساتها وأيديولوجيتها ساهمت في إفــراز مجموعــة من المشكلات المجتمعية مثل البطالة والجريمة والتطرف والإدمان .

ثانياً :إنه باسم الدولة يتم خرق القانون ، فضلاً عن سيادة أنواع مختلفة مــن الأمراض الاجتماعية مثلا الرشوة والوساطة والمحسوبية والسوق السوداء .

ثالثاً : إن الدولة حسب سيادتها وآلياتها ، فهي تحــول دون تــأجيج الــوعي الاجتماعي الحقيقي ، إذ من خلال سياسات البطش وتكميم الأفواه فهي تمنع الاتصال بين الفاعلين الاجتماعيين ، والذي من شأنه أن يفعل يومياً الإتيان بالنظام المحجوز.

رابعاً : انه علي الرغم مما تتسم به الطبقة الوسطي من وعي اجتماعي بأزمة المجتمع ، فإنها لا تحرك ساكناً وتنتظر وجود مخلص قد يأتي بصورة غير مرئية ، أو حتي بصورة ملموسة ، ولكنه من بين قوة أخري فاعلة في المجتمع .

٣- رؤي الطبقة الوسطي والتحيزات الثقافية

يشير مفهوم رؤي العالم View of World أو النظرة إلــي العــالم إلــي مجموعة الإدراكات التي تكونها الذات عن الواقع المعاش ، أو قــل أنهــا صــورة المجتمع في أي عقل في إطار زمان ومكان معين . وبيد أن هذا المفهوم يحدد ما هو معاش من خلال صورة فكرية وتفسيرية محددة ، فهو يشير أيضاً إلــي نــوع مــن

التحيز الثقافي الذي يتحدد بطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة ونمط الحيـاة Way of Life التي تفرز تفضيلات وإدراكات معينة [١] .

إن ثمة علاقة وشيجة بين نمط الحياة والتحيزات الثقافيـة ورؤيـة العـالم ، يمكنك من خلالها فهم التصورات المتباينة التي أفرزها وعي الذات حول ما يكتنـف الواقع القائم من مشكلات أو تناقضات حياتية . وإذا كنا هنا في هذا الجـزء ننطلـق من المفاهيم السابقة ، فإننا نبغي رصد تصورات الطبقة الوسطي حول تأثير سياسات العولمة علي الأوضاع الطبقية برمتها ، ناهيك عن موقفها منهـا ، وكيـف الـسبيل للتخلص من المأزق الحياتي الذي خلفته . وبيد أننا موضع سابق قد وضـعنا أيـدينا علي الآليات والطرائق التي الحقت الضرر بواقع الطبقة الوسطي ، فإننا سوف نقدم تصورات هذه الطبقة لأوضاع الآخرين ، وهو ما سيكـشف عـن طبيعـة الـوعي والإدراك من جانب ، والتحيزات الثقافية والأيديولوجية من جانب آخر .

إنه في إطار الهدف السابق ، فإن أصحاب الشرائح الدنيا والمتوسـطة مـن الطبقة الوسطي ، قد أظهروا وعياً بمدي تأثير سياسات العولمة علي مجمـل البنـاء الطبقي في المجتمع المصري . ففي هذا السياق يري (أ.س) أن سياسات العولمـة ، خضوع الدولة لها ، لم تصب وحسب الطبقة التي يدخل في أضمومتها ، بل أصابت كلاً من الطبقة العليا والطبقة الدنيا . ففي الوقت الذي أصابت الطبقة العليا بالانتفـاح ، في الوقت عينه الذي الحقت ضرراً فادحاً بأوضاع الفقراء . وإليكم نص ما جـاء في هذا الصدد :

"... الحكومة بتاعتنا باعت القضية .. مش بس في الناس الموظفين اللي علي قدهم زيي .. لا ده كما همه معادوش بيدوروا علي الفقراء .. يمكن أنا أهـو أقـدر

١- للمزيد حول مفهوم رؤي العالم والتحيزات الثقافية راجع :

* ميتشيل تومبسون وآخرون ، نظرية الثقافة ، عالم المعرفة ، العدد ٢٢٣ ، الكويت ، يوليو ١٩٩٧م ، ص ص ٣١- ٣٥.

* أحمد أبو زيد ، رؤي العالم : دليل العمل الميداني ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص ٦ .

البس طاقية ده لطاقية ده وأمشي الحال .. لكن الفقير ده يعمل إيه .. اللـــي ملـــوش حيلة ، والدنيا مسددة في وشه . أهو احنا وهمه الحال من بعضه .. وفي ناس تانيـــة علي خلافنا مبسوطين ومرتاحين ن ومش هاممهم لا غلا ولا دياولوا .. كل حاجتهم يقدروا يجيبوها .. كل حاجة في البلد دي بقت للي معاه فلوس ...".

وعلي الرغم من أن (أ.س) قد اشار إلي تأثير سياسات العولمة علـــي مجمـــل البنية الطبقية برمتها ، إلا أن (ر.س) في إطار الرصد لاســـابق ، يقـــدم تـــصنيف للواقع الطبقي الذي يشهده الآن المجتمع المصري. إن المتأمل فيما يقدمـــه صـــاحبنا يجد أن الطبقة الوسطي قد غابت عن رصده ، حيث لم يعد هناك سوي الطبقة العليا (الرأسمالية) والطبقة الدنيا (الفقراء) وفيما يلي نص ما طرحه :

"... هو كلام (أ.س) كلام صحيح .. ايده الحكومة بقت مع الناس اللي فوق ، وضد اللي زينا والفقراء كمان .. وده خلي اللي زينا برضه فقراء .. يعني في البلـــد مفيش غلا أغنياء وفقرا.. كان ممكن زمان نري ما بنسمع أن فيه تلت فـــرق اللـــي فوق واللي تحت واللي في النص .. معدش في حاجة اسمها الـــنص .. احنـــا نـــري الفقير فطحانين الكوتة.."

إن ما تقدمه (ر.ش) في المقطع السابق ، ينبئ عن إدراك كامل ، بما أحدثتـــه سياسات العولمة من أفول لوجود الطبقة الوسطي ، وهو ما يتفق مـــع مـــا تطرحـــه أدبيات السوسيولوجيا في هذا الشأن . ولكن بقدر هذا الإدراك والتصور ، إلا أن هذه الطبقة مازالت تحتمل وعياً غير ناضجاً، إذ لا تقدم أي بديل لتجاوز هذه الأوضاع . لقد رأي (أ.م) إن الطبقة الوسطي والفقراء لا يستطيعون أن يحركوا ساكناً ، خاصـــة إذا ما وضعنا في الاعتبار قوة الدولة من جهة ، ورغبة القادة السياسية في استمرار هذه اللعبة ، وهو في ذلك يذكر :

"... محدش مننا يقدر يعمل حاجة .. لا احنا ولا أي حد .. احنـــا مـــش قـــد الدولة ... الدولة عاجبها الموضوع ده .. وحتي همه ميقدروش يلعبـــوا ..لأن كـــل واحد خايف علي الكرسي اللي قاعد عليه .. همه بيخافوا من أمريكا ..".

إنه حسب ما تقدم ، فإننا بصدد تناقض واضح في مسألة الوعي. ففي الوقت الذي ينضج الوعي في موضوع بعينه ، فإنه يكون ناقصاً في آخر . إن نفـــي قـــدرة الفاعل الاجتماعي لتحريك كل ما حوله ، وتجاوز الأوضاع القائمة ، يجعل الـــوعي بالمصالح الاجتماعية كأنه لم يكن ، وهو ما يدخل هؤلاء فـــي إطـــار مـــا يـــسمي بالاستلام أو القدرية .

وبيد أننا قد وصفنا هذه الطبقة بالاستلام والقدرية ، فإن هذا الوصـــف يبتعـــد عنها ، خاصة إذا ما وقفنا علي موقفها من ثقافة العولمة . لقد أبدي أعـــضاء هـــذه الطبقة موقفاً رافضاً من هذه الثقافة ، فضلاً عن وصفها بثقافة غازية ، تسعي إلـــي فرض قيمها ومنظومة معرفتها لإلحاق الآخرين بها ، دون اعتبار لمـــسألة الهويـــة الثقافية وحول ذلك يري (ع.م) مايلي :

"... يا عم الغرب وأمريكا عايزين إننا نتبعهم .. مش بس إننا نطبق سياستهم ، ده كمان عايزين يخلونا نلبس زيهم وناكل زيهم ، ونعيش زيهم .. أهـــم قاعـــدين يبعتوا لينا أفلام ... وعمالين يجيبوا مطاعم السيد همبرجر وايشي كنتاكي ، وايـــشي بيتزا .. وتشوف الشباب رايحين جايين عليها ... بس دول مش مننـــا .. دول مـــن الناس الهاي .. اللي تلاقي لبسهم زيهم وحتي همه بيحلقوا زيهم .. ومرة يكلم كلمـــة عربي ، ومرة يرطن الإنجليزي ... وهيصة .. " .

إن النقد الذي وجهه (ع.م) حول أهداف وطبيعة ثقافة العرب، محاولة تجنيس الثقافة العالمية بثقافة واحدة ووحيدة ، جعل (م.ر) يري أن هذه الثقافة هي نوع مـــن

إزالة القيم الدينية السائدة ، أو قل أنها تهدف إلي تغييب الدين ، الذي هو في نهاية الأمر الحصن الواقي للحفاظ علي الهوية الثقافية والدينية . وفي ذلك يذهب :

".. الكلام اللي قاله أخونا ، مش بس همه عايزين يركعونا ليهم ، دول كما عايزين يمحو الدين بتاعنا .. همه عايزينا ننسي الدين ، اللي يميزنا عنهم .. همه عندهم الدعارة والجنس حاجة عادية ... واحنا مش كده .. همه عازينا ندوب فيهم وده مش هيحصل ... لأن طول ما الدين موجود ، احنا بنبض علي أنهم كفار ... "

وإذا كان المخزون المعرفي قد عبر بطريقة عقيدية عن حجم التباين بين الثقافة الغربية وثقافة المجتمع المصري ، وآليات الثقافة الأولي لمسخ هوية الثقافة الأخري ، فإنه أيضاً قد راوا في هذه الثقافة مصدراً للشرور والآثام وانتشار الجرائم والأمراض الاجتماعية . وعن ذلك يري (م.ي) :

".. من يوم ما عرفنا أمريكا ، والحال اتلخبط .. عرفنا البانجو وعرفنا أبو صليبه وعرفنا كل أنواع المخدرات .. ده كمان دلوقتي تلاقي العيال بتطفش من البيوت ، ومبيسمعوش كلام أهليهم.. والست بتخون جوزها .. تروح القهوة تلاقي الواد قاعد مع البت ، تلاقي البت ماسكة الشيشة والحكاية خلطبيطة ...".

إذا كنا فيما تقدم قد عرجنا من خلال رؤي بعض أعضاء هذه الطبقة علي التأثيرات التي فعلتها سياسات العولمة سواء علي صعيد الطبقات الاجتماعية في المجتمع المصري برمته ،وأيضاً علي موقفها أو تحيزاتها الثقافية من هذه السياسات ، فإننا يمكن الدفع بأن تناقضات الواقع المعاش ، هو الذي عكس مثل هذه الرؤي والإدراكات وحتي تصرفاتهم تجاهها . فعلي الرغم من تعاظم هذه الإدراكات ، إلا أن ممارسات هذه الطبقة لا تتعدي عملية التبصر فقط ، وهو ما يجعلنا نشيج عن هذه الطبقة قدرتها كفاعل اجتماعي يستطيع أن يغير ويبدل من واقعه. إنه علي هدي ما سبق يمكننا أن ندفع بمجموعة الملاحظات التالية:

أولاً : أن رؤي الطبقة الوسطي وتحيزاها الثقافية تعبر عن استبصار وإدراك واضح لحجم التغيرات التي ساهمت في إحداثها سياسات العولمة علـي الـصعيدين الطبقي الثقافي .

ثانياً : أن الوعي الاجتماعي الذي شكلته تناقضات الواقع القائم ، لا يعبر عن المصالح الطبقية الحقيقية ، حيث يحصر نفسه في الكلام دون الممارسة .

ثالثاً : أن الأطروحات التي عكستها رؤي أعضاء هذه الطبقة ، تعبر بـشكل لا مراء فيه عن نزعة استسلامية وقدرية واضحة ، وهو ما يتجلي في سكون هـذه الطبقة وانتظارها لآخرين مخلصين لهم وللمجتمع من قدر الارتباط بسياسات العولمة .

خـــاتمـــة

مما لاشك فيه إنه بفعل تأثير سياسات العولمة ، فقد تغير نمط الإنتاج الـسائد في المجتمع المصري ، وهو ما انعكس علي إعادة تشكيل الخريطة الطبقية ، وفـي مستويات الدخول النقدية ، وعلي مستوي معيشة الأفراد . أنه بشكل عـام ، يمكنـه القول أن البنية الطبقية قد تبدل حالها وشكلها . فإذا كانت الإجراءات الاشتراكية قـد احدثت تحولات هامة في البناء الطبقي ، كانت في صالح القطـاع العـريض مـن السكان بفعل سياساتها الشعبوية ، فإنه بفعل أيديولوجيا الليبرالية الحديثة،فقـد أعيـد تشكيل الخريطة الطبقية من جديد ، إذ أضيرت الطبقات الاجتماعية التي انتفعت في ظل الدولة القائدة ، وانتفعت الطبقات المضارة إبان سيادة نمط إنتاج الدولة .

فالتحولات التي شهدتها البنية الاجتماعية في أوقات تاريخية محددة ، خاصـة في عقدي الخمسينات والستينات ، تباين عما حدث في السبعينيات وحتي الآن . إنـه نتيجة للتوجهات الرأسمالية ، وهو ما يمثل قطيعة إيديولوجية مع ما كان سائداً مـن قبل ، وانتصار السياسات الليبرالية ونهجها التنموي ، لم تعد الطبقات العريضة مـن

السكان (الوسطي والدنيا) تحظي بأية حماية ، إذ كانت الدولة وكل أجهزتها تسخر إمكانياتها لأغراض النمو الرأسمالي ، ذلك الذي سمح بفتح الأبواب علي مصراعيها وتسليع كل شئ.

إن ما شهده المجتمع المصري بدءاً من عقدي الخمسينات والتينات من إجراءات سياسية واقتصادية وحتي اجتماعية ، قد تغيرت منذ بداية النصف الثاني من عقد السبعينات ، حيث أعيد توزيع الدخول لصالح حفنة من الأثرياء، الذين تحالفوا مع مصالح الرأسمالية الدولية بشكل طفيلي وكمبرادوري . وفي سياق هذه الإجراءات فقد أضيرت مصالح الطبقة الوسطي التي خرجت خالية الوفاض من توزيع النصاب ، وأخذت تناضل من أجل البقاء ، وهذا ما ندلل عليه بإن ٣٠% من حجم الطبقة الوسطي لم تحصل إلا علي ٣٢% من إجمالي الدخل القومي،

بينما حصل ١٠% من السكان علي ٣٨% ، في حين كان للنسبة الباقية نحو ٣٠% من مجموع الدخل[١] .

إن المتفحص بدقة لتوزيع الدخول علي النحو المشار إليه قبل قليل ، يجد أن سياسات العولمة قد حاصرت الطبقة الوسطي ، بهدف الحيلولة دون إشباعها لاحتياجاتها ، وهو ما يعبر بصدق عن سياسات الليبرالية المستبدة أو المتوحشة ، التي جذبت هذه الطبقة إلي أدني درجات السلم الاجتماعي ، ومن ثم جردتها من المكاسب الاجتماعية التي كانت قد حصلت عليها من قبل . إنه وفق منطق العولمة ،

---

١ - يمكن الرجوع إلي هذه التحديدات في :

* إبراهيم العيسوي ، التوزيع والنمو والتنمية ، المؤتمر الرابع للاقتصاديين ، الجمعية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع ، القاهرة ، ١٩٨١.

* محمود عبد الفضيل ، الاقتصاد المصري من التخطيط المركزي علي الانفتاح الاقتصادي ، معهد الإنماء العربي ، الطبعة الأولي ، بيروت ١٩٨٠.

يكون قد أفل زمن الحراك الاجتماعي الصاعد وعوضاً عنه تـم اسـتدعاء الحـراك الهابط، الذي عن طريقه تم تسكين هذه الطبقة جنباً إلي جنب مع الطبقة الدنيا .

ويجدر بنا أن نشير في هذا المقام ، أنه في الوقت الذي فيه انسحاق الطبقـة الوسطي وتدني مستوياتها المعيشية، في الوقت عينه خرجت فئات أخري من داخلها عن هذه الوضعية وهو ما ينطبق علي الشرائح العليا فيها . أي أن وضعية الطبقـة الوسطي لم تكن علي وتيرة واحدة ، حيث نجد استقطاباً واضحاً في جـزء منهـا ، وفي جزء آخر يجبر عن التخلي عن مواقعه الطبقية لودع مكانه ، ليـصبح البنـاء الطبقي برمته قسمان لا ثالث له ، قسم أعلي يتمتع ويريع ، آخـر يعـيش عـذابات الحاضر .

إنه حسب ما تقدم ، فإن الشرائح الوسطي والدنيا من الطبقة البينية (الوسطي) ، تكون ضحية لسياسات العولمة ، التـي كمـا عملـت علـي تجنـيس الـسياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية علي صعيد الكون ، فإنها تعمل علي وجود عولمـة طبقية . إنها إعادة تشكيل البناء الطبقي علي نحو عالمي بما يتوافق والأسس النظرية والعملية للأيديولوجيا الرأسمالية . فالعولمة كنسق فكري لـم يـؤثر وحـسب علـي الكيانات الوطنية ، وإنما أطل بتأثيره أيضاً علي الأشخاص ، وهو مـا يعنـي انـه يسعي إلي تحقيق فكرة محورية لغرض الهيمنة علي الأفراد والحكومات في آن .

وعلي الرغم من وعي الطبقة الوسطي بكل ما حوت ، وسبق أن طرحناه قبل قليل ، إلا أنها نزعت عن ذاتها القدرة علي الفعل . فبدلاً من كـون الـذات فاعـل حقيقي في إطار هذه الطبقة، فإنها حولته إلي عينة، لايستطيع إلا إغمـاض عينيـه وإدارة ظهره لكل ما يحدث . فبدلاً من التصدي للتناقضات التـي ولـدتها سياسـات الليبرالية ، فإنها راحت تهادنها وتهادن من يطبقها ، وتتكيف معهمـا وتتواطـأ مـع أوضاعها . إنه عوضاً أن يكون الصراع اجتماعياً ، فإنه بات صراعاً فردياً ، ولكن من أجل إشباع الاحتياجات والتحايل علي المعايش ، وهو ما يدعونا إلـي القـول أن

الطبقة الوسطي أضحت عدوة نفسها ، لم تجد سوي الزلة والانسحاب طريقاً لتـــأمين ذلتها من قهر السلطة .

إن الخوف من قهر السلطة، جعل الطبقة الوسطي تعيش حالـــة مـــن العزلـــة وعدم المخالطة وعدم الأمان. إن التلذذ بألم وعذابات الحاضر، والإذعان لها ، جعـــل هذه الطبقة تصدر خوفها إما إلي الآخرين أو ذواتهم، قد تركوا الفاعل الرئيس الـــذي دمرها ووضعها علي هامش تفكيره وسياساته . إنه بدلاً من تحريك الواقـــع وقلبـــه رأساً علي عقب للإتيان بالنظام المحجوز، راحت تتكيف معه، وتنافقه خوفاً من قهره وتسلطه.

المراجـــــع

أولاً: باللغة العربية

١) إبراهيم العيسوي ، التوزيع والنمـــو والتنميـــة ، المـــؤتمر الرابـــع للاقتصاديين ، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع ، القاهرة ، ١٩٨١ .

٢) أنتوني جيدنز ، العولمة ، في : الطرق الثالث : تجديد الديمقراطيـــة الاجتماعية ، ترجمة أحمد زايد ومحمد محي الدين ، المجلـــس الأعلـــى للثقافـــة ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

٣) أوليدوف ، الوعي الاجتماعي ، ترجمة ميشيل كيلو ، دار ابن خلدون ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٢م.

٤) أحمد أبو زيد ، رؤي العالم : دليل العمل الميداني ، المركز القـــومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

٥) باهر شوقي وسامر سليمان ، تشريح اقتصادي واجتمـــاعي للطبقـــة الوسطي ، أحوال مصرية (مجلة) مركز الدراسات الـــسياسية والإســـتراتيجية ، العدد الأول ، الأهرام ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

٦) برتران بادي ، الدولة المستوردة في تغريب النظام الـــسياسي ، دار العالم الثالث ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٩٦م.

٧) البنك الدولي للتعمير ، مؤشرات التنمية في العالم : ١٩٩٩م.

٨) بيتر مارتين وهارالد شـــومان ، فـــخ العولمـــة : الاعتـــداء علـــي الديمقراطية والرفاهية ، ترجمة عدنان عباس علي ، عالم المعرفة ، العـــدد ٢٣٨، الكويت ، أكتوبر ١٩٩٨م.

٩) جرامشي ، قضايا المادية التاريخية ، ترجمة فـــؤاد طرابلـــسي ، دار الطليعة ، الطبعة الأولي ، بيروت ،١٩٧١م.

١٠) رمزي زكي ، الليبرالية المستبدة : دراسة فـــي الآثـــار الاجتماعيـــة والسياسية لبرامج التكيف في الدول النامية ، ســـينا للنـــشر ، الطبعـــة الأولـــي ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

١١) رمزي زكي ، الصراع الفكري والاجتماعي حـول عجـز الموازنـة العامة في العالم الثالث ، سينا للنشر ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٩٢م.

١٢) سعد الدين إبراهيم، أزمة مجتمع أم أزمة طبقة ؟ : دراسة في أزمـة الطبقة المتوسطة الجديدة ، المنار (مجلة) ، العدد ٦،يونيو ١٩٨٥م.

١٣) سمير أمين ، إمبراطورية الفوضي ، ترجمة سناء أبـو شـقرا ، دار الفارابي ، الطبعة الأولي ، بيروت ، الأولي ، القاهرة ، ١٩٩٥م.

١٤) شحاته صيام ، الدين الشعبي في مـصر : نقـد العقـل المتحايـل ، رامتان للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولي ، القاهرة ١٩٩٥م.

١٥) عادل الجيار ، أساسيات توزيع الدخل في مصر، مركـز الدراسـات السياسية والإستراتيجية ، العدد ٥٥، الأهرام ، القاهرة،١٩٨٣م.

١٦) عادل عازر وآخرون ، الضمان الاجتماعي في مصر : تجربـة فـي مواجهة مشكلة الفقر، المركز القومي للبحوث الاجتماعيـة والجنائيـة ، القـاهرة ، ١٩٨١م.

١٧) فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ وخاتم البـشر، ترجمـة حـسين أحمد أمين ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولي ، الأهرام ، القـاهرة ، ١٩٩٣م.

١٨) كيمون فالاسكاكيس ، " العولمة كمسرحية " ، في : العولمة ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد ١٦٠، اليونسكو، يوليو ١٩٩٩م.

١٩) محمد الجوهري وسـعاد عثمـان ، دراسـات فـي الأنثروبولوجيـا الحضرية ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الأولي، الإسكندرية ، ١٩٩٢م.

٢٠) محمد علي الحوات ، العرب والعولمة : شجون الحاضـر وغمـوض المستقبل ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولي ، القاهرة ٢٠٠م.

٢١) محمود عبد الفضيل ، الاقتصاد المصري من التخطيط المركزي علـي الانفتاح الاقتصادي ، معهد الإنماء العربي ، الطبعة الأولي ، بيروت ١٩٨٠م.

٢٢) ميتشيل تومبسون وآخرون ، نظرية الثقافة ، عالم المعرفة ، العـدد ٢٢٣، الكويت ، يوليو ١٩٩٧.

٢٣) ميلاد حنا ، أريد سكناً ، مشكلة لها حل ، مكتبـــة روزا اليوســـف ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

24) Goldblatt D., Held D., Golobal transformation : Concepts, Arguments and Evedence , Polity Press, Cambridge , 1999.

25) Hirst P. Q., Thompson G.F., Goloblization in question : The entnrnational economy and possibilities for governance , polity press, Cambridge, 1997.

26) Tonje J. B. , Effect of globalism on endividual nations,
http ://carin .english . Mwsc. Edu/eng108 sum 00/essays/jean.htm

27) Townsend P., Measure and explanation of poverty in high and income countries, in: peter Townsend (ed.), The Concept of poverty, Heinemann , London, 1970.

الفصل السادس

قاع المدينة

طبيعة الحياة اليومية في الحضر

تمهـــيد:

يعتبر مصطلح قاع المدينة [1] من المصطلحات التي تضم حكماً قيمياً وأخلاقياً في الوقت أنه . وإذا كان هذا المفهوم وفقاً للرواية التي حملت هذا الاسم ، تعني أنها تشير إلي الشرائح الاجتماعية التي تمارس حياتها دون الالتزام واضح لمنظومة القيم السائدة ، فإننا هنا لا نقصد به الحكم الأخلاقي والقيمي ، بقدر ما نقصد به بعده الجغرافي أو المكاني ، أو الاجتماعي ، فحيث يوجد أي بناء ، فهناك ما هو علوي ، وما هو سفلي .

إننا نقصد بهذا المفهوم ذلك المكان الطرفي من المدينة الذي يضم بين جنباته الشرائح الاجتماعية المتباينة ، ويكون له شخصية المتميزة، سواء فـــي علاقتـــه أو نمطه المعرفي أو القيمي ، أو حتي لغته وسلوكياته . إنه ذلك العالم المنكفـــئ علـــي ذاته ، الذي يضم خليطاً من الشرائح الاجتماعية المتفصلة مع ذاتها ، أو قل أنه الذي يخترق الآن معظم الشرائح . نتيجة الأوضاع الرثة للتطور، ولمسائل التحضر الرث الذي يعتبر من الصفات الفارقة لمعظم بلدان العالم الثالث.

وإذا كان هذا الفصل قد حمل عنوان قاع المدينة ، فإنه بالأساس يسعي إلـــي وصف طبيعة منطقة البحث ، لكي يقدم تحليلاً وتفسيراً وتأويلاً للبيانـــات ، بقـــصد الكشف عما يعتري هذا المجتمع من مشكلات مادية وثقافيـــة . بمعنـــي آخـــر ، أن الفصل يسعي إلي الوقوف علي الطبيعة الايكولوجية والمورفولوجية لمجتمـــع نـــشأ علي أطراف الحضر ، وأخذ رداءاً عشوائياً في التكوين والطبيعة إلي الحـــد الـــذي يمكن وصفه بأنه مجتمع شاذ حضرياً يتسم باللاتجانس سواء من ناحية البيئة أو مـــن ناحية الديموجرافيا أو حتي من ناحية التركيب الاجتماعية والوعي الاجتماعي .

---

١ – استعرنا هذا العنوان ليناسب موضوع دراستنا أنظر :

- سهير سلطي التل ، قاع المدينة ، جدل " مجلة " ، العدد الرابع ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ - ٢١٥.

أولاً : شخصية مجتمع الدراسة :

أ – الحالة الاجتماعية:

أقيمت هذه الدراسة علي عينه عشوائية مكونة من نحـــو ٥ % مـــن العـــدد الإجمالي لسكان منطقة الشيخة شفا بمدنية الفيوم الذي يبلغ تعداد ســـكانها نحـــو ١٢ ألف نسمه ، ولما كانت الدراسة الراهنة تركز علي أرباب الأسر في هذه المنطقـــة ، فإنه وفقا للنوع نجد أن نسبة الذكور في عينة الدراسة بلغت ٩٠,٩% ، بينما بلغـــت نسبة الإناث نحو ٥٩,١%، وهذا يعني أن نسبة كبير مـــن عينـــه البحـــث تخـــضع لسيطرة الأب أو للسيطرة البطريركية، وبحكم فقدان هذا الأب، فقد جـــاءت الـــسلطة المطريركية ممثلة لنسبة قليلة جدا (أنظر الجدول رقم ١)

جدول رقم (١) يوضح نوع عينة البحث

النوع	العدد	%
ذكر	٥١٢	٩٠,٩
أنثي	٥٦	٩٠٩

وبالنظر إلي عمر هذه العينة نجد أن سن الشباب يشكل جزءا متعاظما فيها ، وذلك باعتبار أن سن الشباب (القوي العاملة) وفقاً للتقسيم الديمرجرافي يبدأ من سن ١٦ سنة إلي ٤٥ سنة ، فوفقا لفئات العمر كما هو موضح في الجدول رقم (٢) ، نجد أن الفئة العمرية من ٢٠ – ٣٠ سنة بلغت نحو ٩٨,٩% من مجموع العينة ، وأن الفئة العمرية من ٣٠– ٤٠ قد شكلت نحو ٣١,٥% وبلغت الفئة العمرية من ٤٠ – ٥٠ نحو ١٢,٧% ، أما الفئة من ٥٠ فأكثر فنجد أنها حظيت بنحو ١٦,٩% إن المتأمل في هذه النسب يجد أن الفئة الأولي إلي الفئة الثالثة (من هم في سن

العمل) قد شكلوا ما يقرب من ٥/٤ العينة ، بينما ما يقرب من ٥/١ الباقي كان من نصيب الفئات التي في حكم الشيوخ .

جدول رقم (٢) يوضح العمر لعينة البحث

العمر	العدد	%
٢٠- ٣٠	٢٢١	٣٨,٩
٣٠- ٤٠	١٧٩	٣١,٥
٤٠- ٥٠	٧٢	١٢,٧
٥٠ فأكثر	٩٦	١٦,٩
مجموع	٥٦٨	١٠٠

وبالنسبة للحالة الاجتماعية لهذه العينة ، فإن الجدول رقم (٣) يوضح أن هناك نحو ٩٠٩% من الأرامل اللاتي قبرن أزواجهن ، أو قل أنهم هم الذين يقومون بأدوار الرجل ، أو يقودون مسيرة البيت بدلا من الرجل ، وفي جانب هؤلاء نجد أن هناك نحو ٢,٦% من المطلقين الذين انفصلوا عن أزواجهم أو زوجاتهم نتيجة لوجود خلافات أسرية ، أو قل لعدم التكيف بين الرجال والسيدات ، ذلك الذي يرجع لطبيعة الاختيار للزواج أو للحالات الاقتصادية المزعجة التي ينجم عنها في الغالب عملية الانفصال ، أما بقية النسب ، فكانت من نصيب المتزوجين ، الذين بلغت نسبتهم نحو ٨٧,٥% من مجموعة عينة البحث .

جدول رقم (٣) يوضح الحالة الاجتماعية لعينة البحث

الحالة [1]	العدد	%
أرمل	٥٦	٩.٩
متزوج	٤٩٧	٨٧,٥
مطلق	١٥	٢,٦
متزوج من أكثر من إمرأة	–	–
المجموع	٥٦٦٨	١٠٠

وحول مهنة عينة البحث، نجد أن الجدول رقم (٤) يكشف عن أن هناك نسبة كبيرة من الحرفيين بلغت نسبتها ما يزيد قليلا عن الثلث ، ثم يأتي بعد ذلك من لا يعمل بنسبة تقدر بالربع إلا قليلا – ثم أخيرا يأتي من يعمل بالحكومة .ويعني ذلك أن هناك ما يزيد ثلث العينة لا يعملون في قلب الأعمال ، بل يعيشون علي هامش العملية الاقتصادية ، أو ما يطلق عليه في التصنيفات الديموجرافية بالقطاع الثالث غير الرسمي Informal الذي يرتبط بالأحري بالأشياء الخدمية ، والذين لا يركزون علي نوعية المسكن بقدر ما يركزون علي مكان يأويهم ويرتبط بعوامل الدخل الفردي .

---

١ – تم استبعاد أربع حالات من بقية مجموع العينة ٥ % من مجموع سكان منطقة الشيخة شفا نظرا لعدم انطباق وضيعة البحث الراهن عليهم حيث يدخلون في باب الاعزاب .

جدول رقم (٤) يوضح مهن عينة البحث

نوع المهنة	العدد	%
موظف حكومي	٨٠	١٤,١
قطاع خاص	١٢٠	٢١,١
حرفي	٢٢٤	٣٩,٤
لايعمل	١٤٤	٢٥,٤
المجموع	٥٦٨	١٠٠

وعن الحالة التعليمية للمبحوثين ، يتضح من الجدول رقم (٥) أن هناك نسبة الأميين في هذه العينة تحتل نسبة متعاظمة تقترب من النصف إلا قليلاً ، إذ حققت نحو ٤٤,٧% ، بينما جاء في المرتبة الثانية من هم حصلوا علي مؤهل متوسط ، إذ بلغت نسبتهم نحو ٢٦,٨ % ، ثم يأتي في المرتبة الثالثة من يقرأ ويكتب ،وإذ بلغوا نحو ١٩% . إن المطلع علي هذه النسبة يستطيع أن يستدل علي أن هذه المنطقة تعج بالمستويات الدنيا من الناحية التعليمية وهم من الذين لم يستطيعوا أن يكملوا تعليمهم أو تسربوا ، وبالتالي لم يكن أمامهم سوي الحرف أو الأعمال الهامشية لتكون مؤهلهم ، وربما يرجع ذلك أن سكان هذه المنطقة لديهم قناعات ، بأن التعليم ليس مجدياً اقتصادياً ، فضلاً عن تدني مستويات دخولهم التي تقف حائلاً أمام دفع أبنائهم لمواصلة التعليم الاقتصادي ، الأمر الذي يجعل الأبناء مصدراً إضافياً للدخل .

جدول رقم (٥) يوضح الحالة التعليمية لعينة البحث

الحالة التعليمية	العدد	%
أمي	٢٥٤	٤٤,٧
يقرأ ويكتب	١٠٨	١٩
تعليم متوسط	١٥٢	٢٦,٨
تعليم جامعي	٥٤	٩,٥
فوق الجامعي	–	–
مجموع	٥٦٨	١٠٠

ولمعرفة ما إذا كانت عينة الدراسة تهتم بتعليم الأولاد باعتباره رأسمالا ثقافياً واجتماعياً واستثمارا ، فنجد أن هناك ما يزيد عن النصف بقليل لا يقوم بتعليم الأولاد نحو ٥٦,٣% بينما يقوم بتعليم الأولاد نحو ٣,٧ % من جملة العينة .وعن الأسباب التي تدفع المبحوثين لعدم تعليم الأولاد (فمن الجدول رقم ٦) ،نجد أن الأسباب جاءت مرتبة وفقاً لأعلي الاستجابات ، وعلي النحو التالي :

أولاً : أن المدارس تبعد كثيراً عن منطقة الشيخة شفاً (٤٤,٤%) .**ثانياً** : أن التعليم يتطلب نفقات تفوق مستويات الدخول (٢٣,١%) .**ثالثاً** : أن تعليم الأولاد ليس لديهم الحرف يجلب دخولاً إضافية لأسرهم (٢٠,٦%). رابعاً : أن الأولاد ليس لديهم الرغبة في التعليم ، ومن ثم فهم يتكرررسوبهم و تسربهم (١١,٦%) .

جدول رقم (٦)

يوضح الأسباب التي أدت إلي عدم تعليم أولاد المبحوثين

ليه معلمتش أولادك	العدد	%
التعليم تكلفته غالية	٧٤	٣٢,١
الأولاد بتجيب فلوس من الصنعة	٦٦	٢٠,٦
المدارس بعيدة	١٤٢	٤٤,٤
همه مش نفعين	٣٨	١١,٩
المجموع	٣٢٠	١٠٠

وإذا ما كانت عينة الدراسة قد أوضحت أن هناك نحو ٤٣,٧% يقومون بتعليم أولادهم ، فإن مراحل التعليم تنوعت بتنوع المستوي الدراسي والاجتماعي لدي عينة ، ناهيك عن ارتباطه بمستوي الدخول والوعي بقيمة التعليم . فعلي سبيل المثال نجد أن التعليم الجامعي يحتل المرتبة الأخيرة إذ حظي بنحو ١١,٩% ، ثم يأتي التعليم الثانوي بأنواعه في المرتبة الثالثة بنسبة ٢٠,١% ويأتي في المرتبة الثانية التعليم الإعدادي بنسبة ٣٠,٢% ، ثم تأتي المرحلة الابتدائية في المرتبة الأولي بواقع ٣٧,٥% .

ويجدر أن نشيرهنا إلي أن ما سبق يشير بشكل أو بأخر إلي عدم وجود الطموح الاجتماعي والرغبة في التحصيل العلمي ، وأن المكانة الاجتماعية

والمراكز التي يخلقها التعليم لا تعد قبله يرضاها الأبناء . إن ذلك كان يعكس النظرة العامة للتعليم في مجتمع طرفي ، فهو في الوقت عينة يعكس موقع وقيمة الشهادات العلمية وما توفره من مكانات اجتماعية في السنوات الأخيرة في المجتمع برمته .

وفيما يتصل بالدخل الشهري لمفردات عينة البحث ، نجد أن الجدول رقم (٧) يوضح أن هناك نحو ربع عينة الدراسة تعيش علي أقل من ٥٠جنيها ، ونحو ثلث العينة يعيش علي دخل يتراوح ما بين ٥٠ غلي ١٠٠ جنيها ، ويقل عن هؤلاء بنحو٢٠٥ % من يعيش علي دخل يتراوح ما بين ١٠٠ إلي ١٥٠ جنيها ، وإذا كانت هذه الفئات الثلاث آنفة الذكر قد احتلت نحو ٨٩,٣ % من جملة العينة ، فإن النسبة الباقية قد انقسمت بين ٥,٦% منهم يعيشون علي دخل يتراوح ما بين ١٥٠- ٢٠٠ جنيها ، في مقابل ٨,١% يعيشون علي دخل شهري أكثر من ٢٠٠ جنيها .

وإذا كان متوسط الدخل السنوي للأسرة علي مستوي الجمهورية وفقاً لمؤشرات بحث الدخل والأنفاق والاستهلاك للأسرة في ١٩٩٦/٥، وهو ٧٥٧٠ جنيها ، وأنه علي مستوي الحضر هو ٨٩٤٠ جنيها ، في مقابل ٦٤٦١ جنيها في الريف [1] ، فإنه وفقاً لفئات الدخل السابقة، فإنه يمكن القول أن معظم هذه الدخول تعيش تحت مستوي خط الفقر الأولي ، خاصة أن هذه للإبقاء بالحد الأدني للبقاء الفيزيقي ، خاصة إذا ما عرفنا أن هذا الخط يتحدد بالأساس بمن يقل دخله عن ٣٨٠ دولار أمريكيا في نهاية عام ١٩٩٤ : أي أنه من المفترض أن تكون هذه الفئات أو من زمرتهم قد انتهي وجودهم الفيزيقي منذ وقت طويل ، لكن لطبيعة المعدمين الذين يتحايلون علي المعايش ، فأنهم لازالوا علي قيد الحياة .[2]

---

١ – الأهرام ، عرض لمؤشرات بحث الدخل والأنفاق والاستهلاك للأسرة في ٩٥/ ١٩٩٦ ، ١٥ مايو ١٩٩٧ ، ص ١٥ .

١- راجع في ذلك تحديد :

شحاته صيام ، الدولة وإعادة انتاج الفقر ، رامتان للتوزيع والطباعة والنشر ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٥ ، ص ١٠ .

جدول رقم (٧) يوضح الدخل الشهري لعينة البحث

الدخل	العدد	%
أقل من ٥٠	١٣٨	٢٤,٣
من ٥٠- ١٠٠	١٨٦	٣٢,٧
١٠٠ - ١٥٠	١٦٦	٢٩,٢
١٥٠ - ٢٠٠	٣٢	٥,٦
٢٠٠ فأكثر	٤٦	٨,١
مجموع	٥٦٨	١٠٠

وبالنظر إلي حجم أسر عينة الدراسة (الجدول رقم ٨) ، نجد أنها تتسم بالكبر ، أو قل هناك إعراضاً عن ما يسمي بالصحة الإنجابية تلك انغمة التي تروج لها الجمعيات الدولية الآن ، أو ما كان شائعاً ويطلق عليه بتنظيم الأسرة ، لكي ندلل علي ذلك ، نجد أن الأسر التي تتكون من أكثر من ٦ أفراد قد بلغوا ما يقرب من نصف عينة ، حيث بلغوا نحو ٤٦,٨% ، ثم تأتي في المرتبة الثانية الأسر التي تتكون من ٤– ٦ أفراد ، إذ حققوا نحو ٢٦,١% ، ويأتي في المرتبة الثالثة هؤلاء الذين يتكون أسرهم من ٢– ٤ أفراد بواقع ٢٤,٨% أما الفئة الأخيرة فقد كانت من نصيب الأسر الذين بلغت أسرهم من ١–٢ فرد ، تلك التي حققت نحو ٢,٣% . ويمكن لنا القول في هذا الصدد أنه برغم ضألة نسبة نسبة الفئة الأخيرة (١–٢ فرد) ، إلا أنه ذلك لا يعود إلي الوعي بالمسألة السكانية أو بتنظيم الأسرة أو بالصحة الإنجابية بقدر ما يعود إلي حداثة الزواج أو إلي العوائق البيولوجية .

إنه مما سبق يمكن القول أن هذه الأسر لا تشغل بالها كثيراً بقـضايا تنظـيم الأسرة وأنها مثلها مثل واقع المجموعات الاجتماعية التقليدية تري أن الخلفـة لهـا آثارها الاقتصادية ، أو أنها السند عند العوز والكبر ، أو أن مثل هذه الأشياء يقـف الدين موقفاً مناهضاً منها .

جدول رقم(٨) يوضح عدد أفراد أسر المبحوثين

عدد أفراد الأسرة	العدد	%
من ١-٢	١٣	٢,٣
من ٢-٤	١٤١	٢٤,٨
٤-٦	١٤٨	٢٦,١
أكثر من ٦	٢٢٦	٤٦,٨
مجموع	٥٦٨	١٠٠

إن ما سبق يعكس أن مسألة النسل لن تتحول لدي الأكثرين من عينة الدراسة إلي قضية الاجتماعية . إن الباعث الرئيسي في تصورنا لذلك تجمع بين أطرافه مسائل اقتصادية واجتماعية ودينية ، كما أن التكاثر السكاني يعد أحد عوامل التهميش فزيادة الإنجاب لا يعين رب الأسرة علي تربية الأولاد تربية تجعل منهم قوي عاملة مؤهلة للدخول إلي ميادين العمل المنتج أو الجسمي إن وجود مثل هؤلاء الأطفال كفائضين عن حاجة الأب وأيضاً عن حاجة العمل ، يجعل هؤلاء لا يجدون أمامهم سوي النشاطات الطفيلية والهامشية .

ب – حالة السكن والإقامة :

وبالنظر إلي حالة السكن وطبيعة الإقامة في مجتمع البحث ، فإن الجدول رقم (٩) يكشف عن طبيعة السكن (ملك أم ايجار) ، ومن خلاله نجد أن هناك نحو ٢٤% من مجموع الدراسة يملكون منازلهم ، بينما نجد أن هناك نحو ٧٦% يستأجرونها.

جدول رقم (٩) يوضح طبيعة السكن

السكن ملك أم ايجار	العدد	%
ملك	١٣٦	٢٤
ايجار	٤٣٢	٧٦
مجموع	٥٦٨	١٠٠

وعما إذ كان هناك من يسكن أو يشارك هذه الأسر منازلهم ،فقد أوضحت الدراسة الميدانية أن هناك نحو٧٤,٣% أفادوا أن هناك من يشاركهم السكن ، بينما نجد أن هناك نحو ٢٥,٧% ، أفادوا بعكس ذلك، وبالاستسفار عن طبيعة العلاقة بين أفراد العينة ومن يشاركونهم ، فنجد أن الجدول رقم (١٠) يكشف عن أن مشاركة الأولاد احتلت المرتبة الأولي بنسبة ٦٢,٣% ثم يأتي الأقارب في المرتبة الثانية بنسبة ١٧,٣% وتأتي الأخوة بنسبة ١٢,٨% ثم تلأتي المعارف من نفس البلد في المرتبة الأخيرة بنحو ٢,٥% . إن ذلك يعني أن نسبة كبيرة من أفراد العينة لا ينفردون بذواتهم في أماكن إقامتهم ، إذ يشاركون آخرين في المسكن ذاته ، وهذا يعكس مدي الاتصال لا الانفصال بين الأسر من جانب، والامتداد المكاني بين الأفراد وبلدانهم الذين هجروها ، فضلاً عن عدم سيادة الخصوصية .

جدول رقم (١٠)

يوضح مشاركة الآخرين ونوعياتهم لمساكن أفراد العينة

من يسكن معاك في بيتك	العدد	%
حد من أخوتك	**٥٤**	**١٢,٨**
حد من ولادك	**٢٦٣**	**٦٢,٣**
حد من الأقارب	**٧٣**	**١٧,٣**
حد من بلدك	٢٢	٥,٢
مجموع	٤٢٢	١٠٠

وفيما يتعلق بعدد غرف المسكن الذي يقطن فيه أفراد عينة الدراسة ، فإن وفقاً للجدول رقم (١١) ، فإنه يتضح أن ما يقرب من نصف العينة إلا قليلا ٤٣,٦% قد ذكروا أن منازلهم تحتوي علي ثلاث غرف ، وأن نحو الثلث تقريبا ٣٤,٧ % يسكنون في غرفة واحدة ، بينما النسب الباقية وهي نحو خمس ٢١,٧% يسكنون في غرفتين . وإذا كانت البعض منذ الوهلة الأولي من هذه النسب ، قد يري أن هؤلاء خاصة ممن يتكون منازلهم من ثلاث غرف أن حالة سكنهم تقترب من المستوي المادي الاجتماعي من سكني الحضر ، إلا أن الملاحظ لهذه السكني يجدها تقترب من سكني الريف في شكلها الفيزيقي ، خاصة وأن الامتداد في مثل هذه السكني امتدادا أفقيا وليس رأسيا .

جدول رقم (١١) يوضح عدد غرف المنزل

البيان	العدد	%
غرفة واحدة	١٩٧	٣٤,٧
غرفتان	١٢٣	٢١,٧
ثلاث غرف	٢٤٨	٤٣,٦
أربع غرف	–	–
المجموع	٥٦٨	١٠٠

وعن الأسباب التي دفعت أرباب السر من عينة الدراسة للتوطين في هذه المنطقة ، نجد أن الجدول رقم (١٢) الذي يختص بتوضيح ذلك، يحلول أن يستقربها ، لذلك نجد أنه في صدر هذه الأسباب تأتي أنه نتيجة رخص الأرض بنسبة ٢٢,٢% ، ويلي ذلك لقربها من العمل بنسبة ١٧,٣% ، لتوفر السكن ورخصة بنسبة ١٣,٢% ، ثم لوجود الأهل والأقارب والأصدقاء بنسبة ٩,٣% ، ثم لأنهيار المنزل السابق بنسبة ٨,٦% ، ثم لتوفير فرص العمل ٥,٦% ولأن هذا المنزل موروث بنسبة ٣,٧% .

جدول رقم (١٢)

يوضح الأسباب التي دفعت أرباب الأسر للإقامة في هذه المنطقة

السبب	العدد	%
لأنه إرث	٢١	٣,٧
الأرض رخيصة	١٢٦	٢٢,٢
وجود الأهل والأقارب والأصدقاء	٥٣	٩,٣
قربها من المدينة	١١٤	٢٠,١
السكن متوفر ورخيص	٧٥	١٣,٢
إنهيار المنزل السابق	٤٩	٨,٦
لقربها من العمل	٩٨	١٧,٣
توفير فرص العمل	٣٢	٥,٦
المجموع	٥٦٨	١٠٠

إن المتأمل في الأسباب سالفة الذكر وفقا لترتيبها ، يستطيع أن يقف علي مجموعة الأسباب التي دفعت بسكان هذه المنطقة إلي الإقامة والتوطين بها . وعلي الرغم من أن هذه الأسباب ليست جديدة في مجملها لدي سكان المناطق الطرفية أو الرثة ، إلا أن الجديد فيها أنها لم تأتي كنتيجة لعمليات . الجذب أو الخوج الريفي . إن هذه الأسباب تجعل من هذه المنطقة امتدادا لسكني الحضر ، حيث أن سكان الحضر خاصة من الطبقات الوسطي والدنيا حينما يضيق المكان بهم ، ولا يمكن أن يستوعبهم ، حيث الكثافة العالية من جانب والازدحام من جانب آخر ، وعدم توفر

المساكن وأرقامه الفلكية في اقتنائه ، فإنه لا يجد أمامه بديلا إلا الإقامة الطرفيـــة أو العشوائية أو المتخلفة .

و لمعرفة الجهة التي من خلالها تم تعرف المبحوثين علي هـــذه المنطقـــة ، فإن الجدول رقم (١٣)يوضح أن هناك نحو ٣٦,٣% قد تعرفوا علي هذه المنطقة من ذواتهم ، حيث أن الحاجة الاقتصادية ورخص المسكن وقربه من المدينة قـــد لعبـــت دوراً كبيراً في ذلك ، وأنه لنفس الأسباب فإن نحو ٣٢,٥% قد تعرفوا علـــي هـــذه المنطقة من قبل الأصدقاء والمعارف والجيران ، أما نحو الثلث الأخيرة ، فإنـــه قـــد جاء من قبل المبحوثين ، الذين لديهم دراية بأمور المنطقة خاصة إذا ما كانت هـــذه المنطقة تعتبر هي أقرب المناطق لسكنهم ، وحيث يحول الارتفاع النقدي المبالغ فيه للسكن في مناطقهم الأصلية ، ان يجدوا مكانا لهم فيها .

جدول رقم (١٣)

يوضح المصادر التي عن طريقها عرف المبحوثين السكن في هذه المنطقة

البيان	العدد	%
من الأسرة	١٧٧	٣١,٢
من الجيران والأصدقاء	١٨٥	٣٢,٥
والمعارف عرفت لوحدي	٢٠٦	٣٦,٣
المجموع	٥٦٨	١٠٠

ومن خلال إجابة المبحوثين عن مدة الإقامة في هذه المنطقة ، فإن هناك نحو ثلث هذه العينة قد مرت علي إقامتهم من ثلاث إلي أربع سنوات ، ثم نحو ما يزيد عن ربعهم قد اقاموا في هذه المنطقة من نة إلي سنتين ، وأن ما يزيد عن الخمس

قليلا قد قطنوا في هذه المنطقة من أربع إلي خمس سنوات ، وإذا كان ما سبق يمثل أعلي الدلالات من حيث ارتفاع النسب ، فإن أقلها ، من سكن في هذه المنطقة من أقل من سنة حيث يمثلوا نحو ٦,٧% ، ثم يأتي من سكن في هذه المنطقة أكثر من خمس سنوات حيث سجلت نسبهم نحو ٥,٩% ثم يأتي من سكن في هذه المنطقة من ٢-٣ سنوات ، حيث سجلوا نحو ٢٠٢% ، أن المتأمل في النسب السابقة يستطيع أن يسجل هنا أن معظم عينة الدراسة سكان هذه المنطقة قد وفدوا علي هذه المنطقة منذ وقت قريب ، تلك الفترة التي تأججت فيها نار أسعار المساكن ، أو التي سرعت فيها الدوة خطي تنفيذ سياسات اتثبيت والتكيف الهيكلي التي كان من شأنها أن زادت الأسعار بشكل ملحوظ ، خاصة حينما فتح ارأسمال عيونه إلي الاستثمار في العقارات ، وساعده في ذلك مجموعة القوانين التي صاغتها الدولة وتشيجعا له .

جدول رقم (١٤)

يوضح عدد سنوات الإقامة في هذه المنطقة

البيان	العدد	%
أقل من سنة	٣٨	٦,٧
من سنة إلي ٢	١٦٦	٢٩,٢
من ٢-٣	١٣	٢٠٢
من ٣-٤	١٩٥	٣٤,٣
من ٤-٥	١٢٢	٢١,٥
من ٥ فأكثر	٣٤	٢,٩
المجموع	٥٦٨	١٠٠

وعن المواد المستخدمة في بناء المسكن الذي يقطن فيه أفراد العينة ، نجد أن االجدول رقم (١٥) يوضح أن هناك نحو ٥٣,٩% من عينة الدراسة يسكنون في بيوت مشيدة من الطوب الأحمر والخرسانة ، وأن هناك نحو ٣٩,٤% يعيشون في بيوت من الطوب اللبن ، وأن نحو ٦,٧% يعيشون في بيوت بنيت من الحطب ، إن ذلك يعكس تناقضا حضريا في طبيعة المساكن وطبيعة المواد التي منها قد خلقت وشيدت ، إن زيادات النسل والفقر في هذه المنطقة هي التي جعلت من الأزمة أو التناقض الحضري مظهرا أو شكلا لها .

جدول رقم (١٥)

يوضح مواد البناء المستخدمة في بناء المنازل في هذه المنطقة

المادة المستخدمة	العدد	%
حطب	٣٨	٦,٧
طوب لبن	٢٢٤	٣٩,٤
طوب أحمر وخرسانة	٣٦	٥٣,٩
المجموع	٥٦٨	١٠٠

وعن الموطن الأصلي لأفراد العينة ، نجد أن الجدول رقم (١٦) يوضح أن جزءا كبيرا من الدراسة جاءت من محافظة الفيوم ، إذ شكلوا نحو ٨٧,٧% ، بينما نحو ١٢,٣% جاؤا من خارج هذه المحافظة ، خاصة من محافظات الوجه القبلي ، بداية من الجيزة حتي قنا ، وبالنظر إلي مفردات هذه الاستجلبات التي ضمها الجدول المشار إليه نجد أن نحو ثلث العينة لم يأتي من خارج منطقة الشيخة شفا ، بل أنهم ولدوا وتربوا في هذه المنطقة ، بينما نجد أن نحو ٥٧,٦% نجدهم نزحوا من مناطق أخري من المحافظة ذاتها سواء كانت قريبة أو بعيدة .

وبالنظر إلي بقية المناطق اللأخري نجد أن محافظة بني سويف تعتبر المورد الأول من خارج إطار المحافظة ، وذلك نتيجة لقربها من الفيوم ، ثم تأتي بعد ذلـــك محافظة الجيزة ،ثم سوهاج ، ثم المنيا وقنا، وأخيراً أســيوط ، إن ذلــك يعنـــي أن عمليات الجذب تأتي من المناطق الأقرب ثم تضعف رويدا رويدا حتي تضعف فـــي المناطق البعيدة ..

جدول رقم (١٦) يوضح الموطن الأصلي لعينة الدراسة

الموطن الأصلي	العدد	%
من المنطقة نفسها	١٧١	٣٠,١
الفيوم	٣٢٧	٥٧,٦
الجيزة	١٧	٢,٩
بني سويف	٣٣	٥,٨
المنيا	٢	٠,٤
أسيوط	١	٠,٢
سوهاج	٥	٠,٩
قنا	٢	٠,٤
مجموع	٥٦٨	١٠٠

وفيما يتصل بمدي توافر الخدمات في منطقة البحث ، يتضح من الجدول الخاص بذلك ، أن هذه المنطقة تفتقر إلي كثير من الخدمات ،ففي الوقت الذي ينصب فيه وجود المستشفيات والمدارس والصرف الصحي والمياه و مراكز الشباب

.... إلخ من خدمات ، فإنه يشير إلي مدي فقر هذه المنطقة ليس علي مستوي الخدمة وحسب ، بل إلي تزايد الفقراء في هذه المنطقة ،وذلك ما يسلم به طبيعة الدخول الذي أشرنا إليه في موضع سابق ، فضلا عن أن سكان هذه المنطقة يتحايلون علي مسالة وجودهم وبقائهم ليس علي المستوي الرسمي ، ولكن علي مستوي إمكانياتهم الشخصية وتصريفهم لأمورهم .

جدول رقم (١٧) يوضح مدي توافر الخدمات في منطقة الدراسة

النوع	نعم	%	لا	%
المستشفيات	–	–	٥٦٨	١٠٠
المساجد	٣٢٠	٥٦,٣	٢٤٨	٤٣.
المدارس	–	–	٢٦٨	١٠٠
المياه	١١٣	١٩,٩	٤٥٥	٨٠,١
الكهرباء	١٤٧	٢٨,٩	٤٢١	٧٤,١
الصرف الصحي (المجاري)	٥٤	٩,٥	٤١٤	٧٢,٩
مركز الشباب	–	–	٥٦٨	١٠٠
حضانة	٤٤٥	٧٨,٣	١٢٣	٢١,٦
سينما ومسرح	–	–	٥٦٨	١٠٠

وعن مدي انتشار الجرائم في منطقة البحث ، نجد أن هــذه المنطقــة تعــج بالكثير من ذلك ، يؤكد ذلك ما أشارت إليه نحو ٨٦,٨% من حجم العينـــة ، وعــن أنواع هذه الجرائم ، فإن الجدول رقم (١٨) يوضح أن نوعية هذه تتمحــور حــول جرائم السرقة التي حظيت باستجابة ٤٩,٩% ، وجرائم الخطف باستجابة ٢١,٣% ، ثم أخيرا جرائم العنف بنسبة ٢٨,٨% . إن ذلك يعني غياب أجهزة الأمن في مثــل الجيب الحضري ،ناهيك عن ازدياد البطالة وعدم وجود سوء الأعمال غير الرسمية أمام سكان هذه المناطق .

جدول رقم (١٨) يوضح نوع الجرائم المنتشرة في منطقة البحث

النوع	العدد	%
جرائم سرقة	٢٤٦	٤٩,٩
جرائم خطف	١٠٥	٢١,٣
جرائم عنف	١٤٢	٢٨,٨
مجموع	٥٦٨	١٠٠

ثالثاً : العلاقات الاجتماعية والسلوك والصحة :

وفيما يتصل بأساليب حل الخلافات في المنطقة ، فقد أوضحت عينة الدراسة أن هذه الأساليب متنوعة وتختلف من أسرة إلي أخري ، ومن منطقة إلي أخري، وبالنظر إلي دلالات ذلك ،نجد أن هذه الأسباب يختفي فيها دور الدولة وأجهزتها الأمنية تماماً ، بينما يتصدر هذه الأساليب بناء القوة غير الرسمي (كبار المنطقة) إذ حققت نسبة ٤٥,٢% ،ثم يأتي في المرتبة الثانية الحراك الأسري بنسبة ٢١,٦% وفي الوقت الذي تجمع عينة الدراسة علي وجود خلافات بين أسر المنطقة لا تصدر عنفها تجاه اعتبارات أوضاعهم المادية والفيزيقية ، فإنهم يوجهونها ضد بعضهم ، بغض النظر عن الدوافع والأسباب التي تؤدي إلي ذلك .

إن الخصائص السابقة التي يدلنا عليها الجدول ،يوضح أن دلالاته تخصص الفئات الهامشية أو الفقيرة ،خاصة ما يتصل بالسلب وغياب عنصر المواجهة ،وهذا ما يجعلنا نري أن التنظيم الذي يري من هذه الفئات القوي الفاعلة للثورة شيئا بعيد المنال ،أو هو قد يكون خاص بمجتمعات بعينها .

جدول رقم (١٩)

يوضح اسلوب حل الخلافات بين سكان المنطقة

البيان	العدد	%
بالتفاهم والحوار	٧٥	١٣,٢
بالشجار	١٢٣	٢١,٦
بالمقاطعة	٩١	١٦
بالرجوع إلي الشرطة	–	–
كبار المنطقة	٢٥٧	٤٥,٢
لا توجد خلافات	١٢	٢,١
مجموع	٥٦٨	١٠٠

وحول أنماط السلوك الفردي لعينة الدراسة ،نجد أن الجدول رقم (٢٠) يوضح أن هناك نحو ٥٧% يدخنون ، وأن نحو ١٠١% يتناولون المشروبات الروحية ، وأن نحو ٢١,٥% يقومون بتعاطي المخدرات، وأن نحو ٣٥,٧% يرتادون المقاهي ، وأنهم جمعيا أيدوا عدم ذهابهم إلي المسرح والسينما . إن ذلك يعكس السلوك الفردي اليومي والعادات السلوكية الخاصة بالفرد . وإذا كانت هذه السلوكيات لدي الفئات المهمشة تتسم بالتجانس والتشابه ، إلا أن بعضها غير صادق

، خاصة وأنها تحمل دلالات اجتماعية وسلوكية تتصل بالميل إلي المحافظة والخروج عن التقاليد وأحكام الدين ، وهذا ما تعكسه النسب المتصلة بالأشياء التي لا يلفظها المجتممع (مثل التدخين والذهاب إلي المقهي) ، والأخري التي يقف منها المجتمع موقفا مضادا (مثل المشروبات الروحية والمخدرات).

جدول رقم (٢٠) يوضح أنماط السلوك الفردي

(يسمح بأكثر من إستجابة)

البيان	العدد	%
هل تدخن	٣٢٤	٥٧
هل تتناول المشروبات الروحية	٦	١٠١
هل تتعاطي المخدرات	١٢٢	٢١,٥
هل تذهب إلي المقهي	٢٠٣	٣٥,٧
هل تذهب إلي السينما والمسرح	–	–

وعن الحالة الصحية لدي أفراد عينة الدراسة ، فقد أوضحت أن عينة الدراسة تعاني من مجموعة من الأمراض ، فحسب الجدول نجد أن نحو ٢٣,٣% يعانون من أمراض الصدر والجهاز التنفسي وأن نحو ٤٦,٧% يعانون من أمراض الجهاز الهضمي ، و٤٣,٥% يعانون من أمراض العظام ، وأن ٦٤,٣% يعانون من أمراض السكر والضغط والقلب والبلهارسيا ، وإن كان ذلك يعكس طبيعة الواقع الاجتماعي سواء القديم أو الجديد ،بمعني الواقع الذي أتوا منه أن أو من الواقع الذي يعيشون فيه الآن ، فإنه في الوقت ذاته يعكس العوامل التي ساهمت في إفراز هذه الأفراد ،تلك التي تمثل سوء التغذية وغياب المسكن الصحي ،وضمور الوعي

الصحي والبيئي وغياب الرقابة الصحية وانعدام وجود المؤسسات والرقابة الصحية في هذه المنطقة .

وحول أساليب النزاعات الأسرية ، فتوضح الدراسة الميدانية أن هناك نجو ما يفوق ربع العينة يري أنه ليس هناك نزاعات أسرية ، أما الباقي ويمثل نحـــو ٦٩% يرون عكس ذلك ، ويردون أسبابها إلي الانفاق المادي ومـــستوي المعيـــشة لنحـــو ٢٠,٢% ، والعلاقة مع الأهل بنحو ١٧% والعلاقة مـــع الجيـــران بنحـــو ١٤,٨% وتربية الأولاد بنحو ١١% والقيام بالأعمال المنزلية بنحو ٦% .

إن المطلع علي النسب السابقة يجد أن أكثر المشاكل تعود إلي مسائل الانفـــاق علي المستوي الحياتي والحاجات والحاجات الضرورية ، وهي تعد أكثـــر الأمـــور المحركة للمشاكل والمثيرة للتوترات نظرا لتدني دخول هذه الفئات ،ثم تأتي بعد ذلك مسائل العلاقات سواء مع الأهل أو الجيران وتربية والأولاد ، وهذا يعني أن المـــرأة في مثل هذه المجتمعات بتدني وعيها وطبيعتها فـــضلاً عـــن المحـــيط الاجتمـــاعي والطبيعة السائدة والعلاقات المتداخلة ، هي التي تخلق وتثير التـــوترات والمـــشاكل سواء علي المستوي الجواني أو البراني للأسرة .

جدول رقم (٢١)

يوضح مصادر الخلاف داخل أسر عينة الدراسة

البيان	العدد	%
الإنفاق المادي ومستوي المعيشة	١١٥	٢٠,٢
القيام بالأعمال المنزلية	٣٤	٦
تربية الأولاد	٦٢	١١
العلاقة مع الأهل	٩٧	١٧
العلاقة مع الجيران	٨٤	١٤,٨
مجموع	٣٩٢	١٠٠

وفي نهاية هذا الفصل يمكن القول ، أن مجتمع البحث ، أو ما نطلق عليه هنا بقاع المدينة يحمل بين جنباته مجموعة من الأسر التي تقاطع اجتماعيا مع بعضها البعض . فعلي الرغم من تواجد بعض حملة الشهادات التي حكم الموقف الاقتصادي عليها بالتواجد والإقامة في هذه المنطقة إلا أن موقف الدخل يجعلهم لا يتباينون اقتصاديا عن جملة سكان المنطقة ، وبإسقاط هذه الفئة من حسابات عينة الدراسة التي تدخل برمتها في إطار العوام ، أو في إطار الفئات الرثة ، فإن ثمة قسمات تميز هذا المجتمع.

اولاً : أن معظم سكان هذا المجتمع لا يجدون مؤلآلهم سوي القطاع الهامشي أو ما يطلق عليه بالقطاع الثالث غير الرسمي .

ثانياُ : أن عينة الدراسة لا يرون في التعليم أسباباً اقتصادية مجدية تجعلهم لا يعزفون عن الزج بأولادهم في المدارس ، ومن ثم فهو في وعيهم لا يشكل رأسمالا ثقافياً واجتماعياً .

ثالثاً : إن عينة الدراسة تقف موقفاً مضاداً من عمليات تنظيم الأسرة أو ما يطلق عليه بالصحة الإنجابية ، ناهيك عن سيادة الأفكار التقليدية المتصلة بكثرة الإنجاب.

رابعاً : أن مساكن عينة الدراسة والمنطقة كلها تفتقر إلي الخدمات الاجتماعية ، ولا يختلف طبيعة السكن هنا عن المسكن الريفي التقليدي ، فضلا عن امتداده الأفقي لا الرأسي . أن الأسباب التي دفعت إلي التوطين في هذه المنطقة يعود كلها إلي أسباب اقتصادية .

خامساً : أن منطقة الدراسة تعج المشكلات البيئية والاجتماعية والأمنية والصحية، تلك التي تسأل عنها طبيعة تكوين المجتمع العشوائي.

الفصل السابع

رأسمالية القرش والعولمة :
الطفيلية والاغتراب

مقدمة:

يجمع الدارسون للطبقة الرأسمالية إلى عرفتها الساحة المصرية غداه تطبيق الانفتاح الاقتصادي على أن الظروف ساعدت على إعادة إنتاج الطبقة، خاصة بعد أن قوضت وجودها في فترة الستينات . لقد وقفت حقبة الانفتاح الاقتصادي بسياستها مع الرأسمالية المصرية فأحدث تحولا سياسيا واقتصادية واضحا، أدى إلى تدشين التحالف بين الشرائح المكونة لها، ناهيك عن تنامي الجناح الطفيلى[١].

واذا كانت رأسمالية السبعينات مؤلفة من ثلاثة روافد أساسية، أو قل إنها هجين من فروع متباينة، بعضها ينتمي إلى ما قبل ثورة يوليو (رأسمالية قديمة)والبعض الآخر كان نتيجة انتفاخ البيروقراطية المبرجزة، والبعض الثالث كان من الوافد الطفيلي الذي أنتجته فترة السبعينات، تلك التي نطلق عليها (برأسمالية القرش)الرأسمالية الجديدة[٢].

وبيد أن البعض قد أصطلح على النوع الاخير بهذا الاخير، أو الهامشية نتيجة لبعدها عن الإنتاج المادي ، أوبحسبان بوصلتها متجهة دوماً ناحية الربح السريع، والتركز في الأنشطة الخدمية، والارتباط بالمصالح الأجنبية، والسمسرة، والوساطة واستغلال ثغرات القانون ومخالفته، فإن هناك شريحة من هذه الطبقة لم تتطرق اليها الدراسات السابقة، تلك التي راكمت أصولها من خلال الارتباط بعمليات التهريب العمل غير المشروع. إن هؤلاء هم الذين يتعاملون مع قطاع محدود ألا وهو تموين السفن الملاحية أو ما يطلق عليهم " بالشيب شاندلر "تلك المهنة التي كانت بمثابة ستاراً أو حجاباً لمزاولة الاعمال غير المشروعة .ولكن ما طبيعة هذه الشريحة التي نعرض لها الان، وكيف راكمت رؤوس أموالها، وكيف اثرت الخصخصة عليهم . انه من خلال بعض دراسات الحالة واللجوء إلى أقامة مقابلة جماعية مع بعض الذين يعملون في هذه المهنة، سوف نقوم بالاجابة على هذا التساؤل المركب الذي اوضحنا له توا.

وقبل الشروع في توضيح هذه الشريحة، أو حتى كيف راكمت أصولها الرأسمالية وكيف أثرت الخصخصة على أعمالهم، ينبغي أن نعرف القارئ أولاً بطبيعة عمل هذه الفئة .أن هذه الفئة تجمع نفرا من اصحاب الشركات الكائنة بمدينة السويس التي تقوم بخدمة السفن التي تفد إلى المياه الاقليمية المصرية، أو التي تعبر

قناة السويس شمالا أو جنوبًا، وتقوم هذه الشركات بإمداد هذه البواخر بكل ما تحتاجه بدءًا من المواد الغذائية والمشروبات حتى قطع الغيار، فضلا عن قيامها ببعض مهام النظافة والحراسة. وبالنظر إلى طبيعة تكوين هذه الفئة نجد أن عمر هذه الشريحة يتحدد في العقدين الرابع والخامس، وانهم ممن يحصلوا على تعليم متوسط، أو مادون ذلك، ويقول في ذلك إحدى الحالات(*) (س): ....."هقولك إيه ... عندك (م.م) ده معاه إعدادية، و (ع .ج) ممعهوش حاجة... و (ع.ص) معاه دبلوم تجاره...و(ع.س)برده كان معاه دبلوم،... و (ص.ع.م) معاه إعدادية بس بيتكلم سبع لغات.... الناس د ي لما إبتدت كان سنها صغير ... لما رجعوا من الهجرة اللي جه من بره، وكان معظمهم في اليونان وايطاليا، واللي كان مهجر في مدينة نصر، و في المطرية دقهلية .. المهم انهم رجعوا.... ولما رجعوا كان معظمهم بيشتغلوا في الشركة المصرية للتوريدات البحرية، أو في الشركة الدولية .. المهم مكنش فيه شركات تانية غير دول البحر اللي بيشتغلوا في تموينات السفن أو زي ما حنا بنقول عليهم (شيب شاندلر)" .... ولكن كان القسط الاكبر من هؤلاء ممن تم تعيينهم غداة إعادة عملية تعمير مدينة السويس، أما في الشركة المصرية للتوريدات البحرية أو في الشركة الدولية . وتعتبر عملية وجودهم في هذه الشركات هي البداية الأولى لعمليات التراكم الرأسمالية أو ما نطلق عليه هنا بالتراكم الأولى لهذه الشريحة، أو عن طريقها إستطاعت هذه الفئة بطريقة غير مشروعة أن تجني لنفسها قسطا واسعاً من الأموال .ويقول في ذلك احدى الحالات (ص): "الناس دي لما إبتدت، همة جم من التهجير اللي كان مسافر بره، واللي كان مهجر، راحوا إشتغلوا كلهم .. لامش كلهم جزء كبير منهم في الشركة المصرية وكانت الشركة دي فتحة خير لهم .. لأنهم بجانب الشغل الرسمي ، عملوا مصالح كثيرة ليهم ..." .

وإذا كانت عملية التراكم الأولى لهذه الشريحة قد تمت من خلال العمل في مثل هذه الشركات، فإن هذه العملية قد جاءت بطريقة غير شر عية أو قانونية ويمكن أن نستدل على ذلك من كلام(ع)الذي يرى: ..."أن الشيب شندلر من دول لما كان ينزل البحر، مكنش له منافس زي اليومين دول اللي كتروا فيها المكاتب بتوع تموين السفن . أول مارجعنا السويس مكنش فيه غير الشركتين دول، دلوقتي اللي معاه فلوس وملهوش شغل راح مل مكتب .. المهم أما كان الأفندي ينزل البحر

كان عارف هو هيروح فين، وعلى أنه مكتب .. المهم أما كان الأفندي نزل البحر كان عارف هو هيروح فين، وعلي أنه مركب، كانت المراكب فيها خير كتير بينزل معاه دولارات كتيرة شتري بيها أي حاجة، ويبيع لها كل حاجة . الحاجات دي انت من غير فواتير يعني لحسابه الخاص، و كان في الوقت ده لسه الجمرك والمينا مكنش لهم أبواب .. مكنش فيه غير عسكري ماسك بندقية وموظف صغير .. وكنش لتوكيلات الملاحية لسه موجودة ..كل حاجة كانت سهلة إن خش ويوديها الافندي إلى المركب، حتى كانت الممنوات ممكن الافندي أما يوديها أو يجبها من المركب"..ويضيف صاحب هذه الحالة إنه حينما كانت عملة إعادة تعمير ميناء السويس لم تتم بعد، ولن تكن هناك حالة نضباط كما هو واقع اليوم، كانت هناك أشياء تفوق الوصفي عملية التراكم الرأسمالي. إذ كانت تتم إرسال موجات السلع المدعمة إلى المراكب ويتم قبض ثمنها خارج عملية لفواتير، إذ كانت تتم تحصيلها من الخارج رأساً عن طريق ملاك السفن، كما كان غالبا ما تتم جلب بعض الاشياء التي خضع للضرائب، مثل المواد الروحية والدخان، و الأخرى لممنوعة.**وفي ذلك يوضح صاحب هذه الحالة:**

...."كان ممكن الافندي من دول لما ينزل إلى البحر كان يتفق مع القبطان أن المركب هتيجي في يوم محدد، وانه يعوز فيه حاجات معينة، فكان أما يبعت تلغراف أو تلكس يبلغ المكتب بالحاجات اللي هو عايزها. فكان المكتب يجهزكل التموينات اللي هيديها للمركب .. طبعا الحاجات دي كانت مدعمة ....ولما كان الافندي يدخلها مكنش فيه حد بيمنعه وكان بيرش على العسكري اللي واقف على الباب... والحاجات دي كانت بتمشى .. المهم على المركب كان فيه حاجات تبع المكتب بفواتير ... وحاجات تانية من غير فواتير ..وكل الحاجات دي سهلة ومفيش فيها حاجة الحاجات اللي كانت كمان بتجيب فلوس، إن الافندي يربط مع القبطان أن يجب له ويسكي وسجاير ....وطبعا بيتفق على تخريجها لا من الجمارك وتروح تتباع في مصر بالذات في الفنادق والموسكى ....وفي الاسكندرية".

ويرى(أ) أنه بهذه الطريقة استطاعت هذه الشركات أن تجني ارباحاً تشبه تماما الارباح التي تتولد لديهم من المخدرات، خاصة وانه في ذلك الوقت كان أصحاب هذه الشركات تتولد لديهم أرباحاً طائلة، وانه منذ هذه الفترة وحينما تولدت

الأموال ما لبث أن تركوا هذه الشركات وأقاموا لذواتهم شركات خاصة لامداد السفن .لقد تكونت العديد من هذه الشركات واصبحوا مسيطرين على عملية الامداد، بل حينما سمحت الدولة بإن يكونوا ممثلين لملاك السفن التي تعبر القناه، اصبحوا بمثابة توكيلات ملاحية لهذه السفن.

إنه منذ ذلك التاريخ وقد اضحت هذه الشركات قوة مسيطرة على كل البحر . لقد سهل لهم عملية جمع المال بالطريقة الفائته أن يكونوا ذوي سلطة والتي من خلالها أن سهلوا لذواتهم عمليات تهريب وامتلاك الكثير في السويس. "…. دول كانوا بيهربوا كراتين السجاير والويسكي عيني عينك …وكانوا بيرشوا على ….. حتى بالعربيات والشقق …كانوا بيعملوا كل اللي همه عايزينوا ….كانت الناس دي بتعمل اللي هي عايزه ….حتى انهم كمان كانوا بيهربوا الحاجات دي في وضح النهار، وبمساعدة الناس اللي ماسكين السلطة … ده كان كما في ناس بيشتغلوا في المحافظة بيخشوا ويشتركوا في الحاجات دي والتي كانوا بيسموها المصلحة".. وعن عملية التهريب يقول(أ) زي ما قالك(ع)أن الناس دي كانت واصلة، وكانوا مصاحبين أو مشاركين لناس تقال قوى … وكانت المركب بتيجي في وقت معين عاملة ترب (رحلة) بتبعت تقول انها جاية، وعايزة حاجات… تجهز لها الحاجات بتاعتها، واللنش التي رايح يودي لها،الحاجات هو إلى ينزل الويسكي والسجاير من عليها. صاحب المصلحة بيكون متفق كمان مع بتوع الهيئة،والمركب وهي ماشيه الحاجات بتنزل منها مش من الجنب إلى ممكن الناس تشوفه، ولكن الحاجات بتنزل من الجنب إلى ناحية سينا عشان مكنش فيه حد ومحدش يشوف حاجة،بس الحق انا هقولك إن الحاجات دي كلها كانت مش بتتهرب في النهار قوي ، لا دي قرب المغارب عشان برده الليلسترة"…

ويضيف(ع) أن الحاجات دي نقلت ناس نقلة كبيرة، داهمه بقوا اباطره محدش كان عارف يكلمهم .. دول إفتروا قوى …فيه ناس كانوا بيركبوا المرسيدس آخر موضه، وكانينزل لهم عربيات خاصة بيهم من الفابريكه، وفيه منهم ناس راحوا أجوزوا على نسوانهم …وكمان نسوا عيالهم، وفيه ناس ضربوا بودرة وحشيش وأفيون ومستروش النعمة وكان بيصرفوا على النسوان والقمار"…

وعلى الرغم من أن هناك من كان يسلك سلوكا غير عقلاني كرأسمالي ، فإن هناك من كان على العكس من ذلك، حيث كان يعمل على تنمية موارده ليس على صعيد تخصصه فحسب، بل في تخصصات اخرى .. ويوضح ذلك (ف) إذا يقول ..."كان هناك (ص) ليه عمارات، وكان (ع.خ) عنده فناطيس جازبيمون بيها المراكب ... وفيه ناس جابوا عربيات تريلات ونقل ... وناس عملوا مزارع سمكية ...لا فيه ناس كتير اشتغلوا شغل كويس، بس ما ستروش النعمه زي ما قالك (ع) .

ومن المهم أن نوضح هنا انه اذا كان هناك نفر قد انفق أمواله بطريقة عقلانية، واخرون كانوا على العكس من ذلك، فإن هناك من نهج نهج الرأسمالية التقليدية في العالم الثالث، تلك التي عملت على تكديس الأموال دون ضخها لتنميتها اولاً ثم المساهمة في تنمية الواقع المجتمعي. ثانياً. ويشدد على ذلك(ع.ص)إذ يرى: هناك نماذج ثانية كانت بتخزن فلوسها متحبش تصرف على نفسها، فكانت مكموشه خايفة إن الدولة تقول ليها من اين لك هذا ....يا ناس كانت متحبش تطلع فلوسها وكانت تحوش وبس"....

والواقع أن ما سبق ليس فقط هو ما يمثل طريقة تكديس الأموال لدى هذه الشريحة، بل انها كانت تعمل على اصعدة أخرى ، تلك التي تمثلت في تزوير الفواتير التي كان تقدم إلى التوكيلات الملاحية .. انه في الوقت الذي كان يسمح التوكيل بامداد الباخرة بمبلغ معين من الأموال وهو في الوقت الذي يحتاج ما يفوق ذلك، فإن مكاتب تموين السفن الخاصة كانت تضرب بذلك عرض الحائط وتمون البواخر بما تحتاجه ولكن شرط أن تقوم بتحصيل الأموال المستحقة رأسا من اصحاب هذه البواخر في مواطنها الاصلية، كما أن بمقدور اصحاب هذه المكاتب أن تحصل فوائد بما يفوق ما قدموه بالفعل . فإذا كانت هذه المكاتب قد امدت البواخر بمبلغ معين، فإنه بالاتفاق مع ربان الباخرة، يقوم الاخير بالتوقيع على اوراق بيضاء نظير أن يتم تسليمه مبلغ معين من المال، ثم ما أن يلبث يقوم صاحب المكتب بعد ذلك تدوين ما يريد من أرقام، على أن يقوم بتحصيلها بعد ذلك من مالك الباخرة أومن خلال شركته في الخارج".... وفي ذلك يقول (م) ..." كان المركب من دول تطلب طلبية كبير ة ..وبعد ما انتظمت العملية كان لازم مكاتب التوريدات أن تقدم

للتوكيل وتطلب منه الموافقة على المبلغ المطلوب لتموين المركب ... وكان التوكيل لان مفهوش اعتماد كان بيحدد فلوس معينة . ولما كان اللي بيطلبه لمركب اكثر بكثير من المسموح، فكانوا، يودوا كل اللي يحتاجه، ويتحايلوا في كده على الجمرك، ويرشوا على الموظفين ويدخلوا كل حاجة، بس كان المسموح من التوكيل اللي يتقدم فاتورته، ويتحصل عن طريقه الحاجات التانية، كانوا بيمضوها من القبطان ويطلبوها من ملاك لمراكب من بره، وساعات كان القبطان بيمضي على فواتير بيضة، بس هوه بيأخذ حقه، وبعد كده من اصحاب المكاتب بتأخذ الفواتير دي وتعمل فيها اللي هيه عايزاه، كانوا يضربوا أرقام جامدة ...كان ساعات توصل إلى خمسين ومائة الف دولار"..

إذا كان ما سبق يمثل نشاط هذه المكاتب أو اصحابها من شرائح الرأسمالية في فترة إعادة تعمير السويس، فإن غداه تنظيم كل شيء في المدينة وخاصة منافذ الميناء، فإن تحايل هذه الشريحة لم يظل هو هو ،إذ انهم استحدثوا آليات أخرى. بعد أن فتحت الدولة عينيها على هذه الاليات شددت عمليات المراقبة وخاصة علي عمليات تهريب السجايروالوسكي، كان لابد على هذه الفئة من إستحداث آليات خرى ، تلك التي تمثلت في التحايل على القوانين والمستندات، انه من خلال هذه الاوراق كان يتم عمليات التهريب، إذ يتم تغييرأوراق الاستلام بطرق ملتوية ، وتصبح هي ذاتها آلية التهريب والتربح.

وفي ذلك يقوم(ص)"... لما الدولة شددت قوى على نشاط المكاتب دي راحت تدور على حيل تانية المهم أنهم كانوا في الوقت ده مبيصرفوش لحد إلا بطلبات من التوكيل والتوكيل كان يقول في حدود المسموح ... وكان المراكب دا يتأخذ الحاجات بتعاتها، وكان الموظفين أو صاحب الشغل يكتب شهادة إنه استلم حاجته ويشكر المكتب، ولكن كل الكلام ده بالقلم الرصاص، وبعد مايروحوا المكتب ويقوموا بمسح هذه الكتابة، وعلى الورقة نفسها اللي مختومة بختم المركب وامضاء القبطان يقوموا بكتابة طلب من المركب بانها لم يراه كراتين السجاير والويسكي وعشان التوكيل ميتحشرش يقوم يكتبوا أن القبطان هيدفع كاش ... طبعا بعدكده الحاجات دي بتتهرب وتتباع إما في المينا أو بتتهرب لمصر على طول" ....وزي ما بيعمل على زيادة الفلوس ، فعن طريق جمع الزبالة والحراسة يمكن أن نفعل نفس الفعل، حيث

تقوم الباخرة تسليم مخلفاتها إلى الشيبشاندر مقابل أجر محدد، وهو متحدد قيمته من التوكيلات الملاحية، وبره التحديدات دي يتم اجراءالصفقات غير المشروعة وتكون بين هذه المكاتب وبين ربان الباخرة. ويضيف صاحب هذا الكلام أن ربان الباخرة وفق هذه الاتفاقات يقوم ببيع الأشياء الثمينة بحسبانها من المخلفات أو من الاشياء التي تدخل في باب القمامة .بمعنى آخر إذا كان قانون الملاحة يحرم إلقاء المخلفات في الميناء الاقليمية أوبالمواني ، فانه يتم تسلم مخلفات السفن العابرة للمياة الاقليمية المصرية إلى هذه المكاتب التي يدورها تقوم بنقلها إلى اماكن تجميعها في داخل الميناء أو خارجه . وانه مقابل ذلك يقوم المكاتب بتحصيل الرسوم التي حددتها التوكيلات الملاحية .والواقع أن هذه المخالفات ليست كلها من الاشياء التافهة التي لا تريد ربح،وانما بالاتفاق مع ربان البواخر يقوم بتسليم اشياء ثمينة على انها غير ذلك.

ويوضح(ع) ما سبق إذ يقول :"... يا أخي دي الزبالة حتى بتكسب بالالف والالفين دولار في المرة الواحدة وبالذات في حرب الخليج ... وفي بعض الناس عملت بالستين والسبعين الف دولار، ده مش من مركب واحد ولكن دول من خمس إلى ستة مراكب في الشهر .دي مكنتش زبالة وبس دي كما كان فيها حاجات كانت جديدة نوفي إتباعت لهم على انها من ضمن الزبالة إتباعت أما من على الرصيف أومن المخازن بتعتهم ..." .

ويضيف(ع) أن مثل هذه الاعمال لا يتمتع بها كل مكاتب تموين السفن، وانما هناك مكاتب بعينها حيث توجد تعاملات خاصة فيما بينها وبين التوكيلات الملاحية ...يا بيه بتوع التوكيلات دول مافيا بيشتغلوا في كل حاجة، الواحد من دول يدي اي صاحب مكتب امر الشغل ويقبض زي ما هو عايز، ده غير اللي بياخده من على المركب، هو طالع واكل نازل واكل، يأخذ من المكاتب ويأخذ من القبطان السجاير بالكراتين و الويسكي والبيرة وكل حاجة ممكن تبقى موجودة عند الشيف ستيور والقبطان شغال يقبض من اصحاب المكاتب رايح جاي، يعني الكل بينفع بعضه.

"…. ويجدر أن نشير هنا إلى أن هذه العملية لا تعتبر حكرا على اصحاب هذه المكاتب اذ يقوم بها فئه أخرى تعمل على نفس المسرح، وهم من يطلق عليهم في لغة البحر بالبنبوطية أو تجار المخلفات الذين يقومون بشراء الاشياء من البواخر

بأسعار قد تقل كثيرا عن ما هو سائد . ليس فقط بالاسعار المحلية وإنما أيضًا بالاسعار العالمية . وفي ذلك يوضح(م) بقوله ....."لاء مش بس بتوع المكاتب اللي بياخدوا الحاجات دي وبيستنفعوا بيها، ده في كمان البنبوطية وتجار المخلفات بيلعبوا اللعبة دي ، بيطلعوا يشتروا الحاجات دي من على المركب بأسعار قليلة وده يبقي بيزنس مع القبطان والشيف ستيور ده يرد الحاجات التي بيدخلوها معاهم من بره، ويقوموا ببيعها للمراكب أو يعملوا بيها بدل ودي لما بتكون حاجات ممنوعة بيعملوا بيها بدل..."،ويعلق (و) على كل ما سبق في أن مثل هذه الاشياء دعت ملاك هذه السفن إلى تحريم عمليات التبادل، هذا فضلاً عن تحريم التعامل مع هذه المكاتب أو حتى شراء ما يحتاجونه من مواد غذائية أو قطع غيار، وذلك من وجهة نظره يعود إلى إرتفاع الاسعار بطريقة باهظة، بالاضافة إلى ردائتها، أو قل أنه نتيجة لجشع هذه المكاتب وعدم نظافة التعامل "....هنا الحاجة غالية قوى ووحشه قوى، الشيب شندلر هنا عايز يولع المركب، عايز يأخذ كل اللي ما في جيب القبطان، ده بسبب ردائة البضاعة وسعرها العالي ومعاملة الشيب شندلر، وكمان مضاربة الشيب شندرية لبعضهم في الاسعار و في إعطاء العمولات للقباطين اللي ساعات توصل إلى ٥٠% ، وكمان للبزنس اللي بيعمله الموظف مع القباطين ..."

ويستطرد صاحب هذه الكلام ويرى أن ملاك هذه السفن قد تغلبت على ذلك أيضًا بالتكنولوجيا المرتفعة... المراكب دي وسعت من الثلاجات بتاعتها وبدأت تجيب من بلادها حاجة نظيفة وسعرها رخيص، والثلاجات دي خلتها تستغني عن الحاجة بتاعتنا لغاية لما ترجع بلدها تانى.... وهمه كده كمان بدأوا يتخلوا عن انهم يمروا من القنال... لان بقت مصاريف أو زي ما بيقولوا نولون المركب عالي ، عشان كده كل الحاجات دي أثرت على حركة الملاحة في القنال ....الحركة معدتش زي زمان ...الوقت بقي فيه مراكب قليلة قوى .... كان زمان الكونفوى (القافلة) من ١٨إلي ٢٣ ، الوقتي بقم من ٧:٥ أقل من مراكب، كل ده أثر على الملاحة، وده اثر كمان على الناس اللي كان معاهم فلوس.. الناس دي معدتش كدة ..الناس بقيت تعبانة قوى .. اللي كان معاه فلوس، بقي معهوش الوقتى ...." . ويذكر(ص) وفقاً للكلام السابق أن كل الاشياء السابقة بالاضافة إلى ممارسات مكاتب التوريدات قد أثرت على فكرة الرواج الملاحي أو أيضاً على المستوي الاقتصادي الاجتماعي لهذه

الفئة . وفي ذلك يقول" ....إن الحاجات اللي قالها(م) وكمان الحاجات اللي احنا قولنا عليها زي ضرب الفواتير وتزويد الاسعار والسرقة، وكمان حرب الخليج اثرت على كل حاجة هنا عندنا في السويس ...المكاتب دي لوعملت بما يرضى الله ممكن يكسب كل واحد فيها حوا لي ٣٠ الف دولار في الشهر ... مش قنوعيين، لأنهم عايزين زي زمان كل واحد يجيله في اليوم شكارة فلوس .. ايوه الفلوس كانت بتيجي في الشيكارة ...عندك واحد زى(ع.ص) كان كل يوم يجيله شيكارة فلوس فيها ١٠٠ ألف جنيه ده كان عنده حوالي ٧ مليون جنيه..." .

وإذا كانت الفترات الأولى في الانفتاح الاقتصادي وحتي التالية لها، قد سمحت لهذه الفئة أن تراكم رؤوس أموالها سواء بطريقة مشروعة أو غير مشروعة، ذلك ما عبرت عنه حالات الدراسة و المقابلة الجماعية، إلا أن هذه الفئة لم تنعم بمثل ذلك في الفترات الأولى التي طرحوا فيها اسم الخصخصة أو حتى في فترة تسريع عمليات الخصخصة، وليس أدل على ذلك من إغلاق كثير من مكاتب تموين السفن، نتيجة لتقييد عمل هذه المكاتب بجمله من القوانين والتشديدات التي حدت من عمل هؤلاء نتيجة لتدخل التوكيلات الملاحية في أعمالهم، فضلا عن استخدام هذه القوانين في صالح الأفراد على هذه التوكيلات. ويؤكد ما سبق ذكره(ع) حيث يقول" ...كنا زمان بنشتغل كويس وكان في مصالح ....كان الواحد فينا بيرزق كويس ....وكل واحد عامل خميرة ....مكنش فيه تعقيدات ....الواحد كان يقدر يدخل كل حاجة الجمرك ويطلع منه سواء بطريق رسمي أو عن طريق المصالح ... كل حاجة بتمنها .....دلوقتي كل حاجة مسدودة كل حاجة فيها قانون ....الحكومة مفتحة عيونها أوى ...نازله تحط قوانين خلت معظم المكاتب تقفل..... دول عملوا شوية قوانية خدموا فيها اللي بيتشغلوا في التوكيلات ...كأن الحكومة جت عشان تخدم دول بس.... ومبتعملش لينا .... دلوقتي بقوا في التوكيلات هما أصحاب الشغل واحنا اللي بنشتغل عندهم دول بيخدوا من الناس أكثر ما بيكسب اللي بينفذ الشغل ..... تقولي خصخصة أيه..... خصخصة اي يا عم ماهو احنا القطاع الخاص ... بس قفلنا وقاعدين دي الوقت نستنا الدور ... دورنا في تموين سفن وزبالة وحراسة .... لان زي ما حنا قولنا قبل كده إن الحاجات الغالية عندنا وعدم نظافتها ورفع بنديرة المرور ونولوف اثر على الملاحة في

القنال ...وأحب اقولك برضه إن الجشع بتعنا ساهم في كده".... وينبري(أ)على اثر ما اثاره(ع)فيذهب بقوله" ....أنا مش عارف بالضبط هما يقصدوا ايه بالقطاع الخاص.... مش إنت تقصد يا بيه بالقطاع الخاص و الخصخصة أن الأفراد هما بيملكوا كل حاجة ... الحكومة والجرائد بتقول كده .... ولا فيه تعريف وقصد تانى ....إن كان كده أمال احنا نبقا ايه ...... احنا اتخدعنا لأننا جينا من اليونان عشان يبقي لينا مكاتب خاصة ومنشتغلش عند حد ..... يقوموا عشان يزودوا دخل الدولة يرفعوا بنديرة المرور بتاعة القنال،، تقوم المراكب تقل، وكما عشان الحاجة غالية في السوق فالمراكب ماعدتش بتطلب، وكمان تقوم تخلي التوكيلات تتحكم في الناس ...ياريت أنها بتنفذ القانون على كل الناس لا ده على ناس معينة، لان اللي بيدفع لهم هو اللي بيمشي حالة..." .

وعلى هدي ما سبق، تجمع حالات الدراسة انه، اذا كانت الدولة تدعو إلى خصخصة كل قطاع الدولة، أما عن طريق بيعها لشركات أو بيعها للأفراد، فإنها تهتم بذلك في قطاعات وشركات بعينها، أو أنها تعمل وفق سياسة الخطوة .لأنها في الوقت الذي تنفذ هذه السياسة في قطاعات معينة، فإنها تدير ظهرها إلى هذا القطاع –يقصد قطاع الملاحة والتوكيلات لملاحية –أو أن دوره لم يحن بعد . لقد خانت الدولة ذلك القطاع، بل الانكي من ذلك أنها لم تترك هذا القطاع و شأنه للقطاع الخاص ، راحت تشدد قبضتها عليه وتتحكم في كل أموره من خلال بيروقراطيتها . وكأن الدولة تعمل بروحين، في الوقت الذي تصفي فيه كل القطاعات التي تصف بالعمعمة، فإنها تبقى على ذلك القطاع تحت سيطرتها هيمنتها.

وفيما يتصل بقضية العقلانية التي اتصفت بها الرأسمالية الغربية، يجمع كل من تم مقابلته وأجريت عليهم دراسات الحالة، أن كل الحالات التي اشرنا إلى حروفها الأولى أبتعدت تماما عن هذه المسألة، و شاب تصرفاتهم النضخ التام، والدليل علي ذلك أنهم حاولوا أن يوظفوا أموالهم في طرائق غير مشروعة، فمنهم من سار في طريق اللهو، والتبذيروالبذخ، والآخر راح يقوم بكسر القوانين والتحايل عليها خاصة حينما نضب باب تكديس الأموال نتيجة فتح الدولة عيونها على هذا المجال. المهم في ذلك أن هذا القطاع انه كما بدأت هذه الشريحة من فراغ انتهت إليه أيضًا .لقد طويت صفحة مثل هؤلاء، لأنهم كما كانت الأمور سهلة في جمع

المال، كانت أيضًا سهلة في تبديدها .أن هذه الفئة لم تتعلم كيف تراكم رؤوس أموالها، أو كيف تعيد إنتاجها على أسس عقلانية سليمة، لذا يصدق عليها قول " فرانز فانون " أن مثل هذه البرجوازية غير مشغولة بالإنتاج أو الإبداع أو البناء، فضلاً عن أنها تعيش لذاتها وحسب.

و في نهاية هذا الفصل يمكننا أن نشدد على إننا نستند في طرح أوراق هذه القضية إلى رؤية خاصة تتمثل في مصلحة وطبيعة هذا العرض، تلك التي أمعنا النظر فيها من خلال سوسيولوجيا الأشكال الرمزية التي لا تتعلق بالانحياز إلى مجموعة محددة بقدر ما تتعلق بشروط اجتماعية ووجودية. وإذا كان البعض يرد الأشكال الرمزية إلى مصالح طبقة معينة . حيث تساهم الثقافة السائدة في خلق الانحياز الاجتماعي للطبقات العليا السائدة في المجتمع القائم ، فإننا نرد هنا بشكل قاطع، أن هذه الانحيازات تتبدى حينما يشعر المثقف بوطأة الأزمات التي تكتف المجتمع .أو التي تنعكس عليه نتيجة انتهاج سياسات معينة فرضتها ما يسمى بالدولة العالمية.و بيد أن المثقف لا يملك سوى أدوات الإنتاج الرمزية أو ما نطلق عليه نحن هنا بالرأسمالي الثقافي ، فإن هذه الوضعية تجعل منه عضوا في عملية قسمة العمل من جانب، وناقدا للاستراتجيات التي تنال من وضعيته، ومن وضعية العوالم الاجتماعية التي يدافع عنها المثقف.

إن وقوف سياسات الدولة العالمية من خلال سياسات العولمة ضد الطبقات الاجتماعية برمتها في العالم الثالث بشكل عام ، وفي مصر بشكل خاص، تعني بشكل أو بآخر أنها ضد تراكم الامتيازات الدنيوية. أو بقول آخر أنها كما هي ضد الطبقات الفقيرة، فإنها أيضاً لا تغلق أبواب الربح والعمل في وجه أكثر المجموعات "السراه" وذلك عن طريق تصدير نماذج تنموية رثة. إن إمعان النظر في مسائل العولمة يجدها تفضي إلى أن التطور الاقتصادي الاجتماعي السياسي مع افول عقد الثمانينات فرض أيديولوجية واحدة ووحيدة لعمليات التنمية، تلك التي يطلق عليها بأيديولوجية السوق، والتي من شأنها أن عمقت عملية الاستهلاك دون الاهتمام بالإنتاج، ذلك الأمر الذي يساهم في عملية تجنيسها أو تدويلها، واستقطاب و ضرب وتقليص دور الدولة في الاقتصاديات التابعة.

وغني عن البيان أن الدولة العالمية في سعيها لتهميش دور الدولة، وطرح عملية الاستقطاب الجديد كنوع من العولمة المتصاعدة،يعد انحيازاً لمصالح النظام العالمي الذي يسعى إلى تأبيد التخلف في المحيط " المدمر "أو ما يطلق عليه بالعالم الثالث، وإبقاء المراكز مهيمنة ومسيطرة على كل أصقاع العالم . أن ايلاء الانتباه إلى كل القضايا التي طرحناها قبل قليل في ضوء طبيعة الدولة في مصر، وتحالفاتها

التي نهجهاً بُعْيد تدمير دور الدولة وافول مناشطها أو قل أن حينما قوضت مركزية الدولة، وحولتها إلى السوق، فإنها أضعفت العمعمة (نسبة إلى القطاع العام)، وقوت من عملية الخصخصة (نسبة إلى القطاع الخاص) والرأسمالية غير الناضجة ، ذلك الذي يجعلنا وفق هذه الدراسة ان نسجل الملاحظات التالية:

أولاً :أن سياسات العولمة أو التدويل أو تجنيس العالم، أو الاستقطاب الجديد، وفق منطق الخصخصة أو ما يسمي بسياسات التكيف والتثبيت الهيكلي ، ما هو إلا ثورة مضادة لضرب الدولة ووأد أدوارها التنموية، في مقابل إحياء التحالف بين المجتمع والدولة والسوق والرأسمالية غير الرشيدة.

ثانياً :إن خطاب التنمية الذي يطرح نفسه في كل أصقاع العالم، يعمل على إنهاض التدويل، ذلك الذي يسعى إلى إنهاض فكرة قيام منظومة إنتاج عالمية، لا تكون الحدود أو الجغرافيا عائقا لها في مقابل ضرب النموذج الوطني المستقل وتكثيف عملية التبعية.

ثالثاً :أن صياغة الخصخصة كمشروع كوني أو اممي يتأتى من خلال فرض خطاب تنموي واحد من خلال بيوت المال العالمية التي تسعى إلى إجبار المدينين(العالم الثالث) للخضوع لأوامر الرأسمال الدولي وفق النهج الليبرالي الجديد .

رابعاً :أن التحولات التي شهدتها العوالم الاقتصادية المدمرة–اقصد العالم الثالث – خاصة بعد أن طرحت سياسات السوق والخصخصة، أصابت في مقتل دور الدولة في العالم الثالث كصمام أمن اجتماعي ، ومن ثم أثرت بشكل سلبي على دخول ومستويات الطبقات الدنيا و الوسطى ، وحري بنا أن نسجل، انه في الوقت الذي اثرت سلبياً على هذه الطبقات، فإنها انحازت لفئات أخري ، أو قل أنها أعادت إنتاج الطبقات الرأسمالية، التي كانت قد أضيرت في ظل السياسات الشعبوية.

خامساً: أن طبيعة المناشط الاقتصادية التي شهدتها الساحة المصرية في زمن العولمة تعبر بحق عن سيادة النشاط غير المنتج، ناهيك عن عدم سيادة ما يطلق بالصناعات الرأسمالية الكبيرة.

سادساً: أن نشوء الرأسمال (الجوانى) في مصر يأتي من خلال مساعدة الرأسمالي الدولى(البرانى)، ذلك الذي يسعى بقوة إلى سيادة المناخ ، مناخ رأسمالي رث ، يتساوق معه العلاقات الاجتماعية.

سابعاً: أن كانت سياسات الخصخصة في مصر تقف في صف الرأسمالية المحلية والأجنبية ، فهي في الوقت ذاته تدير ظهرها للطبقات الاجتماعية الأخري .

ثامناً : ثمة قطاع من الراسمالية المصرية لم يجن تراكماته المالية عن طريق الإنتاج ، بل ولج درباً غير مشروعاً . وريعياً غير منتجاُ ، ذلك الذي كان علي أثره أن أضحي من سراة المجتمع . وإذا كان ذلك كذلك في فترة مخاض الخصخصة ، فإن غداه نهجهاً كسياسة تنموية للدولة، فإنها أثرت سلبياًعليها ، الأمر الذي يعني بالنسبة لنا أن سياسات الخصخصة خانت الكل ، وأصابت في مقتل معظم الطبقات الاجتماعية القائمة في مصر .

المـــراجـــع

(*) اعتمادنا في هذه الدراسة علي مجموعة من الحالات لأصحاب هذه المهن الذين خضعوا قراري أو في مقابلة جماعية ، إذ من خلالها تم تفعيل ما يسمي بالجماعة المركزية . حول ذلك راجع دراستنا: ما بعد اللبيرالية : بنية العقل الرأسمالي في مصر ، رافقان للنشر ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

١- مثل هذه الدراسات نذكر:

- سامية سعيد ، من يملك مصر : دراسة تحليلية للأصول الاجتماعية لتنمية الانفتاح الاقتصادي في المجتمع المصري ، دار المستقبل العربي ، الطبعة الأولي ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

- عصام الخفاجي ، البرجوازية المعاصرة والدولة المشرقية ، دراسة مقارنة لمصر والعراق في : جدل (مجلة) ، بيروت ، أغسطس ١٩٩١ ، ص ١٧٣ .

٢- حول مفهوم الطفيلية : انظر علي سبيل المثال : محمود عبد الفضيل ، تأملات في المسألة الاقتصادية المصرية ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ١٩٨٣.

- إبراهيم العيسوي ، في اصلاح افسدة الانفتاح ، كتاب الأهالي رقم ٣ ، ستمبر ١٩٨٤.

(*) لم نحاول هنا إلا عرض ما يفيد موضوع وغرض الدراسة، لذا يجدني القارئ أننا تغاضينا عن سرد كل حالة علي حدة ، أو حتي نعرض لمقابلة الجماعية كوحدة واحدة .

الفصل الثامن

بنية العقل الرأسمالي:
طبيعة الوعي الثقافي

مقدمة:

يبحث هذا الفصل عن الأساس الذي ترتكز عليه القوالب الأساسية لمسألة الرأسمال الثقافي و الوعي الاجتماعي لدى عينة من الرأسمالية المصرية . وبكلام آخر، إننا إذا كنا نشدد على النسق الكامن في المعرفة العلمية، فإننا في الوقت عينه نتجاوز المظهر الذي تبدو عليه المعرفة من أجل النفاذ إلى تركيبها الباطن . ومن أجل ذلك فنحن لا نترفع على الرؤية الامبريقية، بل العكس صحيح، إننا نبتعد كل البعد عن التأمل، ونلجأ إلى الواقع .أن التفتيش عن عملية الوعي بالخصخصة يفرض ضرورة إعادة النظر في صورة العقل البرجوازي ، ورأسماله الثقافي ذلك الذي يتطلب القطيعة مع التأملات والنزول إلى الواقع،الذي يمكن أن يضمن انجاز هذا الموضوع على نحو علمي دقيق .ومن أجل تحقيق ذلك، فانه من المنطقي أن ندقق فيما يحويه البناء العقلي من تراكيب ومفهومات أو حتى رؤى للمستقبل.

ولانجاز ما سبق، فإننا نتقصى عن الوعي، الذي لا يهتدي إليه إلا على صعيد البناء المعرفي الذي يشكل العنصر الكلي الشامل في الثقافة .ولما كان هذا البناء خفي ، ولا يوجد على السطح الخارجي فإن اكتشافه لن يتم الا عن طريق العقل، ومن خلال التحليل البنائي الذي يسعى إلى الوصول إلى الذهن الجمعي البشري.

وعلى ما تقدم، فانه إذا كان المقصود بالبنية هنا أنها نسق العلاقات الباطنة ذات القوة الخاصة التي تتصف بالوحدة الداخلية، فإننا نقصد بالبنية العقلية مايلي:

أولاً :أنها تصور عقلي أقرب إلى التجريد منه إلى اليقين، أو بمعنى اخر يعني ما نعقله بصياغات منطقية من علاقات الأشياء لا الأشياء ذاتها.

ثانياً :أن ما تحويه بنية العقل من تصورات يتصف موضوعاتها بأنها حقيقة لا شعورية لا تظهر بنفسها بل تدل عليها آثارها أو نتائجها.

ثالثاً :أن البنية بتصوراتها وموضوعاتها هي الحقيقة اللاشعورية الكامنة في عقولنا المدركة التي تشكلت الان ، أكثر مما تشكلت عبر الزمان والوقت.

رابعاً :أن البنية العقلية تكن في ذاتها، ولا تتطلب لإدراكها اللجوء إلى أي من العناصر الغريبة عن طبيعته[1] .

جماع ما سبق إننا في هذا الفصل نسعى إلى الوقوف على جملة الأفكار والمعارف، أو المجموعات المتفاعلة من الأفكار التي تكونت في ضوء التأثيرات الجوانية والبرانية، وعكستها مسألة الوجود الاجتماعي.ولإنجاز ذلك، فإن الفصل الراهن يستند علي دراسة ميدانية على عينة من شرائح الرأسمالية. في المجتمع المصري، تلك التي كشفت عن طبيعتهم الإحصاءات الرسمية الخاصة بالاستثمار[2]

أولا :شكل وطبيعة العينة

لمعرفة خصائص عينة الدراسة من حيث الشكل والطبيعة، فانه الجدول رقم (١) يوضح توزيع المبحوثين وفقا لفئات السن والذي يبين من خلاله أن الفئة التي تضم من ٥٠ إلى اقل من ٦٠ نسبة قد احتلت المرتبة الأولى ، إذا ضمت ما يقر من ثلثي العينة، إذا حققت نسبة تقدر بحوالي ٦١,٨ ٪ .ثم تأتي في المرتبة التالية الفئة من ٤٠ إلى اقل من ٥٠ ، حيث حققت نسبة تقدر بنحو ٥ر ١٣ ٪ .ويأتي الفئة من ٣٠ إلى اقل من ٤٠ في المرتبة الثالثة بواقع ٨ ١١,٨ ٪ .ثم تأتي بعد ذلك الفئة من ٢٠ فأقل بنسبة تقدر بنحو ٧,١ ٪ .أما الفئة من ٦٠ فأكثر فقد حققت المرتبة .٪ الأخيرة إذ بلغت نسبتها نحو ٨,٥٪ إن المتأمل في فئات السن السابقة وخاصة من المركز الأول حتى الربع، نجد أنها تتشابه مع طبيعة الواقع القائم حيث أن تحقيق الثروة في مصر في الغالب يأتي في مرحلة عمرية متأخرة وذلك يرجع إلى طبيعة الواقع الاقتصادي الذي تفرض ظروف خوص مشوار تاريخ طويل من أجل متراكمة رؤوس الأموال.

---

[1] - حول هذه الافكار بمكن الرجوع الى: جان بياجيه، البنيوية ،ترجمة عارف منيمنه وبشير اوبري ، منشورات عويدات ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٢.

الظاهر وعزيز، بنيوية كلود ليفى –شتروس ، دار الكلام، الرباط ١٩٩٠

أديت كيروزويل ، عصر البنيوية ، ترجمة جابر عصفور، افاق، بغد اد، ١٩٨٥.

2- عن طبيعة هذه الاحصاءات راجع :

الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ، موقف الإنتاج الاقتصادي في جمهورية مصر العربية، القاهرة ،١٩٩٢.

(جدول رقم١)

يوضح توزيع عينة الدراسة وفقا لفئات السن

الفئة	التكرار	النسبة٪
٢٠ - أقل من ٣٠	٢٣	٧,١
٣٠- أقل من ٤٠	٣٨	١١,٨
٤٠- أقل من ٥٠	٤٤	١٣,٥
٥٠- أقل من ٦٠	٢٠١	٦١,٨
٦٣- فأكثر	١٩	٥,٨
المجموع	٣٢٥	

واستكمالا للكشف عن طبيعة وخصائص عينة لدراسة، فإن الجدول رقم (٢) يكشف عن الحالة التعليمية لعينة الدراسة، تلك التي عكست تباينة وضاحا بينهم . فينما يحقق التعليم المتوسط نسبة تقدر بنحو ٨,٣٧ ٪، فإن التعليم العالي قد انخفض عن المتوسط بنحو ٥. ١٪ .وإذا كان التعليم المتوسط قد احتل المرتبة الأولى ، وإن التعليم العالي قد حقق المرتبة الثانية، فإن نسبة المبحوثين الذي لن يحققوا اي قدر من التعليم، فقد بلغوا نحو ٨ .٢٥ ٪ وهي تعتبر نسبة كبيرة.

(جدول رقم٢)

يوضح توزيع عينة الدراسة وفقا للحالة التعليمية نوعية التعليم

نوعية التعليم	التكرار	النسبة٪
بدون	٧٩	٢٥,٨
متوسط	١٢٣	٣٧,٨
عالي	١١٨	٣٦,٣
أخرى تذكر	-	-
المجموع	٣٢٥	

وبالنظر إلى توزيع عينة الدراسة وفقا للمهنة، فإن الجدول رقم (٣) يبين أن المهن تنوعت بشكل ملحوظ وتأثرة وفقا لاقليمها وتراكماتها الرأسمالية . فاذا قسمنا هذا النشاط إلى ثلاث فئات، نجد أن الفئة الأولى التي تضم المنتجات الخشبية وصناعة

النسيج والسوبر ماركت وشركات السياحة ،٪ قد احتلت المراتب الأولى ، إذ حققت على التوالى١٤,١٪،٩,٨،٩٪، ٨,٩٪، ٨٪، ٧,٤٢٪، ثم جاءت في المراتب الثانيةتصنيع الخزف والصيني والسيراميك بنسبة١٥,٥٪، والمنتجات الورقية بنسبة ٢. ٥٪، وشركة تعبئة المواد الغذائية بنسبة ٩. ٤٪ وشركات الصرافة بنسبة ٦. ٤ ٪ والبلاسيتك ٣. ٤٪وشركات المقاولات بنسبة ٤٪، ثم جاءت في المراتب الأخرى ، شركات التوريدات البحرية بنسبة ١,٨٪ وشركات تجهيز السوبر ماركت والمعدات الصناعية بنسبة ٢٪ إن المتأمل في هذه النشاطات يستطيع أن يكشف ما يلى-:

أولاً :سيادة النشاطات غير المنتجة، تلك التي احتلت مكانة متقدمة في حجم العينة.

ثانياً :عدم سيادة ما يطلق عليه بالصناعات الرأسمالية الكبيرة، وسيادة الصناعات التجهيزية أو الوسيطة.

(جدول رقم ٣)

يوضح توزيع عينة الدراسة حسب المهنة أو النشاط

أنواع الأنشطة	التكرار	النسبة٪
صاحب شركات وتوريدات بحرية	**٦**	**١,٨**
صاحب شركة صرافة	**١٥**	**٤,٦**
صاحب مصنع زجاج	**١٣**	**٤**
صاحب مصنع بلاستيك	**١٤**	**٤,٣**
صاحب مصنع نسيج	**٢٩**	**٨,٩**
صاحب خزف وصيني وسيراميك	**١٨**	**٥,٥**
صاحب شركة تعبئة مواد غذائية	**١٦**	**٤,٩**
صاحب شركة سياحية	**٢٤**	**٧,٤**
صاحب مصنع بلاط الارضيات	**٢٣**	**٧,١**
صاحب مصنع المنتجات الخشبية	**٤٦**	**١٤,١**
صاحب مصنع المنتجات الخشبية	**١٧**	**٥,٢**
صاحب مصنع بويات ومنتجات كيماوية	**١٢**	**٦,٧**
مستشفيات	**٣٢**	**٩,٨**
صاحب شركة نقل عربات ثقيلة	**٩**	**٢,٧**
صاحب شركة مقاولات	**١٣**	**٤**
شركة تجهيز سوبر ماركت والشركات الصناعية	**٢**	**٠,٦**
صاحب سوبر ماركت	**٢٦**	**٨**
المجموع	**٣٢٥**	**١٠٠**

ثانياً :في الوعي الاجتماعي والسياسي

وللوقوف على مدى الوعي بالأحزاب والانتماء وعملية المشاركة السياسية، فإن الجدول رقم (٤) يوضح أن حوالي ٦,٦٢ ٪ لا ينتمون إلى اي حزب، بينما نجد في المقابل نحو ٤. ٣٧ ٪ ينتمون إلى حزب معين.

(جدول رقم ٤)

يوضح توزيع المبحوثين حسب إنتمائهم لأي حزب

هل تنتمي إلى حزب	التكرار	النسبة٪
نعم	١٠٢	٣٧,٤
لا	٢٢٣	٦٢,٦
المجموع	٣٢٥	

وللوقوف على أي الأحزاب ينتمي هؤلاء، فإن الجدول رقم (٥) يفرز أن نحو ١. ٤٦ ٪ منهم ينتمي إلى الحزب الوطني ، وان نحو ٤. ٣١ ٪ ينتمي إلى حزب العمل، وان ٦,٢٠ ٪ ينتمي إلى الوفد، بينما ينتمي النسبة الباقية وهي ٩. ١٪ إلى حزب الاحرار . ويوضح الجدول أيضًا أن حزب التجمع والامة والحضر والعدالة والناصري لم تكن لهم عضوية تذكر.

(جدول رقم ٥)

يوضح توزيع المبحوثين حسب إنتمائهم الحزبي

الانتماء للاحزاب	التكرار	النسبة٪
نعم	١٠٢	٣٧,٤
لا	٢٢٣	٦٢,٦
المجموع	٣٢٥	

وفي إطار ما سبق أيضًا فإن للوقوف على مدى وعي عينة الدراسة بالأحزاب الموجود ة على الساحة السياسية في مصر، فنجد أن نحو ٦. ٨٨ ٪ قد اقروا بمعرفتهم بهذه الأحزاب انظر الجدول رقم(٦).

جدول رقم (٦)

توزيع المبحوثين حسب نوع الحزب المتمين إليه

الحزب الذي ننتمي أليه	التكرار	النسبة
الحزب الوطني	٤٧	٤٦,١
حزب الوفد	٢١	٢٠,٦
حزب العمل	٣٢	٣١ .٤
حزب التجمع	–	–
حزب الأمة	–	–
حزب الأحرار	٢	١ .٩
حزب الخضر	–	–
حزب العدالة	–	–
حزب الناصرية	–	–
المجموع	١٠٢	

وللوقوف على مدى معرفة هؤلاء بالأحزاب الموجودة بالفعل انظر الجدول رقم (٧) ، فنجد أن نحو خمس هذه النسبة قد ذكرت الأحزاب الموجودة بالفعل، بينمان نجد أن نحو ٧. ٥٩ ٪ قد ذكروا أن الأحزاب الموجودة هي الوطني والوفد والاحرار والناصري والعمل، كما أن هناك نحو ٨. ١٨ ٪ قد بعدوا عن التسميات الحقيقية لهذه الأحزاب، وحاولوا الدفع بصفاتها الأيديولوجية، حيث ذكروا أن الأحزاب الموجودة هي الحزب الاسلامي ، وحزب الحكومة، والحزب الشيوعي

جدول رقم (٧)

يوضح معرفة المبحوثين بالأحزاب الموجودة في مصر

هل تعرف الأحزاب القائمة	التكرار	النسبة
نعم	٢٨٨	٦. ٨٨

لا	٣٧	١١,٤
المجموع	٣٢٥	

وحول ما اذا كانت هذه الأحزاب لها وجود لدى القاعدة الشعبية فإن نحو ٣٩ .٨٨٪ من عينة الدراسة قد نفت ذلك، في مقابل نحو ١. ١١ ٪ قد ايدت ذلك.

إن المدقق فيما سبق يستطيع أن يستدل على أن التداعي في عملية الوعي السياسي مرتبط اشد الارتباط بعملية المشاركة السياسية فضلا عن عملية تهميش الوعي بعملية المشاركة الذي يرتبط بالاساس بفكرة أساسية أن كل شيء معد سلفا من قبل الدولة ،فضلاً عن أن السياسة تميز موقعها خارج التكوين الاجتماعي والاقتصادي العام، حيث أن هذه الجماعات يصبح همها هو الالتزام وجمع الأموال، فضلا عن أن هذه الجماعات لاتتواجد في داخل مؤسسات انتاجية مستقرة، مما يصعب ولوجهم في اتون العملية السياسية.

جدول رقم (٨)

يوضح معرفة المبحوثين بأسماء الأحزاب الموجودة في مصر

أسماء الأحزاب	التكرار	النسبة
الحزب الوطني	–	–
الوفد	١٧٢	٥٩,٧
الأحرار	–	–
الناصري–	–	–
العمل	–	–
كل الأحزاب	٦٢	٢١,٥
الاسلاميين	–	–
الشيوعيين	٥٤	١٨,٨
الحكومة	–	–
المجموعة	٢٨٨	

وعن توقيت أقامة عينة الدراسة لمشروعاتهم، فإن كل عينة الدراسة قد أفادت بانهم قد أقاموا مشروعاتهم بعد الانفتاح الاقتصادي ، وعن مصدر رأس المال الخاص لمشروعاتهم قد جاء من خلال العمل بالخارج، بمعنى آخر أن التراكمات الرأسمالية

الخاصة بهم جاءت من خلال العمل بالدول النفطية أو الأجنبية، ثم افاد نحو ٨. ٢٥ ٪ بأنهم أقاموا مشروعهم نتيجة تراكمات رأسمالية تمت بالداخل، وان ٪ ٢٤ ٪ منهم بانهم ورثوا هذه الأموال، ثم افاد نحو ١. ٧ بأنهم أقاموا مشروعاتهم عن طريق مساعدة البنوك ذلك الذي يعد عن اتجاها داخليا وخارجيا لنشوء رأسمالية من نوع خاص ومن ثم سيادة مناخ خاص يسعى إلى رسملة العلاقات الاجتماعية و الإنتاجية في مصر واذا كانت الدولة قد لعبت دورا محوريا في سيادة العلاقات الر أسمالية في مصر .فإن ذلك يتوضح بشكل اساسي في رضي عينة الدراسة عن الانفتاح الاقتصادي حيث يرضى عن هذه السياسة نحو١. ٩٩ ٪، بينما نحو ٩,٠ ٪ يبدون عدم رضائهم أن ما سبق يوضح بدون مواربة أن المصالح الطبيعة هنا تلعب دورا محوريا في ذلك .

ان الأموال قد طرأ عليها زيادة كبيرة ٣. ١١ ٪ زيادة معدلات التجارة الخارجية، تحول المجتمع من حالة الانغلاق إلى الانفتاح، اتاح قيام المشروعات الخاصة ازدياد حجم المشروعات الاقتصادية، أفول عملية التأميم، إقامة السلام وقف عملية الحروب. جدول رقم (٩)

جدول رقم(٩)

يوضح توقيت إقامة المبحوثين لمشروعاتهم

"المشروع إللى انت عملته كان قبل فترة الانفتاح ولا بعدها".

التوقيت	التكرار	النسبة ٪
قبل	–	–
بعد	**٣٢٥**	**١٠٠**

وللوقوف على أسباب رضا أو عدم رضا عينة الدراسة عن ذلك، فإن الجدول رقم(١٠) يوضح أن أسباب رضاهم يعود إلى الأسباب التالية[1] ارتفاع المستويات المعيشية وقد حققت نحو ٦ر ٤٤٪ أن المجتمع المصري اصابه انتعاش اقتصادي واجتماعي ٨. ٤٢ ٪ أن الافراد استطاعوا أن يقيموا المشروعات التي يرغبون فيها ٦. ٩٩ ٪.

[1] هذه الأسباب مرتبة وفقا لاعلى الاستجابات وهي كانت على التوالي ٤٤,٦٪، ٤٢,٨٪، ٣٩,٦٪، ١١,٣٪، ١٠,٨٪، ١٠,٤٪، ٩٪، ٥,٤٪، ٥٪، ٦٢,٧٪.

جدول رقم (١٠)

أسباب تأييد المبحوثين للانفتاح الاقتصادى

الأسباب	التكرار	٪
١- ارتفع مستوى المعيشة	٢٠	٩٪
٢ -بقي فيه انتعاش اقتصادي واجتماعي في البلد	٢٣	١٠,٤٪
٣ -يقدر الواحد يعمل المشروع اللي هو عايزه	٢٥	١١,٣٪
٤- زادت الفلوس في البلد	٩٩	٤٤,٦
٥- زادت عملية التجارة بيننا وبين الخارج	١٢	٥,٤
٦- نقل البلدان من الانغلاق إلى الانفتاح	٩٥	٤١,٨
٧- لانه اتاح مشروعات خاصة كثيرة	١١	٥
٨- زود حجم المشروعات	٨٨	٣٩,٦
٩- الناس اغتنت	١٢	٥,٤
١٠-الافراد معدوش بيتأممو	٢٤	١,٠٨
١١- ساعد في عملية السلام	١٦	٢,٧

وفي ضوء ما سبق وللوقوف على أفضل الحقب التاريخية، نجد أن القسط الاكبر من عينة الدراسة اوضحت أن الحقب الساداتية هي أفضل الحقب، في ضوء مكانتها بالحقبة الحالية والحقبة الناصرية، فبينما لم تحقق الاخيرة (اقصد الناصرية) أي الاستجابة، فإن الفترة الحالية حققت نحو ٤٪أنظر الجدول رقم (١١)

جدول رقم(١١)

يوضح معرفة المبحوثين بأفضل الحقب التي مرت بها مصر

أفضل الحقب	التكرار	النسبة٪
فترة عبد الناصر	–	–
فترة السادات	٣١٢	٩٦
الفترة الحالية	١٣	٤
المجموع	٣٢٥	

ويعود من وجهة نظر المبحوثين لتفضيل الحقبة الساداتية إلى مجموعة من الأسباب هى :

انظر الجدول رقم(١٢)

١ –أن المجتمع المصري الذ ي قد اصابه تحرر اقتصادي وانفتاح على الخارج.

٢ –أن الواقع الاقتصادي قد اصابه الانتعاش.

٣ –سيادة العلاقات غير العدائية مع الغرب واسرائيل.

٤ –أن السلطة السياسية كان شغلها الشاغل هو حدوث طفرة في الدخول لدى كل أفراد الشعب.

٥ –وجود موارد اضافية كانت قد تعطلت في فترة الحرب، ولعل اهمها هي قناة السويس.

جدول رقم (١٢)

يوضح أسباب تفضيل المبحوثين للحقبة الساداتية

أسباب التفضيل	التكرار	النسبة٪
كان فيه شغل ومصالح كثيرة	**٨٧**	**٢٧,٩**
الفناة اشتعلت وكان فيه شغل كثير	**٥**	**١,٦**
عهد عبد لناصر مكنش فيه فلوس	**١٤**	**٤,٥**
اتحررنا وانفتحنا على الخارج، كثرت المشروعات	**١٢٢**	**٣٩,١**
السادات عايز الناس تتغنى	**١٥١**	**٤,٥**
العلاقات مع الغرب كانت تؤثر	**٥٢**	**١٦,٧**
المجموع	**٣١٥**	

وفي مقابل الأسباب السابقة، كان تأييد المبحوثين للحقبة . الحالية، يقود للأسباب التالية انظر الجدول رقم(١٣)

١ –انها ترشيد سياسة الانفتاح الاقتصادي والبعد عن عملية الاستهلاك.

٢ –تزايد المشروعات الإنتاجية وزيادة حد الاعفاءات الضريبية.

٣ –تصاعد وتأثر الديمقراطية، وتخفيف حدة الروتين.

٤ –تزايد عملية التقارب العمري بعد عملية المقاطعة في الفترة الساداتية.

جدول رقم (١٣)

يوضح أسباب تأييد المبحوثين للحقبة الحالية

الأسباب	التكرار	النسبة ٪
انها رشدت الانفتاح وبعدت عن الاستهلاك	**٨**	**٤٦,٢**
المشروعات التي كانت كلها صناعية	**٣**	**٢٣,١**
حررت المشروعات من الروتين	**٩**	**٦٩,٢**
فتحت حد الاعفاءات ١٠ سنوات	**٦٢**	**٤٦,٢**
أتاحت للاجانب حق الملكية	**٥٠**	**٣٨,٥**
اللي عايز يقول رأيه يقدر وبحرية والتقارب بين العرب.	**٨**	**٦١,٥**
المجموع	**١٥٠**	

وفيما يتصل بموقف المبحوثين من مسألة بيع القطاع العام، فقد اوضحت نتائج الدراسة أن نحو ثلاثة ارباح العينة توافق على بيع القطاع العام، في مقابل ٣ر ٢٤ ٪ على ذلك وان كان ذلك يعكس موقفا طبقيا واضحا واجتماعيا من عملية القطاع العام، فإن الأسباب التي دفعوا لها لعملية البيع كانت تتمثل فى:

١ –أن شركات القطاع العام هي شركات خاسرة.

٢ –أن شركات القطاع العام كان همها الأول هو الكم وليس الكيف.

٣ –أن شركات القطاع العام كانت تضم عمالة كثيرة غير منتجة.

٤ – ان الادارة والموظفين لا يعنيهم سوى الارباح، أما عملية الإنتاج فتأتي في آخر المطاف.

٥ –أن معظم شركات القطاع العام يحدث بها تجاوزات ادارية وقانونية كثيرة [1] .

واذا كان ما سبق يمثل جملة العوامل التي دعت المبحوثين إلى الموافقة على بيع القطاع العام، فإن العوامل التي تقف مخالفة لذلك، الابقاء على بيع القطاع العام، فإنها تدور حول ما يلى:

١ –أن بيع القطاع العام لن يعود بفائدة على الشعب.

٢ –أن عملية بيع القطاع العام وتحويله إلى القطاع الخاص سوف يضرب بالطبقة العاملة، أو بمعنى اخر انه سوف يتم تسريحهم.

٣ –أن عملية تقدير اثمان وحدات لن يكون صحيحا، وانما سوف تقل عن ثمنها الاصلى.

٤ –أن الأموال التي ستخلف نتيجة عملية البيع لن توضع في مكانها الصحيح.

٥ –أن عملية بيع القطاع العام ستن في إلى الابد عملية المنافسة بينه وبين القطاع الخاص . اي أن الساحة سوف تبقى خالية امام الاخير.

٦ –أن عملية بيع القطاع العام سوف تحدث حراكاً اجتماعيا زائفاً لدى فئة معينة من القائمين على عملية البيع.

٧ –أن عملية بيع القطاع العام للقطاع الخاص ستسمح بالاحتكار والتحكم في كل الاشياء.

٨ –أن عملية بيع القطاع العام سوف تريد من عملية البطالة[2] .

وحري أن المبحوثين في وجود معارضين بين القطاعين العام والخاص، فقد اوضحت المعطيات الامبريقية، أن نحو ٩٩,٤٪ قد افادوا بوجود هذا التعارض، وعن طبيعة هذا التعارض، فإن الجدول رقم (١٤) يوضح ما يلى:

١ –أن القطاع الخاص يستند في ملكيته الافراد بينما القطاع يستند إلى المجموع.

٢ –أن القطاع العام يخدم بإنتاجه كل المستويات، بينما القطاع الخاص يخدم فئات محددة، تلك التي تتحدد في الطبقات الميسورة.

---

[1] سجلت هذه البنود على التوالي النسب التالية : ٢٦,٤% ، ٢١,٥% ، ١٩,١% ، ١٣% .

[1] - لقد جاءت بنود عدم الموافقة على النحو التالي مرتين:

٦٧,١% ، ٤٥,٦% ، ٣٤,٠% ، ٣١,٦% ، ٢٤% ، ٢١,٥% ، ١٥,١% ، ١٣,٣% .

٣ –القطاع العام يضم بين جنباته عدد كبير من العمالة، بينما القطاع الخاص يضم فئات محددة، وتطرد أيضًا محدودة التي تحقق أن بولوجيا.

٤ –القطاع العام يعمل وفق لوائح الدولة بينما القطاع الخاص يعمل وفق قوانين خاصة من شأنها أن تعمل لخدمة رأس المال.

٥ –أن القطاع العام يقوم بدور خدمي ، بينما يسعى القطاع الخاص إلى مراكمة رؤوس الأموال.

٦ –القطاع الخاص يمكن أن يتعامل مع الشركات الأجنبية بينما القطاع الخاص يتحدد بنظم وقوانين لا تساعده في ذلك.

٧ –أن الروتين والنظم واللوائح تجد من انطلاق القطاع العام سواء في التطوير أو التكنولوجيا بينما القطاع الخاص يمكنه عمليات الانجازات والتطوير [1]

وفي ضوء هذه المقارنة فقد اوضح المبحوثين أن من الصعوبة بمكان أن يقوم القطاع الخاص بما يقوم بهن القطاع الخاص اذا أكد على ذلك نحو ٢,٨٢ ٪ وكان عكس ذلك نحو ٨,١٨ ٪ واذا كانت هذه النسبة توضح عجز القطاع الخاص الاضطلاع بما يقوم بالقطاع العام ،فقد رأت عينه الدراسة أن القطاع العام من خلال ما يقوم به من مناشط تحقيق خسارة واضحة. وفي ذلك اوضحت نحو ٤,٧٩ ٪..ذلك، بينما رأى نحو ٦,٢٠ ٪ انه يحقق مكاسب واضحة فكانت الأسباب من وجهة نظرهم تعود إلى الدولة تؤله كل شيء، كما انها تدعيمك الأسباب، وان منتجات توجه إلى جزء كبير من السكان.

٢– جاءت نسب هذه البنود على التوالي كما يلي:
٢٨,٥% ، ٢٤,١% ، ٤٣,٨% ، ٢٦,٣% ، ٢٠,٧% ، ١٦,٦% ، ٤١,٨% ،
، ٦,١٦٪ ، ٧,٢٠٪ ، ٣,٢٦٪ ، ٨,٤٣٪ ، ١,٢٤٪ ، ٥,٢٨٪. ٨٠٪.

جدول رقم (١٤)

يوضح وجهة نظر المبحوثين المؤيديين لوجود تعارض بين القطاع العام والخاص

أسباب التعارض	التكرار	النسبة٪
١ -ده ينتج لكل القطاعات وده ينتج لقطاع معين هو متوسط الحال والفقراء.	**١٩٢**	**٢٨,٥**
٢ -هيبقي فيه منافسه	**٢٧٨**	**٢٤,١**
٣ -القطاع العام ما بيعملش على توفير العمال والادارة ومبيعملش على رفع الاسعار والروتين لحكمه.	**١٣٥**	**٤١,٨**
٤ -القطاع العام يعمل وفق لونح .أما القاع الخاص حر.	**٨٥**	**٢٦,٣**
٥ -الدولة تستخدم القطاع العام في توظيف العمالة، أما القطاع الخاص، فيستخدم العمالة، أما القطاع الخاص فيستخدم العمالي إلى هيه عايزاه بس.	**٦٧**	**٢٠,٧**
٦ -القطاع العام مش بيعمل على الارباح الكثيرة، أما القطاع الخاص فهو يعمل على الارباح.	**٥٤**	**١٦,٦**
٧-القطاع الخاص ممكن يتعامل مع الشركات الأجنبية بسهولة .ده مش ممكن للقطاع العام.	**٥٨**	**,١٧٪ ٩**
ك	**٣٢٣**	

واذا كانت هذه الأسباب هي التي تؤيد القطاع العام إلى المكسب، فإن هناك أيضًا بعض الأسباب التي تجعل القطاع العام يحقق خسائر، وهذه الأسباب هى : انظر الجدول رقم(١٥)

١ -أن الدولة تقدم الأسباب بأقل من تكلفتها حيث تقدم الدول الدعم له.

٢ -أن خسارة القطاع العام تتمثل في س يادة الروتين وعدم الانجاز.

٣ -أن القطاع العام يعج بالعمالة الزائدة أو ما يسمي بالبطالة المقنعة.

٤ -قصور الادارة واللوائح والقوانين.

واذا كانت الدولة تؤيد القطاع العام في فترة الستينات، فهل الدولة تحولت من هذه الأيديولوجيا إلى أخرى ، فإن ٨,٩٨٪ من عينة الدراسة اكدت ذلك . وعلى الرغم من تحول بوصلة الدولة في تدعيم القطاع الخاص فانه في إطار ذلك . فانهم نحو ٨,٦١ ٪ أي منهم المبحوثين مع بيع القطاع العام إلى القطاع الخاص المحلي أو الأجنبي تحت اسم المشاركة أو شراء الاسهم .وان أسباب موافقتهم تعود الى:

١ –انه من خلال عملية بيع وحدات القطاع العام سيتوفر للدولة الأموال اللازمة من أجل تطوير المشروعات الاخرى.

٢ –ضرورة كف الدولة عن التدخل واطلاق كل شيء لعملية السوق أو ما يسمى بالعرض والطلب.

٣ –عدم تدخل الدولة في عملية الاسعار أو حتى نوعية المنتجات.

٤ –الحد من عمليات الروتين وتوظيف الافراد.

٥ –إعطاء الفرص لانطلاق المبادرات الخاصة وعدم العودة لمسألة التأميم[1].

جدول رقم(١٥)

يوضح اراء المبحوثين تجاه أسباب خسارة القطاع العام

الأسباب	التكرار	النسبة٪
١ –دي مصانع الدولة كانت بتقدم الاسعار مدعومة بأقل من اسعارها وكمان هي بتوفير لها كل حاجة	**٧٦**	**%٢٩,٥**
٢ –الروتين هو السبب في اللي يحترق	**٩٧**	**%٢٩,٨**
٣ –كان فيه ناس عندها ضمير	**٥٣**	**%١٦,٣**
٤ –فيه ناس كانت بتخلق ثغرة في القانون	**٢١**	**%٦,٤**
٥ –العمالة كثيرة	**٦٦**	**%٢٥,٦**
٦ –الادارة مبيهماش غير مصالحها	**٤٥**	**%١٣,٨**

وإذا كان ذلك هي جملة الأسباب ال تي دعت عينة الدراسة إلى الموافقة على عملية البيع، فإن هناك نحو ٢,٣٨ ٪ لا يوافقون على عملية البيع، اذ يعتبرونها من

[1] جاءت هذه الاستجابات على التوالي كمنا يلي : ٤٤,٣%، ٣٨,٣% ، ١٣,٤% ، ٣٠,٨% ، ٧,٥%

الاخطاء الجسام التي قبلت الدولة طواغية لذلك، وبها خضعت لمشورات البيوت المالية، فإن أسباب عدم الموافقة

ترجع إلى الأسباب التالية:

١ -إن هدم القطاع العام لن يعود بالنفع على الشعب كله، وانما سوف يعود إلى فئة قليلة منهم.

٢ -أن بيع القطاع العام لن يتم بقيمته الحقيقية اذ أن هناك فئة (مافيا) تسيطر على ذلك وتعمل على بخث أثمانه.

٣ -أن عملية القطاع العام سوق ينت في إلى الابد عملية المنافسة سواء في السعر أو في الجودة.

٤ -أن عملية القطاع العام إلى القطاع الخاص سوف يقضي على وجود الصناعات الثقيلة لان القطاع الخاص لايسعى الا إلى الربح[1] .

وحول رؤية المبحوثين إلى أن الفئات الاجتماعية تقف معها سياسة الخصخصة أو بمعنى آخر، في صف من تقف سياسة الخصخصة، فقد افادت الدراسة أن هذه السياسة تصف بقوة في صف الرأسمالية المحلية والأجنبية اذا حصلت هذ ه على نحو ٨,٩٠ ٪ بينما اجادت نحو ٢,٩ ٪ على أن هذه الدراسة تقف في صف كل الناس .أنظر الجدول رقم (١٦)

---

[1] جاءت نسبة هذه الاستجابات كما يلي : ٢٨,٨%، ٩,٦% ، ٣٧,١%، ١٨,٥

جدول رقم (١٦)

يوضح رأى المبحوثين في محاباة الخصخصة للفئات الاجتماعية

الأسباب	التكرار	النسبة٪
الرأسمالية المحلية والأجنبية	**٢٩٥**	**%٩٠,٨**
الموظفين	**٣٢٥**	–
الفقراء	–	–
في صف كل الناس	–	**٩,٢**
أخرى تذكر	–	–
المجموع	**٣٢٥**	

واذا كانت عينة الدراسة قد اجمعت على أن سياسة الخصخصة تعمل في صاحب رؤوس الأموال، فإن هناك نسبة كبيرة أيضًا رأت أن هذه السياسة قد تؤثر على مشروعاتهم و في ذلك افاد ٨,٧٨ ٪ بينما رأى عكس ذلك .٪ نحو ٢,١٢١ وبسؤال المبوحثين عما اذا توفر لهم أموال هل يوظفونها في نفس المشروع ام في مشروعات أخرى ، فقد افاد نحو ٦,٩٢ ٪ بأنهم لا يوافقون على ذلك، وان السبب في ذلك يراجع الى :انظر الجدول رقم(١٧)

١ –انه لا يريد التقيد وهو غير متخصص في غير ذلك.

٢ –انه يخاف من عملية التغير أو يحدث كما حدث لمشروعات الريان.

٣ –السوق جبان ولايحتمل الخسارة. واذا كان هناك من يرى في نفسه عدم الخسارة لتغير النشاط أو توظيف الأموال في غير المشروعات التي يقوم بها، فإن هناك من يرى عكس ذلك ومن وجهة انه يستطيع نشاط شريطة:

١ –أن يكون توظيف الأموال في المشروعات التي تجني الارباح بسهولة وبسرعه.

٢ –أن يتم تدور المنتجات ولا تصبح منتجاتها راكدة.

٣ –أن هناك من يجب تغير النشاط ويبحث عن الجديد.

جدول رقم (١٧)

يوضح أراء المبحوثين في موقفهم من توظيف مدخراتك في مشروعات اخرى

البيان	التكرار	النسبة
أوافق	٢٤	٧,٤
لا أوافق	٣,١	٩٢,٦

ولكي ندلل، على ذلك فإننا ننظر بعمق إلي جدول رقم (١٨) وضح المشروعات التي يمكن أن يوظف فيها المبحوث أمواله، والذ ي يتضح أن مشروعات الاكل والشرب تحتل المرتبة الأولى بنسبة تقدر بنحو ٥٠ ٪ باعتبار أن الناس لا تكف ضمانا لبقائهم فيزيقيا على قيد الحياة، وتأتي في المرتبة الثانية مشروعات تجارة الملبوسات التي حققت نسبة تقدر بنحو ٧,٩٧ ٪ أما العقارات فتأتي
في المرتبة الثالثة بنحو ٥,٣٣ % .

جدول رقم (١٨)

يوضح اراء المبحوثين في نوعية المشروعات التي يمكن أن يوظف الرأسمالية أموالهم

نوعية المشروعات	التكرار	النسبة٪
١ -الاكل و الشرب	٩	٣٨,٥
٢ -الملابس	١٢	٥٠,٥
٣ -الذهن	٦	٤٥
٤- توظيف الأموال	٣	١٢,٥
٥ -العقارات	٢٤	٣٣,٣

ثالثاً :موقف الرأسمالية من سياسات الخصخصة

وللوقوف على موقفهم من القطاع الخاص واطلاق يده في عمليات التنمية نجد أن حوالي ١٠٠ ٪ تؤيد اضطلاع هذا القطاع بدور جوهري في عملية التنمية . واذا كانت عينة الدراسة، برمتها مع سياسات الخصخصة، فإنها أيضًا نرى أن الدولة تقوم بمساعدة القطاع الخاص (١٠٠).٪ ولكن ماذا تعني كلمة الخصخصة لدى عينة الدراسة الحالية، إنه لكي نجيب عن هذه التساؤلات ينبغي أن نعود إلى الجدول رقم(١٩) الذي يتضح أن هذه الكلمة تعنى :

أولاً :زيادة شركات القطاع الخاص

ثانياً :شراء الافراد بعض مصانع القطاع العام

ثالثاً :رفع الدولة يدها عن القطاع العام وتجدير دوره العام.

رابعاً :تقزيم شركات القطاع العام وتحويلها إلى قطاع خاص[1]

جدول رقم (١٩)

يوضح رأى المبحوثين في كلمة الخصخصة

ماذا تعني كلمة خصخصة	التكرار	النسبة ٪
١ -زيادة شركات القطاع الخاص	**١٧١**	**٢١,٨**
٢ -شراء الافراد بض مصانع القطاع العام	**١٦٢**	**١٩,١**
٣ -الدولة مدعمتش القطاع العام	**١٥**	**٤,٦**
٤ -القطاع الخاص يقوم ببناء كثير من الشركات والمصانع	**٩٤**	**٢٨,٩**
٥ -أن القطاع العام يتحول إلى قطاع خاص	**٧٦**	**٢٢,٥**

[1] - يفهم من ذلك أن هؤلاء قد فهموا الشكل، وتغاضوا عن المضمون ، ذلك الذي يتحدد في اجتماعين في مقبل جميع الشرائح الاجتماعية خاصة ما يتصل سواء بأدوارها في العمليات التنموية أو حتى في مدى اشباع احتياجاتها الاساسية.

واذا كانت عينة الدراسة قد وجدت الشكل الخارجي فقط، اقصد مفهوم كلمة الخصخصة، فإنها بصورة غير مباشرة لمست مضمون سياسات الخصخصة، تلك التي اوضحتها الجدول رقم(٢٠)الذي يرى أن الدولة من خلال نهجها قد تخلت عن وظائفها التي كانت تقوم بها خاصة في الستينات و في اواخر السبعينات لقد رأى نحو ٨,٩٨ ٪ أن الدولة ادارت ظهرها عن الدور الاجتماعي لها، بينما يرى نحو ١,٢ عكس ذلك.

جدول رقم (٢٠)

يوضح رأى المبحوثين في مدى قيام الدولة بوظائفها

هل تقوم الدولة بوظائفها	التكرار	النسبة ٪
نعم	٤	١,٢
لا	٣٢١	٩٨,٨

وللوقوف عن الاشياء التي أدارت الدولة ظهرها عنها فإن الجدول رقم (٢١) يوضح أن نحو, ٩,٧ يرون أن التعليم قد أخذ منحنى رأسماليا، و يرى نحو٢٢,٧٪ أن هناك ندرة في الخدمات الاجتماعية، بينما يرى نحو ٣٨ ٪ أن الخدمات الصحية(تقـديم الدواء في المستشفيات)اصبحت غير متوافرة خاصة في المستشفيات العامة، و يرى نحو ٩,٧ الدولة رفعت يدها عن تدعيم بعض السلع.

جدول رقم (٢١)

يوضح رأى المبحوثين في الاشياء التي نصت عنها الدولة

الاشياء التي راجعت عنها الدولة	التكرار	النسبة ٪
١ -أن التعليم كله بالفلوس والوجبات منعوها	٩٥	٩,٧
٢ -الخدمات الاجتماعية غير موجودة	٧٣	٢٢,٧
٣ -تقديم الدواء بالمجان في المستشفي العام	١٢٢	٣٨
٤ -دعم السلع	٣١	٩,٧

وأنه ووفقاً ذلك فإن كل المبحوثين يرون أن الدولة إزاء كل تصرفاتها السابقة فإنها تقف بقوة في صف رأس المال، أو بمعنى اخر، اذا كانت تنحاز بقوة لرأس المال، وهذا ما يتضح لسياسات الخصخصة، فإنها في المقابل تضغط بقوة على المستويات الوسطى والدنيا جدول رقم .(٢٢)

جدول رقم (٢٢)

يوضح موقف الدولة من الطبقات الاجتماعية

الدولة واقفة في صف مين	التكرار	النسبة ٪
الرأسمالية	٢١٥	٦,١
الطبقة الوسطى	٦٧	٣٠,٦
الفقراء	٤٣	١٢,٢

وحول ما إذا كان العقل الرأسمالي في مصر عقل منتج أم لا،و بمعنى آخر أن يسعى إلى أقامة المشروعات الإنتاجية أم أنها رأسمالية ريعية، فإن ذلك ما يوضحه الجدول رقم (٢٣) الذي يكشف أنه حينما يتوفر أموال أكثر فإن نحو ٦,٤٩ ٪ سوف يعمل على توسيع مشروعاتهم، وأن نحو ٨,٢٩ ٪ سوف يعملون على إقامة مشروع آخر مثل مشروعه وان نحو ٨,١٠ ٪ سوف يعملون مشروعات أخرى ، بينما يرى نحو ٨,٩ ٪ سوف يضعهم في البنك، أي أنه سوف يدخل في زمرة الريعيين ويبتعدون عن عملية الانتاج أوإعادة تدويرهم إقتصاديا مرة أخرى ، فضلا عن أن هناك من يسعى إلى شراء الاسهم والسندات، أو يسعى إلى تغير بعض النواحي الاجتماعية مثل الزواج، أو شراء شقق، وحتي شراء بعض المقتنيات أي أنهم يسعون إلى الترف وليس العقلانية.

جدول رقم (٢٣)

يوضح أراء المبحوثين فيما لو زادت التراكمات الرأسمالية

لو زادت الفلوس تعمل بيها إيه؟	التكرار	النسبة ٪
١ -أعمل بها مشروع زي اللي أنا عمله	٩٧	٢٩,٨
٢ -أعمل مشروع مخالف عن ده	٣٥	١٠,٨
٣ -أوسع المشروع بتاعى	١٥٨	٤٨,٦
٤ -أضعهم في البنك	٣٢	٩,٨
٥ -أتجوز وأجيب عيال	٤٣	١٣,٢
٦ -أشتري أسهم أو سندات	٦٠	١٨,٥
المجموع	٣٢٥	

وإذا كان العقل الرأسمالي يكشف عن تأرجح في العقلانية فإن في الوقت عينه يكشف عن وعي كبير لطبيعة سياسة الرأسمالية أو الخصخصة، إذ أنه يرى أن سياسات الخصخصة سوف تطيح يوضح الرأسمالية المحلية، وهذا ما ٪ يكشف عن الجدول رقم (٢٤) الذي أوضح أن نحو ٧,٨٣ يرون أن الخصخصة سوف تقف في وجه الرأسمالية المحلية، ولكنها في مقابل ذلك فإنها ترى أن ذلك سوف يفضي إلى إعادة سيطرة الرأسمالية الأجنبية على الاقتصاد المصري (٧,٩١ ٪) الجدول رقم(٢٤)

جدول رقم (٢٤)

يوضح أراء المبحوثين في أن الخصخصة بعد كده ممكن تدمر الرأسمالية فىمصر وخاصة بعد أن بناها الاجانب في كل شيء

	التكرار	النسبة٪
نعم	٢٧٢	٨٣,٧
لا	٥٣	١٦,٣

جدول رقم (٢٥)

يوضح أراء المبحوثين في أن الخصخصة يكفي أنها مكن تبيع المشروعات للأجانب

وتعيد مرة ثانية السيطرة الأجنبية

	التكرار	النسبة ٪
نعم	٢٧	٨,٣
لا	٢٩٨	٩١,٧

إنه من خلال ما تقدم، فإن جماع هذا الفصل يكشف لنا عن النسق الكامن للوعي الاجتماعي لعينة من الرأسمالية في مصر، تلك التي وضعت أيدينا على أبعاد صورة العقل البرجوازي من جانب، وموقفه من قضية الخصخصة من جانب آخر . لقد كشف الدراسة بشكل لا يقبل الجدل بعد هذه الطبقة عن العقلانية الرأسمالية، تلك التي اكتسبتها مثيلاتها الغربية، أنه من خلال هذا الفصل يمكن أن نقول أن القطاع الخاص وفقا لهذه العقلية لا يملك عصا موسى ، أو قل أنه لا يملك التعاويز السحرية التي عن طريقها يمكن أن تنافس وتتنامي مع الدول التي يطلق عليها بالنمو أو الفهود السود.إن هذه الطبقة غير قادر ة على الدخول في الإستثمارات التي من شأنها أن تنمي الصناعات المتقدمة، أو أن تقدم بدلا لعملية الإعتماد على الخارج فيما تحتاجه من تكنولوجيا متقدمة .وإذا كان ذلك كذلك، فإن الفصل ذاته يوضح أيضًا أن هذه الطبقة تسعى بمدى ضعفها أمام عملية المنافسة التي تواجهها من جراء مواجهة مثيلاتها الغربية في إطار ما يسمى بالخصخصة، تلك الايد يولوجية التنموية الرأسمالية التي تدفع لها بقوة البيوت المالية العالمية، أو دولة رأس المال العالمية، ولا ترضى لها بديلا.

المراجـــع

-الطاهر وعزيز، بنيوية كلود ليفى -شتروس ، دار الكلام، الرباط ١٩٩٠.

- أديت كيروزويل ، عصر البنيوية ، ترجمة جابر عصفور، افاق، بغداد، ١٩٨٥.

- الجهاز المركزي للتعبئة العام والاحصاء، موقف الانتاج الاقتصادي في جمهورية مصر العربية، القاهرة، ١٩٩٢ .

الفصل التاسع

حال فقراء الريف :
قراءة وتأويل

مقدمة :

دائماً ما يتم تصوير قضية التنمية فى مصر من خلال الخطابـات التنمويـة الدولية على أنها مسألة أرض أو سكان . أو بمعنى آخر على أنها جغرافياً فى مقابل الديموجرافياً ، تلك الرؤية التى تنطلق من وصف مصر بأنها عبارة عن وادى النيل الضيق المحاط بالصحراء والمكتظ بالسكان الذين يتزايدون بمعدلات سريعة .

ويعد تقرير البنك الدولى الصادر فى عام ١٩٨٠ عن مصر مثـالا نموذجيـاً على ذلك ، إذ يفتتح خطابه بأن الخـصائص الجغرافيـة والديمقراطيـة للمجتمـع المصرى ترسم مجموعة المشكلات الاقتـصادية الأساسـية التـى تكـشف بنيتـه الاقتصادية والاجتماعية . ويرى التقرير أنه على الرغم من أن مساحة مصر هـى ٣٨٦,٠٠٠ ميلا مربعاً ، إلا أن هناك شريطاً يتسم بالضيق (وادى ودلتا النيل) هو المستخدم فحسب ، وتقدر مساحته بنحو ١٥,٠٠٠ ميل مربع ، تلك التى تقـل عـن ٤% من مساحة الأرض كلها . إنه وفق هذا الوصف ، فإن التقرير يرى أيـضاً ان مساحة مصر المسكونة شبة واحة فى الصحراء إذ لولا وجود النهر لكانـت مـصر جزءاً متمماً للصحراء الكبرى . ويشير التقرير أيضاً إلى أن هذه المساحة الـضيقة تضم نحو ٩٨% من إجمالى عدد سكان مصر ، الذين تزايدون بنحو الـضعف فـى أقل من خمسه عقود .

والواقع أن هذا الوصف فى النظر إلى إشكاليات التنمية لا ينسحب فقط علـى دراسات البنك الدولى ، فهناك كثير من الدراسات التى تستند علـى هـذا المـدخل لدراسة قضايا التنمية وإشباع الاحتياجات الضرورية للسكان .

إن الوصف الجغرافى السابق للإشكاليات التى تكتنف بنية المجتمع المـصرى تستند فى المقام الأول على الصورة الطوبوغرافية للنهر والصحراء المحيطة بـه ، وكذا السكان الذين يتخذون من ضفتى النهـر مكانـاً للتكـاثر والحيـاة . إن رسـم إشكاليات التنمية وفق الصورة الجغرافية ، تعد صورة خادعة لا للبصر فحسب ، بل

للعقل أيضاً ، إذ أنها تحاول أن تصور إشكاليات التنميــة الاقتــصادية علــى أنهــا موضوع داخلى وأن العامل الخارجى براء من تعزيز وتكريس هذه الاشكاليات .

إن الاطار التصورى لتحليل الجهات الخارجية لمشاكل التنمية الداخليــة فــى مصر ، تخلع عن نفسها دورها فى هذه العملية ، فضلا عن إغفال دور آلياتها فــى التأثير بشكل بالغ على مسألة العدالة الاجتماعية والإضرار بمصالح الفقراء ، غن ما يتم نقله وتصويره بالنسبة للمشكلات التنمويــة التــى تواجــه المجتمــع المــصرى باعتبارها مشكلات طبيعية ، هو نوع من الوهم والتضليل ، خاصــة إننــا نعتبرهــا مسألة أساسية تتصل بمسائل دور الدولة فى تكريس التفاوت الاجتماعى والانحيــاز لطبقة ضد أخرى .

لقد لعبت الدولة دوراً مهماً فى سيادة ما يسمى باختلال التوزان الاجتمــاعى ، ذلك الذى عززه الانصياع إلى تقليص دورها المركزى ، واللهات وراء مــا يــسمى بسياسات الخصخصة ، تلك التى تعنى فى تصورنا زيادة الأفراد بدلا من الدولــة . إن الدولة وفق ذلك تعد موضوعاً مستقلاً ، بعيداً أو خارج المجتمع ، الأمــر الــذى يجعلنا أن نصفها بما يسمى فى الأدبيات " بالدول المتراجعة " .

إن التحول الذى حدث فى مصر منذ منتصف السبعينيات عن رأسمالية الدولة المستقلة ، وفى اتجاه الخصخصة ، أدى إلى تراجع دور الدولــة عــن الاضــطلاع بأدوارها الخاصة لتقديم الخدمات الاجتماعية للفئات الدنيا ، إن انكماش دور الدولــة وتراجعها أتاح لبروز دور القاطع الخاص ، الذى اكتسب أشكالاً جديدة بعيــداً عــن سيطرة الدولة ، فى مقابل تدنى وانسحاق المستويات المعيشية للفئــات الفقيــرة فــى الريف .

إن هذا الفصل يسعى من خلال الدراسة الميدانية لمجموعة من حالات الفقراء فى الريف المصرى ، إلى تصور الواقع الحياتى أو المعيشى للفقــراء فــى القريــة المصرية ، وما أصابها من تدهور، نتيجة تراجع الدولة عن أدوارهــا التــى كانــت تضطلع بها من قبل . وفى ذلك حاولنا اختيار مجموعة من الأسر الريفية التى تقطن

فى قرى متباينة من حيث الحجم والمساحات الزراعية ، أو حتى فى عدد الـسكان . وينبغى ألا تفوتنا الاشارة إلى أن اختيارنا للفقراء كان ينصب بصورة أساسية علـى حجم الحيازة التى من خلالها نرى أن الفقير يقع فى إطار من يملك من ثلاثة أفدنـة فأقل .

المهم أن نشير فى هذا الإطار إلى أنه على الرغم من أننا اكتفينا فقط بعـشر حالات من الأسر الفقيرة ، ألا أنه توفر لدينا أكثر من ذلك ، ولكن لعدم عمـق هـذه الحالات وتكرارها ، بل قل وسطحيتها ، فإننا حاولنا اختيار الحـالات ذات الدلالـة الفارقة فى توضيح أثر الدولة بانحيازاتها الاجتماعية الطبقية الجديدة علـى مـصالح واحتياجات فقراء الريف ، وذلك من اربع محافظات تمثل مصر العليا (محافظةالمنيا) ومصر الوسطى الفيوم ، ووسط الدلتا (الدقهلية) وشمال الدلتا (كفر الشيخ) .

إنه لتوضيح ذلك سوف نحاول عرض واقع الأسر الفقيـرة كمـا تـصورها حالات الدراسة ، إننا سوف نطرح هذا الواقع مـن خـلال عـرض استـشهادى أو غرضى لخطاب المبحوثين ، على اعتبار إنه لايمكن معالجة أو تـصوير وضـيعة الفقراء ، إلا من خلال الفقراء أنفسهم .

<u>الحالة الأولى</u> . [1]

يعمل " السيد " صاحب هذه الحالة مزارعاً ، له أربعة أبناء ثلاثة ذكـور وبنـت واحدة ، وجميعهم فى مراحل التعليم المختلفة ما عدا الأبن الأكبر الذى يعمـل مـع الأب فى الزراعة . ويبلغ صاحب هذه الحالة من العمر نحو خمسه وأربعين عامـاً ، ويمتلك نحو فدان ونصف .

([1]) تعتبر الحالات الثلاث الأولى من نصيب محافظة الدقهلية ، وقد تم اختيارها قرية القنان التابعة لمدينة بلقاس . وكلمة القنان هى جمع قناة ، وقد سميت بهذا الاسم لكثرة القنوات بها وقرية القنان تعد من القرى الصغيرة التى تتبع قرية أم هى قرية المعصرة . وتقع هذه القرية فى الجزء الجنوبى من مدينة بلقاس ، ويحدها من الشمال قرية المعصرة ، ومن الجنوب قرية شرقية المعصرة ، ومن الشرق قرية العريض ، أما فى الغرب فيحدها قرية البانة ، ويبلغ سكان قرية القنان نحو خمس عشرة ألف نسمه ، وتبلغ مساحتها نحو ٤٦٥٠ متراً مربعاً تقريباً ويوجد بها مدرستان إحداهما للتعليم الابتدائى ويبلغ عدد التلاميذ فيها نحو ٣٠٥ تلميذاً ، والأخرى للتعليم الاعدادى وتضم نحو ٢٥٠ طالباً .

ويرى صاحب هذه الحالة أن دخله من الأرض لا يكفى احتياجاتــه ، حيــث يقوم بإنفاق ربع دخله على تعليم أولاده ، ومثله على الملبس واحتياجات الإنفاق على العملية الزراعية . أما النصف الآخر يتم انفاقه على المأكل واحتياجات المنزل وفــى ذلك يقول :

" أنا باشتغل فلاح ومجوز وعندى أربع ولاد ، منهم ثلاثــة صــبيان وبنــت واحدة كلهم فى التعليم ماعدا الكبير ، اللى بيشتغل معايا فى الغيط أنا عنــدى طــين بيجى فدان ونصف ، والدخل اللى بيجى منها ما يكفيش اللى احنا محتاجينه ... أنــا بصرف اللى بييجى كله على حاجتنا ١/٤ على التعليم عشان خاطر الــولاد يكونــوا أحسن منى ... وشرحه على الملابس وحاجات الأرض ... والباقى كلــه بأصــرفه على حاجات البيت ذى الأكل والشرب وأى حاجة ثانية "

ويرى " السيد " أنه نظراً لقلة الدخل ، أو لعــدم اكتفائــة لــسد الاحتياجــات الضرورية ، فإنه يدفع بأبنائه لكى يتعلموا الحرف ، حتى يمكنهم من مساعدته علــى مواجهة الأعباء المعيشية ، التى أصبح لا يتحمل الدخل المتولد من الزراعــة علــى مواجهتها " علشان دخلى مش مكفى حاجة ، خليت ابنى أحمد يتعلم صنعه ويــشتغل علشان يجيب مصاريفه ، ويدينى جزء يساعدنى فى الغلا اللى إحنا عايشينه "

ويضيف صاحبنا أن سبل مواجهة الأعباء المعيشية لا تتوقف عند هذا الحد ، بل أنه يقوم ببيع بعض المنتجات التى يقوم المنزل بإعدادها ، مثــل اللــبن والزبــد والجبن أنه يقوم بإعداد وتجهيز مثل هذه الأشياء لكى تساعده فى الانفاقات المتزايــدة ، حيث يقوم من خلال ما تدره من أموال بشراء ملابس الأسرة أو بعض الاحتياجات اللازمة لعملية الزراعة .

ويوضح " السيد " أنه نتيجة لارتفاع الأسعار ، فإنه – ويشترك معه كثير من أهالى القرية – غالباً ما يبيع قوه عمله لدى الغير نظير أجر محــدد . وفــى ذلــك يوضح أنه نتيجة لدخله المتدنى ، فإن – وغيره من سكان قريــة القنــان – وحدتــه

المعيشية تقوم بوظائفها الاقتصادية ولكن ليس للاستهلاك الداخلى، وإنمـا لغـرض السوق الذى من خلاله يتم توفير بعض النقود التى تساعده على مواجهة التضخم فى الأسعار .

ويضيف صاحب هذه الحالة أنه دائماً ما يتغلب على ارتفاع الأسعار بتجهيـز كل شئ فى داخل المنزل ، ولكنه الا فى حالة واحدة وهى الحصول على البـروتين وتحديداً الحيوانى منه ، الذى يقوم بتوفيرها مرة واحدة أسبوعياً من خارج المنزل . أما بالنسبة للبروتين الداجنى فإنه يتم توفيره من خلال ما تقوم بـه زوجتـه نتيجـة لعملية تربيتها له فى إطار الوحدة المعيشية .

أما بالنسبة لبقية احتياجاته الأخرى فإنه يقوم بتخـزين بعـض الاحتياجـات خاصة التى تدرها الأرض ، أو من خلال العمل لدى الغير ، أو من خـلال الـشراء من الخارج عن طريق الأجل (الشكك) . وإذا كان ذلك فيمـا يتـصل بالاحتياجـات المنزلية المعيشية ، فإن ما يتصل بالاحتياجات الزراعية ، فإنه يحصل عليها إما من الجمعية الزراعية أو عن طريق القطاع الخاص الذى أصبح منتـشراً فـى تـداول وتصريف كل ما يتصل بالعملية الزراعية .

ويذهب " السيد " إلى أنه يسكن فى منزل يملكة ، وهو عبارة عن در واحـد مبنى من الطوب النيئ ، ويتكون من حجرتين وصالة واسعة . الحجرتان مـسقوفتان ببعض عروق الشجر والطين ، وبعض مخلفات العملية الزراعية (أحمال من القـش والحطب) ، أما الصالة فهى مكشوفة ومنها إلى الـسماء مباشـرة ويفتقـر منـزل صاحبنا للكهرباء ومياه الشرب وحتى الصرف الصحى ويدلل صاحبنا علـى ذلـك بقوله :

" ... أنا دارى ملك ، وهوه دور واحد ، مبنى من الطوب النى والطين، وهو مطرحين وفسحه كبيرة . والمطرحين معرشين بعروش الخشب والطـين وأحمـال القش والحطب . والداره مفهوش كهرباء ولامية ... لأن عندنا فى القرية ناس قليلة

هى اللى عندها كهرباء فى بيوتها وعندها مية شرب ودول همه الأغنيـا وكبـارات البلد . والمجارى عندنا زى عندهم وهى عبارة عن طرنشات أو بيـارات ... احنـا بنقوم نجيب الميه من البلد اللى جنبنا وده حال كل الفقرا اللى زينا ..

وإذا كان منزل " السيد " يفتقر إلى مثل هذه الخدمات ، فهو يفتقر أيضاُ إلـى الأجهزة المنزلية حيث يذهب إلى أنه لايمتلك بمنزله سوى مذياع صغير (راديـو) يعمل بالبطارية الجافة ، فضلا عن أنه لا يمتلك للأشياء التالية : تليفزيون ، غسالة ، بوتاجاز ، وإزاء ذلك فهو يقرر أنه يقوم بإعداد طعامه على موقد كيروسين (وابور جاز) وأيضاً على مصباح يضاء بنفس المصدر الذى يستخدم فى الموقد الذى أشار إليه قبل قليل .

" ... عندى راديو صغير بيشتغل بالحجارة ، ومفيش تليفزيـون ولا تـسجيل ولا غسالة ولا بوتاجاز واحنا بنطبخ على وابور جاز أو جانون وعايشين على لمبـه جاز ...."

ويستطرد صاحب هذه الحالة ويرى أنـه يمتلـك سـريراً واحـداً (قـديماً) ومجموعة الأرائك الخشبية (كنب بلدى) التى تستخدم نهاراً فى الجلوس والاستقبال ، وليلا فى النوم بدلا من السرائر .

" ... عندى سرير واحد حديد كنت اشتريته يوم جوازى .. والست بتـاعتى وبنتى بيناموا عليه ... وأنا وابنى الصغير بنام فى مطرح، وولادى الباقين بينـاموا فى المطرح التانى .... مفيش عندى سراير كافية عشان كده إحنا بنضم الكتب علـى بعضه وننام عليه ... وطبعاً احنا بنام بدرى وبنصحى بدرى عـشان أروح الغـيط ومعاى الولاد اللى بيسرح معايا على الأرض بيسرح ، واللى بيروح على المدرسـة بيروح ... "

ووفقاً لحديث المبحوث ، فإن اهم ما يميز قريـة القنـان أن أغلـب سـكانها يعملون بالزراعة ، فضلا عن أنهم لايملكون سوى مليكات قزمية، وان هناك بعـض الأسر يمتلكون مساحات كبيرة . ويرى صاحبنا أن أكبر مساحة فى هـذه القريـة لا

تتعدى خمسه وعشرين فداناً ، أو هى بالتحديد نحو اثنين وعشرين فداناً فقط . وعلى الرغم من أن هذه القرية تتمتع بصغر المساحات الزراعية ، ألا أن أهم ما يميزها ، هو إقبال الأهالى على تعليم أولادهم .

" الناس يهنا فى البلد بيحافظوا على تعليم أولادهم ، لأنهم متعلموش ، وتركوا التعليم من زمان .. وكمان همه مش غناى . يبقى لا تعليم ولا فلوس .)

ويضيف صاحبنا ، أن حرص الآباء على تعليم الأبناء فى قرية القنان لايعود إلى فقرهم فقط ، وإنما حتى لا يقع الأبناء فيما وقع فيه الآباء . وفى إطار تعرض " السيد " لعملية التعليم ، فهو يرى أن قرية القنان بهـــا مدرســـتان إحـــداهما للتعلـــيم الابتدائى وأخرى للتعليم الاعدادى أما بالنسبة لأنواع التعليم الأخرى ، فهى قائمـــة بمدينة بلقاس أو المنصورة .

وعلى الرغم من وجود المدارس بقرية الدراسة ، إلا أن هناك بعض الأسر لا يستطيعون تعليم أولادهم ، نتيجة لتدنى المستوى الاقتصادى . إن ذلك حداً بكثير من الأسر إلى صرف أولادهم عن المدارس والزج بهم إلى تعليم بعض الحـــرف وفـــى ذلك يدلل ويقول :

"... وفيه ناس غلابة متقدرش على تعليم ولادها بـــسبب الغـــلا اللـــى احنـــا عايشينة ، همه مبيقدروش يصرفوا على تعليم ولادهم ... عشان كده همه بيعلمـــوهم صنعة يصرفوا من وراها ... بالك لولا إن ابنى الكبير بيشتغل معايـــا فـــى الأرض كنت زمانى دلوقتى مش قادر أشيل الحمل اللى من يوم ما إجوزت وأنا شيلة ..."

ويكمل " السيد " فى هذا الإطار ، فيذهب إلى أن هناك مزية أخرى تتمتع بها قرية القنان ، ألا وهى تحمل الجميع المسئولية الاقتصادية للأسرة . فالأولاد فى هذه القرية يساعدون أسرهم فى تحمل نفقات المعيشة ، ناهيك عن سيادة قيم التعاون بين أهالى القرية سواء على صعيد الزراعة أو الأمور الاجتماعية الأخرى .

" الناس عندنا بتحب بعض ... الجيران مع بعض فى كل حاجة ... الكل بيساعد بعضه ... الولد حدانا بيساعد أبو ه ... ولما بيكون حد عايز حد يساعده وخصوصا فى المواسم تلاقية حتى من غير ما يقوله ... الناس لبعضها "

وفيما يتصل بالخدمة الصحية ، يرى صاحب هذه الحالة ، أنه على الرغم من وجود المؤسسات الخاصة بها (الوحدة الصحية) ، إلا أن بعض الأسر لا تلجأ إلى مثل هذا النوع من العلاج ، إذ دائماً ما يلجأون إلى الطرق الشعبية مثل حلاق الصحة والداية والمجبراتى والسحر والشعوذة . ويرجع صاحبنا ذلك إلى ارتفاع تكاليف العلاج الرسمى . فبيد أنه يتوافر وجود الأطباء الذين يقومون بالكشف بأجور بسيطة ، ألا أن ما يقومون بكتابته من أدوية لا يستطيع أبناء القرية من الوفاء بها . ويضيف صاحب هذه الحالة ان الوحدة الصحية شهدت تدهوراً كبيراً فى تقديم العلاج ، إذ أن هذه الوحدة تخلو تماماً من الأدوية اللازمة ، اللهم ألا بعض الأدوية " الشراب " التى يتم تقديمها للمرضى ، وبعض الأدوية البسيطة (البرشام) .

ولكن برغم ذلك ، فصاحب هذه الحالة لا يقدم على الطب الشعبى ، بل لا يهتم بمسألة العلاج فى إطار القرية إذ دائماً ما يلى احتياجابت أسرته الصحية من المدينة التى يتوفر به الأطباء وحتى الأدوية اللازمة .

" .... أنا والحمد لله ما بعترفش بالعلاج ألا عند الدكتور ... أنا وولادى ومراتى بنروح للدكتور فى البلد وده لما بيكون فيه حاجة كبيرة ... او ساعات نروح المستشفى فى مدينة بلقاس ... وإن كانت حاجة بسيطة أدى إحنا بنأخذ برشامة ولا شوية نعناع أو كمون وبتعدى ... "

وفيما يتعلق بمسألة تنظيم الأسرة ، فيرى " السيد " أنه مع تنظيم الأسرة الآن ، لأنه استطاع أن يكون على حسب تعبيره " الذرية الصالحة " ويرى أنه اتفق وزوجته على ذلك بعد أن رأى أن تربية الأولاد تتكلف أموالاً كثيرة . ويستطرد فى

ذلك ويقول أنه لو كان يعرف عن تنظيم الأسرة من قبل لا كتفى بوجود طفلين فقط ويضيف " السيد " أن هناك شيئا آخر هو الذى جعله يقدم على ذلك ، ذلك الذى يتعلق بحادثة ولادة زوجته الأخيرة ، التى لم تستطع " الداية " أن تكمل عملية الولادة ، واستدعى الأمر إلى نقل زوجته إلى المستشفى التى قامت باجراء عملية لها .

وعن توافر المواصلات بالقرية ، فيرى صاحب هذه الحالة أن وسائل المواصلات فى قرية " القنان " غير متوفرة ش، إذ بشكلها الخاص تعد من أسوا الخدمات ، فضلا عن سوء الطرق الموصلة بين القرية وغيرها من القرى أو حتى المدينة . وإذا كانت القرية تقل فيها المواصلات بشكل عام ، فإن أهم وسيلة للمواصلات فيها هى عربات النصف نقل – التوياتا على حسب تعبيره – التى تجهز لنقل الناس .

وحول طريقة قضاء الفراغ ، فيرى صاحب هذه الحالة ، أن القرية يخلوا من الأماكن التى يمكن من خلالها قضاء أوقات الفراغ ، كما أنه لايوجد بالأساس وقت متبق من العمل ويضيف " السيد " أنه فى فصل الصيف غالباً ما يتجمع الناس أمام منازلهم وخاصة فى الليالى القمرية ، أما فى الشتاء ، فإنه نظراً لطبيعة الطقس ، فإن الأهالى غالباً ما يتجمعون لدى بعضهم داخل المنازل، ولكن على فترات متباعدة وليس كل يوم .

وفيما يتصل بالمشاركة السياسية ، يرى صاحبنا أنه يشارك فى العملية الانتخابية خاصة فى الاستفتاءات العامة ، وفى اختيار العمدة والمجالس المحلية ومجلس الشعب وفى هذا الصدد يقرر ، أن عملية المشاركة فى مثل هذه الأشياء لا تأتى من خلال الوعى بالحقوق السياسية، ولكن تأتى أما للحصول على المادة أو الخوف من السلطة السياسية او من العائلات الكبيرة فى القرية .

<u>الحالة الثانية :</u>

يعمل صاحب هذه الحالة مزارعاً وله فدان بنظام الأجر ، وله ثلاثة من الأولاد ، الأول يعمل بالزراعة معه ، وهو متزوج ويقيم معه بالمنزل ، وله ولد. والأبن الثانى طالب فى الفرقة النهائية بالتعليم الفنى الزراعى أما الابن الأخير فهو تلميذ بالمرحلة الاعدادية .

" ... أنا باشتغل فلاح وعندى ٥٥ سنة ، وعندى فدان بنظام الأجر أنا متزوج من حوالى ٣٥ سنة ، وعندى ثلاثة أولاد صبيان الواد الكبير مجوز وقاعد معاى وعنده ولد ، وهو برضة بيشتغل معاى فى الأرض ، وهو طلعته من المدارس وهو سنة ٨ سنين ، أنا علمته الفلاحة عشان يساعدنى على المعايش وابنى التانى فى آخر سنه فى الدبلون الزراعى ، والواد التالت فى تانية إعدادى ... "

ويرى صاحب هذه الحالة أنه وأسرته يسكنون فى بيت يملكه ، وهو يتكون من دور واحد ، به ثلاث حجرات ، مسقوف من عروق الشجر والطين ، وهو مثله مثل بقية البيوت الريفية القائمة فى قرية القنان . ومسكن صاحب هذه الحالة لا يتمتع بوجود الكهرباء والمياه والصرف الصحى ، ويتم التغلب على المياه من خارج هذه القرية . ويضيف أنه لايملك أية أجهزة كهربائية ، وأن استخدامه يتوقف على الكيروسين سواء فيما يتصل بالإنارة أو الوقود . وفى ذلك يذهب :

"...أنا دارى مبنى بالطين والطوب الأخضر ، وهو ملكى دور واحد فيه تلات أوض ، وله سقف من عروق الشجر وعلى العروق ديه طين وقش وحطب ... والدار بتاعتنا مفهماش كهربة ولاميه .. والميه بنجيبها من القرية اللى جنبنا ... وأنا معنديش أى حاجة فى الدار الا سريرين ، واحد فى الأوضة اللى بنام فيها أنا ومراتى والعيال ، وواحد فى أوضه ابنى الكبير بينام عليه هوه ومراته وابنه . والمطرح الأخير بينام فيه العيال اللى بتتعلم ... أنا عندى وابور جاز وراديو حجارة أنا بسمع عليه القرآن ...).

ويذهب صاحب هذه الحالة أن الدخل الذى يدره هو وولده لايكفى لسد احتياجاته الضرورية ، والذى قدره بنحو ١٦٠ جنيها فى الشهر . إنه نتيجة لقلة هذا الدخل من وجهة نظره فهو يقوم بتربية بعض الدواجن، بالاضافة الى بيع بعض المنتجات المنزلية ، أو ما تدره الأرض من إنتاج . ويستطرد صاحبنا ، ويذهب إلى أنه يقوم بصرف ثلث دخله على تعليم ولديه ، والثلث الثانى على الانفاقات المنزلية

الضرورية (الأكل والملبس)" أما الثلث الأخير فإنـــه يقـــوم مـــن خلالـــه بتـــدبير احتياجات الزراعة .

ويضيف إلى انه نتيجة ارتفاع الأسعار ، ورفع يد الدولة وتخفيض ما تقدمـــه للفلاحين ، فإنه يقوم بتدبير كل احتياجاته من السوق ، لـــيس ذلـــك علـــى صـــعيد الاحتياجات الازمة للمعيشة وإنما أيضاً لما تحتاجه العملية الزراعية .

"... إحنا كنا الأول بنجنيب كل حاجةمن التموين ، وكان يكفينا دلـــوقتى كـــل حاجة نفصت الزيت والسكر والصابون والجاز والشاى ... معدش فيه حاجات مـــن دى بتقضى ، دة حتى الجاز كنا بنصرف له كوبون وكان رخيص ، الوقتى معدشـــى فيه الحاجات دى .ده كمان الحاجات بتاعة الزراعة مـــش متـــوفره فـــى الجمعيـــة الزراعية ...ده حتى لو كان معانا فلوس متلاقيش حاجة فـــى الجمعيـــة ... الـــوقتى بنروح نجيب الحاجات من بره من عند التجار ، ولو لقيت حاجـــات فـــى الجمعيـــة تلاقيها مضروبة وبايظة ، عشان كده احنا بنروح نجيب الحاجات بزيـــادة شـــوية .. وإن جيت توفر الفلوس اللى معاك وتجيب حاجات شكلك هتلاقى إن فى الآخر مـــش هيفضلك أى حاجة ... طبعا الناس مش زى الحكومة كل واحـــد عـــايز يكـــسب ، والناس دى مش محتاجة اللى ربنا فتح عليه من السفر وتاجر فى الحاجات دى يحب يكسب ، والـــــواحد الفقير اللى زيى يموت مش مهم ... "

وأمام كل ذلك: ، فيرى صاحب هذه الحالة ، أن ابنه يقوم ببيع قوة عمله لدى الغير ، ففى الوقت الى تنتهى فيه أعمال الزراعة فى أرضه التى يستأجرها، يقـــوم ابنه فى بعض الأيام بالعمل لدى الغير بأجر نقدى ، حتى يمكنه أن يلبى احتياجـــات المعيشة .

"... إحنا فى الأوقات اللى معندناش عزيق ولا سقاية ولابدر ، ابنى بيـــروح عند ... اللى هو عنده أرض كتير وبيشتغل باليومية من طلعة النهار حتى المغـــارب

، وهو بيأخذ ٦ جنيه ، والفلوس دى بتساعدنا على المعايش ، لأن زى ما أنت عارف أن المعيشة غالية قوى ..."

ويرى صاحب هذه الحالة أنه لايملك أية أدوات تستخدم فى الزراعة مثل (ماكينة مياه – جرار) ماعدا الأدوات التقليدية ، الأمر الذى يجعله يستأجرها إما من إدارة الميكنة الزراعية بالقرية ، أو من الجمعية ، أو من بعض الأفراد الذين يحوزون مثل هذه الأدوات ، والذين هم فى الغالب الأثرياء فى القرية .

ويذهب أيضاً إلى أن ايجار هذه الأدوات بالأضافة إلى تكاليف الزراعة (تقاوى – أسمدة – كيماويات) يجعل الصافى من العملية الزراعية لا تكفى لنفقات المعيشة ، خاصة ، وأن جزءاً كبيراً منه يتم تخزينه للاستخدام المنزلى ويذهب أيضاً إلى أنه لا يستطيع أن يبيع أى جزء من المحصول حيث يتم تخزينه إما لاستخدامه أو لاستخدام الحيوانات التى لدية . وحسب ذكره ، فهو يملك " جاموسة " ملكية خاصة، وأخرى "(شرك) ، وأنه من خلال ما يقوم بزراعته يقوم بتربيتها من وراءها .

" ... أنا بردك عايز أقولك حاجة دى مش الحاجات اللى بناكلها هى اللى غالية بس ، ده أكل البهايم ، أنا مقدرش أشترى ليهم كسب أو علف ، أنا بقدر أدور شوية فول وشوية رده على كام حته دره ، وأضربهم فى بعض وأكل البهيمتين اللى عندى ..."

وعن الخدمات الموجودة . فى القرية ، فهو يرى أنه لاتوجد أية خدمات فى قرية القنان ، ناهيك عن أن هذه الخدمات لاتتوفر لأصحاب الدخول المتدنية (الفقراء) ، فهى حكر فقط على أصحاب المناصب والمراكز الاجتماعية . أو بمعنى آخر أن هناك فرقا بين الأغنياء والفقراء فى الحصول على هذه الخدمات. وفى ذلك يقول :

" ... خدمات أية اللى بتقول عليها ...ده أنا رحت مرة الوحدة الصحية عشان كانت إيدى فيها جرح ، وإتصادف أن كان فيه واحد من الناس اللى مرتاحه ، وكان

عايز دكتور عشان حد فى بيته عيان ، لو تشوف اللى إتعمل عشانه مش هقولك . وأنا وقفت محدش سأل فيه ... على العموم معدش حد بيسأل ويروح الأماكن دى لأنها معدتش بتقدم حاجة ...ده كل حاجة بالفلوس ... معاك فلوس تقدر تكتشف وتروح تأخذ الدواء ، اللى معاه فلوس يساوى فلوس ..."

وعن المشاركة السياسية ، يرى صاحب هذه الحالة ، أنه رغم امتلاكه للبطاقة الانتخابية ، الا انه لا يشارك فى العملية السياسية ، فهو من وجهة نظره لا جدوى منها ، وأنها مسألة شكلية ، أو على تعبيره هى لعبة أو تمثيل فى تمثيل ، لآن الدولة فى هذا الصدد تحدد ما تريده ، وعلى آلياتها وأدواتها البيروقراطية أرادتها فحسب .

"... هتقولى انتخابات العملية دى يابية تمثيل فى تمثيل ولاهى الحكومة لما بتكون عايزه واحد ، مبتفرضوش علينا ... مثلا العمدة ، مش أنا عندى بطاقة ، لكن هوه اللى بيسدد مكانى ويجيب اللى بيقولوا له عليه .. لو فى واحد مرشح بتاع الحكومة احنا بنشوفه مرة واحده قبل الانتخابات ، دى حتى لما ينجح مبيجيش تانى ... تلاقى الوعود نازلة ترف علينا ، يقولوا الميه والكهرباء والصرف الصحى والطرق وكل حاجة هتبقى جنه ، لكن هى البلد زى ماهيه من يوم ما اتعملت ومفيش حاجة اتغيرت .

<u>الحالة الثالثة:</u>

يبلغ صاحب هذه الحالة من العمر نحو ثمانية وأربعين عما وتتكون أسرتة خمسه أفراد بالاضافة اليه وزوجته ، منهم ثلاثة ذكور وبنتان . يعمل " محمود " رب الأسرة كمزارع أجير ، ولايحوز لأية أراضى ، وتعمل زوجته ربة منزل ، أما الأبناء ، فالابنة الكبيرة متزوجة ولها من الأبناء ولدان وبنت وهى متزوجة من مزارع له ثلاثة أفدنة وتسكن خارج نطاق رب الأسرة . ثم يأتى فى المرتبة الثانية من ناحية السن طالب بكلية الآداب قسم اللغة العربية ، ثم يأتى طالب آخر فى السنة

الثانية من المرحلة الثانوية ، ثم تاتى تلميذة فى المرحلة الابتدائية ، وآخر تلميذ فـــى المرحلة الابتدائية .

ويسكن " محمود " فى بيت مبنى من الطوب الاحمر (الجدران) ومـــسقوف بألواح من خشب الأشجار (الكافور) والتى عليها طبقة من الطين أو ما يـــسمونها (بالمونة الخضراء) ومنزل محمود لا يختلف كثيراً عن بقية منازل الريـــف ، فهـــو يتكون من ثلاث حجرات بالاضافة الى صـــالة كبيـــرة تتوســـط هـــذه الحجـــرات ، بالإضافة إلى حجرة يقام فيها الفرن البلدى ، والتى تستخدم فى الوقت نفسه فى طهى الطعام . وتتوزع هذه الغرف على أفراد الأسرة ، فإحداها لنوم الزوج (رب الأسرة) وزوجته ، والأخرى تقيم فيها ابنته التى لم تتـــزوج والجـــدة (أم رب الأســـرة) والثالثة والأخيرة فهى مخصصة لبقية الأبناء الذكور وكل حجرة من هذه الحجـــرات الثلاث بها سرير وكنبة بلدى لاستخدامات النوم بالاضافة إلـــى دولاب واحـــد فـــى حجرة الزوج وهو مشاع تستخدمه الأسرة كلها والصالة الكبيرة تضم مجموعة مـــن الكنب البلدى (اسطمبولى) ومنضدة يضع عليها التليفزيون وبجانبه مـــسجل . وإذا كانت حجرات المنزل تستخدم للنوم ، فهى فى الوقت نفسه تستخدم لأغراض أخـــرى مثل استذكار الأولاد .

وفى ذلك يقول صاحب هذه الحالة :

"... الدار بتاعنا مبنى من الطوب الأحمر ، وهوه مسقف من عروق الـــشجر الكافورى ، عليه مونه خضراء ، واحنا بنينه بالطوب الأحمر عشان يتحمل ويبقـــى متين ويتحمل المطر ويصد مع الرطوبة والنشح اللى بيجى من الأرض الزراعيـــة . والسقف احنا لسه معملنهوش بالخرسانة عشان مفيش فلوس عندنا توفى تكاليف رمى السقف .. و البيت فيه ٣ مطارح ، وهى متقسمة بينا ، واحدة ليا ولمراتى وواحـــدة للبنت وستها ، واحدة عشان الصبيان يناموا ويذاكروا فيها . واحنـــا كمـــان عنـــدنا مطرح تانى بنقول عليه بتاع الخبيز ، وكمان بنطبخ فيه وبنأكـــل كمـــان ... وكـــل مطرح فيه سرير وكنبة ، وكمان الفسحة الكبيرة اللى فى وسط الدار فيها ٤ كنبات (اسطمبولى) بنعقد عليها لما بنيجى نتفرج على التليفزيون اللى عندنا ..."

ويذكر صاحبنا أن منزله على الرغم من أن به كهرباء ومياه جارية ، ألا أنه ليس به صرف صحى كباقى بيوت القرية ، حيث أن الصرف الصحى المنتشر فى القرية هو وجود بيارات أو أماكن يتجمع فيها المخالفات ويتم تفريغها بين حين وآخر .

ويمتلك " محمود " بجانب التليفزيون (أبيض وأسود) غسالة كهربائية ومسجل (راديون وتسجيل) ، وهذه الأشياء استطاع أن يتحصل عليها وقت أن سافر إلى العراق فى نهاية السبعينيات وفى هذا الصدد يذكر صاحبنا أنه من خلال الهجرة إلى الخارج استطاع تكوين قدر لا بأس به من الأموال واستطاع أن يغير بها شكل وطبيعة بناء المنزل ، حيث كان من قبل مقاماً بالطين ، فضلا عن أنه استطاع شراء الحيوانات التى يربيها الآن .

" ... أنا لما سافرت أيام ما كنت بقدر أسافر ، وأنا عندى صحة شوية ، رحت وجمعت فلوس يامه ، ولما رجعت صلحت البيت وبنيته بالطوب الأحمر ، واشتريت كام بهيمه وربتهم وجعلتهم شغلتى ، وكنت بجيب البهيمة صغيرة وبعدين لما تكبر أجوم أبيعها.... "

ويتباكى " محمود " على الأيام التى كان وقتها خارج القطر المصرى ويعمل بالخارج إذ يرى أن هذه الفترة كانت تتسم بعدم الغلاء وتوفر الاحتياجات . وفى هذا الاطار يقارن صاحبنا بما هو سائد الآن وما هو فائت . فهو فى ذلك يرى أن الوقت الحاضر يشهد تضخماً فى الاسعار بشكل يعجز . فهو فى ذلك يرى أن الوقت الحاضر يشهد تضخماً فى الأسعار بشكل يعجز البسطاء عن تلبية الاحتياجات الضرورية والانفاق على الخدمات .

وإذا كانت الأيام التى يعيشها الآن – من وجهة صاحبنا – تشهد أرتفاعا ملحوظا فى الاسعار ، ونقص واضح فى تلبية الاحتياجات الضرورية ، فإنها أيضاً

تشهد نقصا واضحا فى فرص العمل . ففى الوقت الذى كانت الفترة الماضية تـشهد طلبا ملحا على العمل فى الأرض الزراعية ، وارتفاعاً فى الأجر اليومى ، الا أنـه يجد الآن نقصاً فى الطلب على العمالة وكذلك فى قيمة الأجر .

"... كان أيام ما كنت بسافر تلاجى الناس كتير تيجى تطلبنى عشان أشـتغل فى أراضيهم ، وكما كانت الأجرة غالية ، وكنت بقدر أجيب كل حاجة الوقتى مفيش حد بيطلب أن حد يشتغل معاه ، وكمان الأجرة بجت قليلة ومعدتش تقدر تجيب بيهـا حاجة ...)

ويرى صاحبنا أن ذلك يعود إلى كثرة استخدام الميكنة الزراعية وأيضاً لكثرة ارتفاع نفقات الزراعة ، بالاضافة إلى توفر العمالة الزراعيية التى لم تستطع الـسفر إلى الخارج لظروف العوامل السياسية (الحرب) وارتفاع نفقات السفر . إنه لكـل ذلك يرى " محمود " إن اعتماد أصحاب المزارع الكبيرة على الأفراد قد قل كثيراً ، وذلك لأنهم اعتمدوا على الميكنة الزراعية .

ويحرص " محمود " على تعليم أولاده ، فهو فى تصوره أن التعليم هو بـديل للأموال ، كما أنه هو سلاح ضد الجهل ، لذا فهو يسعى إلى اقتطاع أجـزاء كبيـرة من أمواله وحتى مدخراته التى استطاع تكوينها من العمل فى الخارج لتعليم أولاده .

وفيما يتصل بمسألة الخدمة الصحية يرى صاحب هذه الحالة أنه على الـرغم من وجود الأطباء فى القرية ألا أنه يطيب أولاده – إذا لزم الأمر – لدى العيـادات الخاصة خارج القرية ويضيف فى ذلك يأن ذلك يرجع إلى ضعف الخدمة الـصحية الرسمية التى لايعول عيها كثيرا أبناء القرية وإذا كان " محمود " يلجأ إلـى العـلاج الخاص فى علاج أسرته ، إلا أنه لا يلجأ الى الطب الرسمى فى عمليات الـولاده ، وهو فى ذلك يرتكن إلى الطب الشعبى (الداية) حيث أن القيم والعـادات والتقاليـد تقف أمام ذلك ، إيماناً منه بأن الاطباء أغـرب ولا ينبغـى (عيـب) أن يقومـوا بالكشف على السيدات وفى ذلك يقول :

" ... سوف احنا بتعرف العيب ، وعندنا اسلام ، يعني مش لازم الست تتكشف على أى غريب ، وفيها ايه لما الست تولد عند الداية زى أمهاتنا ما ولدوا .

وعن تنظيم الأسرة يقول " محمود "

" إحنا دلوقتى منظمين طبيعى ... ولو كنت أعرف أى حاجة قبل كده عن تنظيم الأسرة برضه ماكنتش هنظم ... يا عم العيال عزوة ، ومش هنقف أدام ربنا ... هو حد يعرف ده رزق مين ... طيب شوف أنا كنت أجرى عند الناس ، وربنا كرمنى وسافرت ، وجبت شوية فلوس، وأهو أنا أحسن من غيرى علمت ولادى وبنيت لهم بيت والحمد لله .."

وفيما يتعلق بمسألة المشاركة السياسية يرى صاحب هذه الحالة ، أنه على الرغم من وعية بكل المسائل السياسية ، ألا أنه يعزف عن المشاركة فيها ، إيماناً منه بعدم الحرية فى التعبير عن آرائة فهو يعى بما يدور على الساحة العالمية والمحلية من أحداث ، بيد أن يرى أن الدولة تلعب دوراً مهماً فى سيادة ما تراه ، لا ما يطلبة الشعب كما أن من ينوب عن الشعب ليسوا ممثلين حقيقيين عنهم ، وذلك يرجع فى تصوره أن نواب الشعب لا يعبرون عن دوائرهم لأنهم لا يعيشون معهم، ولا يشعرون بمشاعرهم وفى ذلك يقول :

"... أنا عارف كل حاجة عن السياسة ، وأنا بسمع لندن كل يوم عشان أعرف منها الأخبار الصحيحة ، وأنا عارف أية هيه الأحزاب الموجودة ، وعارف أن مفيش حد هينجح الا الحزب الوطني عشان بتاع الحكومة . اوعى تفكر أنى جاهل ، ممكن أكون مش متعلم بس أنا فاهم كويس هتقولى أشارك فى الانتخابات ، أنا بشارك بس بطريقتي ، أنا بقعد فى البيت والحكومة هى اللي بتنتخب بدالي ، وملهوش فايدة هو الواحد يقدر يقف أدام القطر وكمان تعالى شوف الناس اللي بترشح نفسها يدوب نشوفها أيام الانتخابات وبس ... دول همه مش قاعدين هنا ، هيعرفوا أية عننا ولا هيحسوا بأية ..)

<u>الحالة الرابعة</u> [1]:

يعمل " على " صاحب هذه الحالة فلاحاً باليومية لــدى الغيــر فــى الأرض الزراعية فى بعض الأوقات وفى أخرى يعمل فى احدى الــورش بــأجر أســبوعى ويقرر صاحب هذه الحالة أن أجر يومه فى العمل الزراعى يقدر بنحو ستة جنيهات فى اوقات المواسم بينما فى الأيام الأخرى يصل إلى أربعة جنيهات ويضيف أيــضاً أنه فى الأيام العادية يخرج الى العمل فى احدى الورش حيث يقــل الطلــب علــى العمالة الزراعية ويذكر صاحبنا أنه من خلال هذا العمل يــستطيع ان يــدر دخــلاً أسبوعيا يقدر بنحو اربعين جنيها وفى ذلك يقول :

"... أنا عامل بسيط بشتغل باليومية فى أوقات المواسم والزراعة، والأوقــات اللى مفهاش زراعة بروح اشتغل فى الورش ، وبأخذ أجرتى فى الأسبوع يعنى أنــا لما بشتغل فى بعض الورش بأخذ فى الأسبوع ٤٠ جنيه ، يعنى ممكن أجمع حــوالى ١٦٠ جنيه وليا ساحل براعيه .. يزرع فيه جرجير أو خص أو كرنــب أو حــسب الظروف ، ودد بيجيب لى تقدر تقول كده حوالى ٢٠-٣٠ جنيه ، يعنى كده بالتقريب تقدر تقول فى الأيام العادية ينقص أو يزيد حسب الأيام اللى باشــتغلها ، أو حــسب الدخان اللى بيطلع (يقصد البقشيش).."

ويضيف " على " أنه وزوجته يعملان جنباً إلى جنب فى الساحل الذى يملكــه ، وفى بعض الأوقات تخرج المرأة للعمل فى أراضى الغير ، خاصة فــى مواســم جمع القطن . وإلى جانب يذلك فهو يمتلك إحدى الحيوانات (بقرة) التى من خلالها يقوم ببيع انتاجها لكى تساعده على المعايش .. " والبهيمة اللــى عنــدى بتــساعدنا وبتفكك ضيقنا ، لأننا بنبيع من وراها سمنه وجبنه ولما بتولد بنبيع اللى بتجيبة وربنا يسهل الحال..."

[1]) تعتبر الحالة الرابعة والخامسة من قرية " تلة " التابعة لمركز المنيا ، والتى يبلغ عدد سكانها نحو ٩٠ ألف نسمة ، ويبلغ حجم المساحة نحو ٧٩٠ فداناً تقريباً . وتبعد قرية تلة عن مركز المنيا نحو ثلاثة كيلو مترات وهى تعتبر من القرى الأم التى تضم اليها نحو خمس قرى فرعية هى قرية بهدال وطوة وبلقيس وأبو شادة وبنى عبدالله . ويوجد بقرية تلة نحو ثمانى مدارس ابتدائية ومدرستان اعداديتان ومعهد دينى (أزهرى)

ويزيد صاحب هذه الحالة على ما سبق ، فيذهب إلى أن الدخل الذى يدره هو وزوحته لايكفى للإنفاق على الاحتياجات الضرورية (الغـــذاء والملبس) وهو فى ذلك يقرر : " ممكن تقوللى إن دخلك كويس وكتير ، لكن والله ما بيكفى لأن العيــال عندنا سبعة (اربعة ذكور وثلاث إناث) لو جبنا كده كده خمس مرات برضى مــش هيكفى .."

ويعيش صاحب هذه الحالة فى مسكن يملكه ، ويتكون من حجرتين كبيــرتين احداهما مخصصة له ولزوجته ، وفيها سرير خــشبى ودولاب قــديمين والأخــرى لأولاده والتى ليس بها أى أثاث سوى بعض (الإكلمة) القديمة التى تفتــرش علـــى الأرض درءا للرطوبة التى تخرج من الأرض ، والتى ينام عليهــا الأولاد بعــد أن يوضع عليها بعض البطاطين القديمة والأغطية المتهالكة ويخلو مسكن " على " مــن الكهرباء والمياه الجارية والمرافق الصحية ، وهو مبنى من الطوب النيئ ومــسقوف ببعض الأخشاب القديمة الموضوع عليها بعض مخلفات الزراعة مثل القش والحطب وعلى حد قوله فهو لايملك أية أجهزة بمنزله سوى راديو ترانزستور يعمل بالبطارية الجافة .

ويذهب على إلى أنه يقضى معظم أوقات اليوم فى العمل وفى أيــام مواســم الزراعة والجمع فهو يعمل من بزوغ الفجر حتى صلاة العصر فى احدى المــزارع ثم يعود لمنزله لتناول الطعام ، ثم يخرج مرة ثانية فى مكان آخر ليعمل بأجر آخــر حتى نهاية اليوم ويقول فى ذلك :

"... أنا باشتغل طول اليوم من أوله إلى أخره ، وأول حاجــة أنــا بأعملهــا أصلى الفجر ، وأجوم أجيب الفول والعيش للعيال وأصحى الست بتــاعتى علــشان تجهز الفطار ، وأصحى العيال علشان يروحوا المدارس ويفطــروا معانــا وبعــدين أروح أنا على الغيط بالفأس واشتغل لحد الظهر وأرجع أصلى الظهر وارجع اشتغل لغاية العصر وبعدين اروح أتغذى وبعدين أرجع تانى فى حتة تانية وده يابية عشان

اجيب فلوس أكتر ، أصلى أنا لو اشتغلت على طول مش هجيب زى انا ما بفيـد ... ولما بجيب فلوس بروح اجيب شوية سكر وشاى وطلبات البيت وساعات حته لحمـة "

ويرى صاحب هذه الحالة أنه برغم عدم ادخاره لأى وقت مـن اليـوم هـو وزوجته الا أن الدخل الذى يدرانه لا يكفى لسد احتياجاتهم الضرورية وذلك لارتفاع الأسعار التى تقضى أوتلتهم كل شئ . وإذا كانت اليومية التى يـستطيع أن يحـصل عليها هى التى يستطيع أن يصرف منها على المعيشة فإن الحصول علـى الملـبس فإنه يستطيع توفيرها فى أوقات معينه خاصة موسم جمع القطن.

".. أنا رجل فلاح على قد حالى وزى ما قلتتلك أن مفيش دخل محدد فـاللى بيجى من اليومية سوا من الأرض أو من الورشة أو من شغل الولية بيروح كله على الأكل ... وكسوة العيال بتسيبها لموسم القطن اللى احنا فيه بنمـسك فلـوس كتيـر ويبقى الخير كتير "

ويوضح صاحب هذه الحالة أنه نتيجة لارتفاع تكاليف فأحيانا ما تـضيق ذات اليد ، الأمر الذى يجعله يقترض بعض الأموال الذى ما يلبـث أن يقـوم بتـسديدها وخاصة فى أيام المواسم الزراعية .

وعن مدى توفر الحاجات الأساسية التى تجعل الأسرة على قيـد الحيـاة (أقصد الطعام) فإنه يرى :

".. احنا بناكل مع بعض ، أنا والعيال ، علشان ربنا يبارك لينا فى اللقمة اللى عطاها لينا والأوقات اللى بكون فيها فى الغيط أو الورشة أنا باكل لوحدى والعيـال تأكل لوحدها عشان أنا بأكل مع الانفار اللى بتشتغل معايا ... والفطار دايما بيكـون على طول فول أ وشوية طبيخ من اللى بات ، والغدا بيكون حتة جبنـة أو بـيض وحتة سمنة . وفى العشا إن كان عندنا طيور فبندبح منها ، أو بنجيب حتة لحمة من الشغل اللى باشتغله زى ما قلتلك ، وبنعمل شوية كشك ، وهو موجود عدنا فى البيت

، أو شوية ملوخية ناشفة وطبعا احنا بنعمل البتاو فى البيت ، ودايما بنشترى الـــدقيق عشان إحنا معنـــدتاش أرض عشان نطحن منها ..."

ويضيف على أنه يقوم بشراء احتياجاته المنزلية من السوق العام للقرية، لآن القرية خاوية من أية محلات أو من المدينة التى يجد فيها المرء كل مـــا يحتاجـــة ، والتى يصل إليها بالسيارات الخاصة (بالأجرة).

"... انا بروح البندر فى التيوتا بخمسين قروش ، وأنا بروح حسب الظروف ، لما أكون رايح اشترى قماش للعيال فى أيام موسم القطن "

ويذكر صاحبنا أن ثمة قطيعة بينه وبين تناول اللحم ، حيث ارتفـــاع ثمنهـــا الذى تجاوز نحو أربعة عشر جنيها ، وهو فى ذلك يستعيض عنها بالـــدواجن التـــى تقوم زوجته بتربيتها أمام المنزل . وهو فى ذلك يقول :

"... اللحمة أنا مقاطعها ، وهى مسببة مشكلة لنا ، وعلشان واحـــد فقيـــر زى يجيب لحمة كل أسبوع ميقدرش ، الكيلو وصل ١٤ جنيه وأنا أجيب منـــين . الـــست فى البيت بترتبى حتتين فروج ، وكل كام سوق تدبح لينا فرخة علشان تسد مطـــرح اللحمة ، وسواعى نجيب لحمة بس مش على طول فاحنـــا بنجيـــب كـــل ٣ أســـابيع ويدوب نجيب ٢/١ كيلو . احنا كمان بنجيبها فى المواسم ، وساعات فيه نـــاس مـــن الكبار اللى فى البلد المقتدرين بيدوناً حتى لحمة لما بيدبحوا ..."

وفيما يتعلق بتنظيم الأسرة ، يرى صاحب هذه الحالة أن تنظيم الأسرة يتنافى مع الدين ، وأنه لا يتبع مثل هذه البدع ، كما أنه يرى أن خلفه الأولاد قيمة كبيـــرة (عزوه) برغم التكاليف الكبيرة لتربية الأولاد .

أما بالنسبة للعلاج ، فإنه يرى أن قريته برغم اتساعها ، إلا أنه يندر وجـــود الأطباء فى الوحدة الصحية ، ناهيك عن خلوها من العلاج اللهم إلا أنـــواع العـــلاج البسيطة (الأسبرين) أنه أمام ذلك ، فهو يلجأ إما إلى الطب الـــشعبى أو أن يـــذهب إلى المستشفى العام فى مدينة المنيا .

وعن المشاركة السياسية يذهب " على " أنه ليس لديه بطاقة انتخابية وانـــه لا يشارك فى أية استفتاءات ويقرر أنه لا يعرف أى شئ عن السياسة .

الحالة الخامسة :

يسكن صاحب هذه الحالة فى منزل تمتلكه زوجته ، وهو مكون من طابقين ، وهـــو مبنى من الطوب النيئ والطين ، الدور الأول ويحوى على غرفتين وصـــالة ودورة مياه ، والدور الثانى يتكون من ثلاث غرف ، كل غرفة تفتح على الأخرى ويـــصل الدور الأول بالآخر بسلم حجرى ويقطن رب هذه الأســـرة فـــى الـــدور الأول هـــو وزوجته وابنه الصغير ، أما الدور العلوى فهو مخصص لبقية أولاده بواقـــع غرفـــة لكل ابن وزوجته وأولاده . والمنزل وفقاً لوصف صاحب هذه الحالة ، يحتوى علـــى كنبتين موضوعتين فى الصالة القائمة بالدور الأرضى ، بالإضافة إلى سرير خشبى لكل غرفة فضلا عن وجود دولاب " قديم " فى غرفة إقامه رب الأسرة . وإذا كان الدور الأرضى لا يحوى إلا على " بعض " الأثاث القديم كما ذكرنا قبل قليل ، فـــإن الدور العلوى الذى يقطن فيه الأبناء يضم ثلاث غرف نوم كاملة ، بواقع أثاث نـــوم كامل لكل غرفة . ويقول صاحب هذه الحالة فى ذلك :

" .... الداراللى ساكن فيه كنت أتمنى أنه يكون اوسع من كده عشان العيـــال يخدوا راحتهم . والدار دورين ، وهوه من الطوب الأخضر والطين ، الـــدور الأول فيه صالة واسعة وتلات مطارح ودورة ميه ، وفيه سلم من الحجر .. والدور التانى فيه تلات مطارح مفتوحين على بعض وكل واحدة لعيل من العيال المحجوزين اللـــى قاعدين منهم بزوجاتهم (نسوانهم) . أنا بعيش أنا والست بتاعتى وابنى الصغير الى بيتعلم فى الدور الأرضى .. وباقى العيال قاعدين فوق . والبيت ده مش بتاعى ، ده بتاع الست مراتى .. فيه عندى سرير فى كل مطرح ، وفى بردى كنبتين فى الصالة اللى تحت ... عندنا حاجات بسيطة زى اللى عند أى فقير ... سرير ودولاب قدام ، وعند الولاد عشانهم مجوزين أوض نوم كاملة ... "

ويرى " أحمد " صاحب هذه الحالة أن أولاده جميعاً لم يكملوا التعليم ماعدا الأبن الأصغر ، الذى مازال يدرس فى المرحلة الثانوية التجارية . أما ولده الكبير الذى يعيش معه فى نفس المنزل هو زوجته وأولاده (وليدن وبنت) والذى يعمل معه أيضاً فى حيازتهم البسيطة (٢٠ قيراطاً) التى ورثها عن والده، فإنه لم يكمل التعليم نتيجة الظروف الصعبة التى كان يمر بها فهو لم يستطيع أن يفى باحتياجاته ، لذا فصل أن يساعده ويعمل معه أما الابن الثانى ، فيذهب صاحبنا أنه هو وصل إلى المرحلة الاعدادية ، ولكنه لم يجتاز امتحان شهادتها الأمر الذى دفعه إلى ترك التعليم والعمل بالفلاحة ولكنه لم يلبث أن اشترى عربة جر " كارو " وعمل عليها ، وهذا الأبن هو الآخر يمتزوج وله بنتان والأبن هو الأخر متزوج وله بنتان . والابن الثالث فقد حدث له ما حدث للابن الثانى ، إذ لم يكمل تعليمه نتيجة رسوبه المتكرر فى المرحلة الابتدائية ، وهو بعمل الان بالزراعة مع والده ومتزوج وله طفلة صغيرة لا تتجاوز العامين . أما الأبن الأخير فهو مازال فى مرحلة التعليم الثانوى التجارى ويسكن مع والده بالدور السفلى ، ويخصص له حجرة من حجرات الدور الأرضى لكى يستذكر فيها دورسه وعلى حد تعبير صاحب هذه الحالة ، فإن هذا الابن يعتبر من أبنائه المحظيين ، حيث يسعى والده إلى مساعدته من أجل الحصول على الشهادة ، حتى لا يصاب بما أصاب إخوته من عدم تكمليه تعليمهم .

والمنزل الذى يسكن فيه " أحمد " به مياه جارية وكهرباء وصرف ، ولكنه ليس بصحى ، إذ لا يختلف كثيراً عن بقية الحالات السابقة ، فهو يجمبع فى أماكن خاصة تلك التى يطلق عليه بالطرنشات أو البيارات أو الباكبورتات ويذهب " أحمد " فى ذلك أنه منذ مده طويله ، والمنزل الذى يقطن به يشهد مثل هذه الخدمات ، ألا أن الجديد الذى أتى عليها هو التكلفة المرتفعة التى تتكلفها مثل هذه الخدمات مقارنة بما كان حادثاً من قبل ، فبعد أن كان يدفع شهرياً نحو ثلاثة جنيها ، وكان وقتذاك يعد مبلغاً كبيراً ، فإنه الآن يتكلف نحو عشرون جنيهاً ، وهو فى ذلك يقول ، إن هذه الأشياء ليست وحدها التى شهدت ارتفاعاً فى أثمان خدمتها وإنما ما اصابها قد أصاب كل شئ ..

ويملك صاحبنا إحدى البهائم (جاموسة) وهو يقوم بتربيتها لكـــى تقـــدم لـــه مخرجاتها (اللبن والجبن والزبد) التى يقوم ببيعها فى الـــسوق حتـــى يـــستطيع ان تعاونه على اتفاعه النفقات المعيشية وهو فى ذلك يقول:

" ... أنا عندى جاموسة جبتها أنا وابنى الكبير ، وادينى بربيها وبراعيها أهى بتجيب لنا شوية لبن ، احنا بنبيع منهم شوية كل يوم ، وبنشرب شوية ، وبنعمل منها شوية جبن ، وشوية خص ، وشوية زبدة . وفى حد دايماً بيجى بيأخـــذهم مننـــا .. وأهو اللى بيجى منهم أهو بيساعدنى على المعايش ... أصل الحاجات غاليـــة قـــوى ... "

ويضيف صاحب هذه الحالة أن منزله أيضاً يحتوى على تليفزيـــون أبـــيض وأسود وغسالة كهربائية وأيضاً ثلاجة وهى خاصة بالدور العلوى الذى يسكنه أولاد ويستطرد صاحبنا ، أن هذه الثلاجة لا يتوقف استعمالها على الأولاد فقط ، بل غالباً ما تقوم ربة المنزل باستخدامها أيضاً .

ويذهب " أحمد " إلى ان تكاليف المعيشة أضحت مرتفعة ، ويـــصعب علـــى الفقراء مواصلة الحياة معها ، إذ أن استمرارية ارتفاع الأسعار تؤثر علـــى نـــصيب الفرد من الاحتياجابت المعيشية . فعلى سبيل المثال ، فهو يرى أن ارتفاع تكـــاليف التعليم تؤثر بشكل أو بأخر على احتياجات الأولاد منها أى أنه حينما يتـــأثر الـــدخل بارتفاع المصاريف والانفاق فإن هناك بنوداً تؤثر على الأخرى ففى الوقت الـــذى لا يتأخر فيه عن دفع مصاريف المدارس ، فإنه فى بعض الأوقات يتأخر عن الانفـــاق على الكتب أو الملابس أو مستلزمات الدراسة (مثل الكراريس والكتـــب الخارجيـــة والدروس الخصوصية إن ارتفاع الأسعار بالنسبة للدخول جعل الكل – مـــن وجهـــة نظر المبحوث – يكيف ذاته أولاً ، ثم يعمل على تمويل هذه الزيادة علـــى حـــساب الآخر فهو يقول فى هذا الصدد :

" .... وأخذ بالك ، لما بيكون فى زيادة فى سـعر حاجـة ، الكـل بيـزود الحاجات اللى بيشتغل فيها مثلا الدكتور تلاقية راح رفع الفيزيته بتاعتة ، بتاع الفول يقلل من كمية اللى بيبيعه اللى عنده عربية يزود عن التوصيلة ... "

ويرى " أحمد " أن الزيادة فى الأسعار أثر بشكل سـلبى علـى الاحتياجـات المعيشية من الغذاء وهو فى ذلك يذهب .

" أنا زى ما قلت لك إن الحاجات اللى بنعملها فى البيت ، واللى بنطلعها مـن ورا البهيمة س، إحنا بنبيعها عشان يطلعلنا قرشين نقدر نمشى بيهم حياتنـا فيبقـى مفيش قدامنا غير الفول والطعمية وشوية الجبن ، والفجل والبصل ... ودوت نصيبنا ... والله الحاجات دى ملازمانا صبح وضهر وعشية ، أما اللحمة والفراخ فدى تبـع الأرزاق ..ده الغلا اللى حاصل مبيخليش الفقراء اللى زينا يشتروا لحمة خـالص ... اللحمة هنا وصلت ١٤ جنيه ، إزاى بجة نكفى أسرة كبيرة زيينا ... حتـى الفـراخ اللى كانت رخيصة احنا الوقتى بنبيعها ونجيب بدلها فراخ من البيضة ..."

<u>ويستطرد صاحبنا اتصالا بما سبق ، ويقول :</u>

".. كل حاجة الوقتى بنبدلها وبنستخسرها فى نفسينا .. دى حته الزبدة والـلا السمن البلدى اللى كانوا الفلاحين مشهورين بيها معدتش خلاص . إحنا الوقتى بنبيع الحاجات دى ، وبنجيب حاجة تانية بدلها ، احنا دلوقتى بنجيب السمنة الـصناعى أو الدهون اللى بتطلع من البهايم ..وده أرخص وأوفر وميخليش الواحد منا يمـد أيـده ويستلف .. ومكدبش عليك أن الحاجة الوحيدة اللى مبتقدرش نبطلها هى خبيز العيش البتاو .. بس كما احنا بنلاقى الأمرين لما تلاقة الدقيق ..." .

وإذا كان ارتفاع الأسعار قد أثر على الاحتياجات الضرورية من الغذاء فإنـه ايضاً أثر على الملسبس ويرى صاحب هذه الحالة أن هذا ليس وضعا جديـداً عليـه وإنما يعد استمرارية لما كان سائداً من قبل وفى ذلك يقول :

"... موضوع اللبس على حسب ربنا ما يدينه ونشترى ودوت بيكون حسب النصيب من زمان ومن قبل الأسعار ما تغلى كده واحنا لو أتوجد معانا فلوس اشترينا ولبسنا ومالوش دعوه لا بصيف ولا بشتا ولا بمواسم ولا يغيره ولا عيد نشترى عليه ... يابية على جد لحافك مد رجليك ... "

وعن موضوع احتياجات الزراعة ، يرى صاحب هذه الحالة بأن كل مستلزمات الأرض أصبحت مرتفعة الأثمان بالنسبة لما تدره الأرض من عائد أضف إلى كل ذلك أن رفع يد الدولة عن تدعيم وتوفير ماتحتاجه العملية الزراعية وضع الفلاح وخاصة الصغير فى حالة استغلال وخاصة من قبل أصحاب الملكيات الكبيرة واصحاب رءوس الأموال ويدلل على ذلك بقوله :

" .. والله الفلاح الفقير اللى زى حالاتى حقه مهضوم ولايقدر يأخذ حقه زى الغنى ... خد عندك مثلا " مبيد القطن " فى موسم القطن ، غيط الغنى يتنظم ويترش حسب الأصول ، لكن الفقير بيطنش لأنه مبيقدرش يتكلم ، ولو أتكلم مش هيخلص ... وعشان هيشتكى الموضوع هيطول ومش هيأخذ لا حق ولا باطل . وكمان الفقير اللى زمى معندوش وقت بسبب أرضسه ويخش فى يعراك مع حد ... الغنى الفاضى وعنده اللى يزرع له الأرض ... أنا عندى مين ... لازم أشوف كل حاجة بنفسى عشان الأرض تجيب ، ودوكها ميهموش أى حاجة عشان ليه اللى بيدور عليه "

وفيما يتصل بالخدمات التى تقدمها مؤسسات فيذهب صاحب هذه الحالة الى أنه لايتعامل معها، لأنها لاتقوم بخدمته ، وإنما خصصت فى الأونة الأخيرة لخدمة الأغنياء فحسب ، وهو فى ذلك يقول :

" أنا ما بروحش الجمعية الزراعية أبداً ، إلا لما يكون عايز بيان حيازة أعمل بيها بحث اجتماعى عشان أبنى اللى فى المدرسة ، لأنها مش فاضية للفقير اللى زى ... هى بتاعة الأغنياء ... والوحدة الصحية بردى مفهاش حاجة ولا حتى الدكاترة

بنيجى بانتظام ... دول بيجيوا يوم وعشر لا .... ولو حصل إن حد بيغيب احنا بنوديه المنيا... مفيش حاجة الوقتى للفقير ...ده إحنا مظلومين .

وفيما يختص بالمشاركة السياسية [1] يرى أنه بالرغم من عدم قيده بجداول الانتخابات ، إلا أنه يذهب في الاستفتاءات العامة ويمارس حقه السياسي. ولكن فيما بالقوى السياسية التي تعبر عنه ، فهو يرى أنها لا تعمل إلا لمصالحها وحسب ، وأنها بمجرد الوصول إلى كراسي الإنابة عن الشعب ، فإنها تعكف فقط على خدمة مصالحها ومصالح من حولها فقط أو يدلل على ذلك .

<u>الحالة السادسة:</u> [2]

تتكون أسرة صاحب هذه الحالة من سبعة أفراد ، ثلاثة ذكور وأربع إناث أحد الابناء منهم تلميذ فى المرحلة الاعدادية وآخر فى التعليم الاعدادى ، والآخر لم يتم تعليمه . أما بالنسبة للإناث ، فمنهم اثنتان أنهيا تعليمهن المتوسط، والأخريان لم يتحصلن على أية قسط من التعليم .

" عندى ٣ عيال صبيان و ٤ بنات منهم ولد فى أولى اعدادى وولد فى ثانية ابتدائى ، وولد أصله طلع من المدرسة . والأربع بنات ، اتنين منهم اتعلموا وأخذوا دبلوم ، والاتنين الباقيين مادخلوش مدارس خالص ..."" ويذهب صاحب هذه الحالة إلى أنه لايحوز أيه أرض زراعية ، بل إنه يعمل بالأجر لدى الغير ، ويصل دخله اليومى من أربعة إلى خمسه جنيهات ، وفى مواسم العمل الزراعى، حيث يزيد الطلب على العمالة يرتفع هذا الأجر إلى ستة جنيهات .

" ... أنا باشتغل أجرى على إيدى وبأخذ أربعة خمسه أو ستة فى اليوم. وده طبعاً فى المواسم ... وأنا باشتغل عند ده شوية ، وعند ده شوية ... " ويضيف أيضاً

([1]) الحالة السادسة والسابعة تبعا لقربة قونة التابعة لمركز قلين بمحافظة كفر الشيخ والذى يبلغ تعداد سكانها نحو ٦٠٠٠ نسمة وتبلغ مساحتها نحو ١٠٥٥ متر مربع ويوجد بها مدرستان للاعدادية ، ومثلها للمرحلة الابتدائية ، بالاضافة إلى معهد دينى أزهرى بالإضافة إلى مؤسسات القرية الرسمية التى تنتشر فى جميع قرى مصرى

([2]) : الحالة السادسة والسابعة يتبعا لقرية قونه التابعة لمركز قلين بمحافظة كفر الشيخ والذى يبلغ تعداد سكانها نحو ٦٠٠٠ نسمة وتبلغ مساحتها نحو ١٠٥٥ متر مربع ، ويوجد بها مدرستان للاعدادية ، ومثلها للمرحلة الابتدائية بالاضافة إلى معهد دينى ازهرى بالاضافة إلى مؤسسات القرية الرسمية التى تنتشر في جميع قرى مصر .

: " أنا مفيش إيراد على طول كل شهر زى الموظف ، يعنى رزق يوم بيوم .. نطلع نشتغل وأهو يوم نلاقى فى شغل ويوم ما نلاقيش والحمد لله ... "

ويسكن " فرج " صاحب هذه الحالة فى أحد البيوت الريفية المشيدة من الطوب النيئ – أو على حسب تعبيره من الطوب الأسمر – ويتكون من حجرتين للمعيشة وأخرى لتربية الحيوانات ولايوجد بمنزل صاحبنا أى نوع من الخدمات أى ليس به مياه جارية أو كهرباء وكذلك لايوجد صرف صحى ووفقا لوصفه لهذا المسكن يقول :

" ... الدار اللى أنا قاعد فيها مطرحين وزريبة للبهايم (جاموسة شرك وحمار) والدار بالأسمر ، المندرة اللى بره فيها ٥ عروق خشب ومتبيضه ، وفيها سرير لى أنا والست بتاعتى ، والأوضة التانية فيها بقية العيال (٧ أبناء) وفيها كمان طبلية وقوله ولنضه جاز ... إحنا مدخلناش كهرباء لغاية دلوقتى ، وقاعدين على لنضة جاز ... والقاعة التانية فيها حصير للعيال وبطانية متقطعة والأوضة دى مش متبيضة والله دى حتى فيها شوية عروق مطرشقين من مطر السنة اللى فاتت ومش قادر أغيرهم عشان عايزين فلوس يامه ..."

ويذكر فرج أن ابنه الأكبر الذى لم يتم تعليمه ويعمل معه بالفلاحة الأجر، يساعده من خلال ما يدره من أجر فى الانفاق على الحاجات الضرورية التى يحتاجها المنزل ، إذ أن كل ما يدرانه من دخل يذهب دون فائض – على استيفاء الاشياء الضرورية التى يصنعها بالإرتفاع المتزايد وهو فى ذلك يقول :

" مفيش أزيد من مصاريف الأكل والشرب ، ومصاريف العيال اللى بيتعلموا أهوهمه عايزين كل يوم مصاريف للكتب والاقلام والكراريس ، وأهو عندى الواد الكبير بيشتغل معايا وبيساعدنى ، ومفيش حاجة مقضية ، الكل بيروح على الأكل والشرب "

ووفقاً لكلام المبحوث فإن دخله لا يتوقف على ذلك فحسب ، إذ أن إحدى بناته الحاصلة على الدبلوم التجارى والتى تشتغل بعمل غير رسمى (قطاع خاص) تقوم بمساعدته بعض الأموال التى تأتى بها، إما من مرتبها أو مما توفره من عملية تربيتها لبعض الدواجن " أهو عندى البنت بتشترى من مرتبها شوية بط وفراخ وتطلقهم فى الدار ، ولما يكبر وبتبيع منه شوية وبتدينى أصرف منهم "

ويصف " فرج " أوجه شكل الانفاق على الطعام والشراب ، فيرى أن معظم الدخل يذهب إلى الانفاق على الطعام الذى يتكون عاده من البقوليات إذ أن ثمة قطيعه بين طعام أسرته وبين البروتين الحيوانى، الا إذ تم تدبيرة من خلال ما تقوم وحدته المعيشية بتربيته وخاصة من الطيور وترجع قطعية هذه الأسرة مع البروتين الحيوانى إلى ارتفاع تكاليفه التى لا ينهض دخله على مسايرته . إن تناول البروتين الحيوانى – وفقا لمصدرنا الراهن – لهذه الأسرة يتوقف على المواسم والأعياد فقط ، وهو فى ذلك يذكر :

" مفيش مرة أقدر أكل كيلو لحمة زى الناس التانية ، هجيب منين فلوس للكيلو ده ، لأن الأكلة دى عايزه أجرتى فى تلت تيام على بعض ونقعد بقية الأيام من غير مصاريف ... أهو بيجى مواسم وأعياد وبنجيب اللحمة من الجمعية أهى رخصية شوية ... وإحنا بنقضى أيامنا الصبح فول وحتة جبنه ولا شوية مش ، أو شوية طبيخ من اللى بنطبخة أرديحى ، والظهر شوية طبيخ من غير زفر وبالليل شوية شعرية باللبن ... وإحنا النهاردة منقدرش نخبز زى الأيام اللى فاتت ، احنا بنجيب العيش من برة .."

وفيما يتصل بالانفاق على الملبس ، فإنه يرى أنه يقوم بشرائها كل عام، أى من الموسم إلى الموسم ، وفى ذلك يقرر :

" والهدمة بقة مابنجيبهاش مش ع الشهر زى الناس ، أهى الهدمة اللى ع النفر تكفيه السنة لبس، ويوم ما بنجيب بنجيب على الموسم من السنة إلى السنة .."

وفيما يتصل بالعلاج والخدمات الصحية ، فإنه يرى أنه الاستناد إلى العـــلاج يخضع أيضاً لظروف الدخل . وأنه فى ذلك يلجأ إلـــى الوحـــدة الـــصحية بالقريـــة لرخص ثمن الكشف بداخلها (٣٥ قرشاً) وإذا كان صاحبنا يلجأ إلى الوحدة الـــصحية لرخص ثمن الكشف بها ، فإنه فى الوقت ينفسه يئن من ثمن العلاج الذى لا يتـــوفر إلا فى الصيدليات الخاصة .

وعن تنظيم الاسرة يرى " فرج " أنه على الرغم من أن زوجته تعـــانى مـــن بعض الأمراض ، الا أنها لا تكف عن الانجاب وهو يرجـــع ذلـــك إلـــى العـــادات والتقاليد التى ورثتها عن آبائها ، والتى من خلالها ترى أن كثـــرة الأولاد لا تجعـــل رب الأسرة تفكر مرة أخرى فى الزواج ، ناهيك عن فكرة أن الأولاد ثروة وتـــسند الأسرة فى الأمور الاقتصادية وفى ذلك يذكر .

" تنظيم أسرة أيه ، احنا يا بنى نطلعوا نلاقوا أبهاتنا بيقولوا إن العيال عـــزوة ... رخرة الست بتاعتى صحتها تعبانة ، ودايماً فى النازل لكن مبتبطلش خلفـــه ... وهى فى فكرتها أن العيال دول ممكن ميخلوش الواحد فينا يجوز تانى ... أو أنهـــم ممكن لمتهم يسندوا الواحد فى المصاريف .

وعن مدى توفر وسائل النقل والمواصلات فى القرية ، تلك التى تسهل عملية الاتصال بينها وبين غيرها من القرى أو بالمدينة ، يرى صاحبنا أن هـــذه الوســـائل تتمثل فى تدبير الأفراد لوسائل المواصلات المجهزة مثلها غيرها من القرى.

" مفيش غير العربيات التيوتا ، اللى إحنا بنقول عليها الصندوق، واحنـــا لمـــا بنحب نروح قلين بتنحشر فيها حشر .."

وعن المشاركة السياسية ، يرى " فرج " أنه يشارك فى جميـــع الانتخابـــات خاصة انتخابات مجلس الشعب واختيار العمدة ، وهو فى ذلك يقول :

" أنا بروح أنتخب الحاج (ع.ح.غ) وهوه مش من بلدنا وبس ، ده هو كمـــان على قد حالنا ، وبيخدم ناس كثيرة من البلد . ويروح كمان انتخب فى العمدية وأنـــا

اخترت الحاج (س) عشان هوه راجل حته سكرة بيشغل ناس كثيــر وفــاتح بيــوت كثيرة ، ومش هخبى عليك هوه كمان بيساعدنى .

الحالة السابعة :

يذكر " إبراهيم " صاحب هذه الحالة أن أسرتة تتكــون مــن أربعــة أفــراد بالإضافة له ولزوجته . وهؤلاء الأفراد هم ولد . وبالنسبة للبنتــين ، فإحــداهن لــم تحصل على قسط من التعليم ، أى أنها لم تدخل مدارس قط ، وأخرى فــى الــصف الثالث الأعدادى ، أما بالنسبة لابنه فهو بالصف الثانى الإعدادى .

" عندى ولد وبنت فى المدرسة ، الولد فى تانية إعدادى ، والبنت فــى تالتــه إعدادى والبنت التالية قاعدة فى البيت بتشتغل مع أمها ... وسعات لما بيجــى جمــع القطن ، أهى بتسرح كل يوم وتدينى الأجرة عشان نصرفها .

ويقوم صاحب هذه الحالة بزراعة ثلاثة قيراط بالايجار . ووفق ذكره يقــول إنه لا يستطيع أن يتوسع فى الزراعة أكثر من ذلــك ويرجــع ذلــك إلــى ارتفــاع المستويات المعيشية ... ويقول .

" وعندى ٣ قراريط بأزرع منهم بالايجار أهو على جد حــالى لأن المعيــشة غالية ، مقدرش أجر أكثر من دول ... "

وبيسكن " إبراهيم " فى بيت مشيد بالطوب النيئ ، وهذا البيت ورثة عن والده ، وهو يتكون من حجرتين ، ومكان آخر فى الدار ذاتها يقوم بتربية البهــائم فيهــا . كما أن المنزل خالى من المرافق (المياه والكهرباء والصرف الصحى) كمــا أنــه خال من الأثاث ، اللهم ما توفر للاستخدام فى النوم والمعيشة فقط .

" والبيت بتاعى مبنى بالأسمر ، يعنى بالطوب النى والطــين ، وهــو فيــه مطرحين ، واحدة بنام فيها أنا والست مراتى ، والمطرح التانى للعيال ... وعنــدنا وسط الدار حته طويلة شوية بأعمل نصها للعجلة الصغيرة اللى عندى .. والدار من ساعت ما ورثتها عن أبوى معملتش فيه حاجة ..ده حتى الشبابيك قدمت واكــسرت ومش عارف أصلحها ، أنا عايز أغيرها بس مش جادر ... وأنا معنديش ميــه فــى الدار... أنا مدخلتش ميه لغاية دلوقتى لانهم قالوا لو دخلت ميــه البيــت هيقــع ...

وكمان الميه عايزه فلوس يامه ... وكمان معنديش كهرباء ... بس أحنا بنجيب الميه من الحنفية العمومية اللى على البحر ..." .

ويحكى " إبراهيم " أنه من خلال ما يقوم بزراعته وما تنتجه زوجته بالمنزل ، يستطيع أن يبقى فيزيقياً ، إذا أنه يعتمد على ذلك اعتماداً كلياً ، خاصة أنه ليس له دخل آخر وهو فى ذلك يقرر : .

" إنا كل يوم باطلع اشتغل فى الأرض ... وأنا زارع خطين ليا وللعيال أنـــا والعيال نأكل منهم ، وكل يوم وأنا راجع من الغيط بأجيب معاى شوية من الخــضار ، أهو ده غموس وخلاص ... أمال هنعمل إيه . وكمان الست بتاعتى بتربى شـــوية فراخ وبط وبنعمل شوية جبنه ونخزنها او بنبيع منها مـــــــع شوية زبده .."

واستطراداً لما سبق ، يرى إبراهيم ، أن ما يقوم بزراعتـــه ، أو مـــا تـــدره زوجته دخل ، فإنه لا يكفى لاستمرار المعيشة أو الانفاق عليها . لذا فهو يرى أنـــه بجانب قيامه بزراعة الأرض التى يستأجرها ، فإنه يبيع قوة عمله خاصة فى مواسم الحصاد مقابل أجر وهو فى ذلك يذهب .

" أنا كمان مأجر الجراريط دى ، وبأزرعها غلة شـــوية برســـيم ، وشـــوية خضار ، وهو بنأكل منها شوية وينصرف منها شوية ، وساعات لما يبيجـــى موســـم الضم باطلع أروح مع الرجالة وأشتغل فى اليوم بخمســـــــه أو ستة جنيهات ...".

وفيما يتصل بالأشياء التى يقتنيها صاحب هذه الحالة ، فإنه يرى انه لا يمتلك فى دارة أى شئ ، فهو يستخدم الأرض المفروشة ببعض الأغطية القديمة للنوم كمـــا أنه لايمتلك أية أجهزة كهربائية أو غير كهربائية .

وعن احتياجات الزراعة يذهب " إبراهيم " أن ما يستأجره من حيـــازه تعـــد صغيرة الحجم لذا فهى لا تحتاج لأشياء كثيرة ، لذا فهو دائماً ما يشارك جارة الـــذى يمتلك هو الآخر حيازة صغيرة مثله فى شـــراء الـــسماد والمبيـــدات . ودائمـــاً مـــا يحصلان عليه بالأجل من القطاع الخاص . وهو فى ذلك يرى أن القطـــاع الخـــاص الآن هو الممول الرئيسى لهم لكل ما يحتاجونه إذ يستطيع أن يوفر لهم أكثر من نوع

فيما يتصل بالأسمدة والمبيدات والبذور وهو فى تصوره أن القطاع الخاص أسهل فى تعامله مع الفلاحين من الجمعية الزراعية ، حيث يقدم لهم تسهيلات فى السداد أفضل من المدد التى تحددها الجمعية وبنك التسليف الزراعى . إن ذلك – من وجهة نظر المبحوث – يعد أفضل مما تقوم به الجمعية الزراعية التى تلزمهم استلام أنواع بعينها من الأسمدة والمبيدات والبذور ، نهايك عن اشتراط السداد بعد كل دورة زراعية .

وفيما يتصل بالغذاء والأشياء الضرورية التى يحتاجها صاحب هذه الحالة ، فإنه يرى أنه لضيق ذات اليد ، ولصعوبة وارتفاع نفقات المعيشة فإنه يرتكن فى غذائه على ما تدره الأرض وحسب لذا نجده يتغاضى عن تناول البروتينات الحيوانية ، ويستند على البقوليات أو الخضروات وبعض المنتجات المنزلية ، كما أنه يكتفى فقط بالمواد المقررة التى تصرفها له الدولة ، ناهيك عن شراء الخبز من أماكن صرفه سواء من الأفران أو لدى بائعيه ..."

وعن تنظيم الأسرة ، فهو يرى أن هذه المسألة الخلفة محجوزة ولكن فى هذا الصدد يقول :

"..أنا لو مكنش الخلفة ممنوعة من عند ربنا ، لكنت خليت مراتى تجيب كمان .... حد يقدر يمنع الرزق ... الخلفة دى رزق ، وهيه عند الفقير زى الفلوس بالضبط . دى فى ناس كثير أغنيا بتبيع اللى وراها واللى قداملاها عشان تشوف حتة عيل ... حد يقدر يقف قدام ربنا..."

وفيما يتصل بالاحتياجات الصحية ، فإن صاحب هذه الحالة يقرر، أنه نتيجة لصعوبة وارتفاع نفقات العلاج الخاص فإنه يلجأ دائماً إلى العلاج الرسمى، الذى يقدم الفحوص بأجور زهيدة .

وعن المشاركة السياسية ، اعتذر صاحبنا عن الخوض فيها ، بحجة أنه لا يتحدث فى السياسة أو فى غيرها وقد ختم حديثه " ... يا عم خلينا ، هو إحنا هنغير الكون ..."

الحالة الثامنة [1]

يعمل صاحب هذه الحالة مزارعاً ويمتلك أرضاً زراعية تقدر بنحـــو ثمانيـــة قراريط ، فضلا عن رصيد فى البنك يقدر بنحو ثلاثة ألاف جنيه يأخذ منهم ربحـــاً شهرياً نحو ثمانية وثلاثين جنيها . ويضيف صاحب هذه الحالة أن لدية بقرة (شرك) ثمنها ١٧٠٠ جنيه وقد كتب صاحبها عليه سند ملكية بهذا الثمن .

وتتكون أسرة " محمد " من ثمانية أفراد ، خمـــسه ذكـــور ، وثـــلاث إنـــاث بالإضافة إلى زوجته ويحاول " محمد " وصف أسرته فيقول :

"... أنا مجوز وعندى خمسه صبيان وثلاث بنات .. الولد الكبير واخد دبلون صنايع وسافر فى الأردن ، والبنت الكبيرة معاها دبلون تجارة ، وعندى عيلين فـــى الدبلون ، وواد تالت فى تالته ابتدائى ، والواد الصغير لسه مدخلش المدرسة ، وبنت صغيرة عندها سنتين ... وعلى فكرة الست بتاعتى حامل تانى .. والحالة مش تمـــام يا فندى ، مصاريف العيال كتيرة ، والتعليم مبقاش مجـــانى زى زمـــان ده العيـــال عشان تروح تتعلم بتركب مواصلات بالشئ الفلانى ... الحال اتغير مبقـــاش زمـــى زمان ..."

ويستطرد صاحب هذه الحالة فيرى أن كبر حجم أسرته لا تناسب مع حجـــم الدخل الذى تناقص بشكل ملفت ، بعد أن أصبح من الصعوبة بمكان معاودة الـــسفر إلى الخارج (دولة العراق) التى من خلالها استطاع تكوين فائض نقدى ، اســـتطاع أن يكمل منزله على النحو الذى هو عليه الآن ، وهو ذلك يقول :

" ... مصاريف العيال كتير قوى ، بس الواحد هيعمل إيه .. أنا مكنش عامل حساب الأيام الســـــــودة دى ... زمان أيام مكنت في العراق ، الله يخليك يـــا .... ويكرمك يا بتاع الغلابة .. أنا قعدت عنده ... فوق التمن سنوات، كان الواحد يكسب

([1]) الحالات من الثامنة حتى العاشرة مزارعاً من قرية شدموه التابعة لقرية منية الحيط التابعة لمركز إطسا بمحافظة الفيوم . وقرية شدموه يحدها من الشمال قرية الجعافره ومن الجنوب قرية منشاة عبدالمجيد ومن السرق قرية منية الحيط ومعجون أما من الغرب فيحدها قرية دفنو . ويتبع قرية شدموه حوالى ٢٨ عزبة وبها مدرسة ابتدائية وأخرى اعدادية وبعض المؤسسات الرسمية التى تخدمها.

كتير بس الواحد مكنش عامل حساب الايام دى وقلنا كل مـــادة والايـــام بتتحـــسن ، والفقر مننا ما كانش بيحوش ولا يشيل حاجة بس نقول ايه إحنا احسن مـــن غيرنـــا بيتنا بيت يلم العيال ، أحسن من الأوضة اللى كنت عايش فيهـــا ده الواحـــد مكـــنش سافر ، كان زمانه قاعد فى الشارع ... كان لازم الواحد أيامها يجيب للعيـــال كـــل حاجة .. والست بتاعتى بتصرف ومش عاملة هى كمان للأيام دى ..."

ويحاول المبحوث أن يصف حالة مسكنه ، فيذهب إلى أنه يتكون من حجرتين وصالة ، حجرة له ولزوجته وأخرى لأولاده والمنزل به ميـــاه وكهربـــاء وصـــرف صحى مثل بقية ما هو سائد فى قرى مصر ، أى أنه يتجمع فيـــه المخلفـــات ويـــتم تفريغها بين وقت وآخر ومن المهم أن نشير هنا على الرغم من تخصيص حجـــرات المنزل للنوم ، إلا أنها تستخدم أيضاً فى الاعاشة وتحوى كل غرفة علـــى ســـريرين وبعض الأرائك (كنب بلدى) التى هى الأخرى تستخدم فى الجلوس والنـــوم معـــاً بالاضافة الى بعض الأغطية والمفروشات التى استطاع صاحبنا أن يتحصل عليهـــا وقت أن كان فى بلد المهجر وإذا كانت منزل المبحوث يحوى على غرفتين للإعاشة فإنه أيضاً يحوى غرفة أخرى ولكن لاعاشة الحيوانات التى يمتلكها .

ويذكر المبحوث أن منزلة عبارة عن طابق واحد ، كان قد أقامه على قطعـــة من الأرض الزراعية ذلك الأمر الذى سبب له بعـــض المـــشاكل والتـــى اســـتطاع تسويتها مع القضاء ويضيف صاحب هذه الحالة أن منزله مبنى من الطوب الأحمـــر (الحوائط) ومسقوف بمجموعة من جذوع الأشجار والمغطى بطبقـــة خفيفـــة مـــن الأسمنت ويوضح المبحوث أن عدم اكتمال منزله بالأسمنت والمـــسلح يرجـــع إلـــى قصر ذات اليد ، وعدم توفر الأموال .

ويضيف صاحب هذه الحالة انه يقتنى مجموعة من السلع المعمـــرة والأدوات المنزلية مثل التليفزيون والثلاجة والغسالة والمسجل التى استطاع أن يتحصل عليهـــا وقت الهجرة . وقد استطاع أن يتخلص من بعضها (الثلاجة) نظراً لعدم حاجته لها أولاً ، ثم لمروره ببعض الضوائق المالية التى اضطرته الى بيعها .

ويكشف صاحب هذه الحالة عن مصادر دخله فيقرر أن هذه المصادر متنوعة ، فبعضها يأتى من خراج الأرض أو مما تدره الحيوانات التى يقوم بتربيتها أو من بيع قوة عملة للأخرين وفى ذلك يقول :

" .. والله يا فندى الواحد بيشتغل فى أرضه وربنا بيرزقة منها .. وكمان البقرة بنأخذ منها الزبد والجبن وبنبعيها فى السوق ، أو للجماعة اللى زى حالاتك " الأفندية " ولما الواحد يكون مزنوق فى قرشين يطلع يشتغل بالأجرة عند أى حد ، وإذا احتجت لفلوس بطلع استلف وبعدين بنسددهم من الشغل أو لما بتولد البهيمة بنروح نبيع ولادها فى السوق.. "

ولا يتوقف ضخ الدخل لدى صاحبنا عند هذا الحد ، بل إنه يضيف مصادر أخرى فيقول :

".. الواحد بيأجر فدان ولا حاجة أزرعها أنا والولاد ، لأنهم بيساعدونى وبيشتغلوا معايا فى الأرض وكمان همه بيروحوا يشتغلوا أنفار فى أراضى تانية أو ساعات بيقوموا بتنصيف المصارف ... أو يقوموا بجمع القطن والواحد منهم بيجيب فى اليوم من ١٧٥ إلى ٢٠٠ صاغ "

وعلى الرغم من تعدد مصادر الدخل للمبحوث الا أنه يرى أن دخله لا يكفيه لسد احتياجاته الضرورية إذ يرى أن دخله كله يذهب لشراء ما يبقيه هو وأسرته جسدياً إن ارتفاع نفقات المعيشة يلتهم كل مصادر الدخل لديه .

وفيما يتصل بمسألة التعليم ، فيرى " محمد " أنه على الرغم من أن التعليم قيمة كبيرة ألا أنه يتكلف كثيراً الآن حيث ارتفاع تكاليف الدراسة والانفاق عليها ويذهب فى ذلك .

" ... أنا شايف إن تعليم العيال مصلحة ودى حاجة كويسة ... أنا بحلم أعلم ولادى لأن المتعلم احسن من الجاهل ... بس دلوقتى التعليم بيكلف كتير ... مش بس مصاريف المدرسة واللى بيحتاجه العيال ، لا دى المواصلات كمان غالية ...

الواد من دول بيكلف فى المواصلات الشئ الفلانى ... وانته عارف ليه ، لان مفيش مدارس للثانوية عندنا فى البلد ..."

وعن تلبية احتياجاته الضرورية يذهب صاحب هذه الحالة إلى أنه يقوم بتدبير هذه الاحتياجات من خارج المنزل (الفول – الطعمية – الخبز) بالاضافة إلى بعض منتجات المنزل (جبن – لبن مخيض) فضلا عن أنه يقوم بشراء كل شئ من السوق الذى تقوم زوجته ببيع منتجات وحدتها المعيشية فيه.

وفيما يتصل بتنظيم الأسرة ، يرى " محمد " أنه لم يقم بهذه العملية ، نظراً لعدم معرفته بها فى الايام الأولى من زواجه كما أنه لايوافق عليها الآن ، لأنها تقف ضد الدين وتعاليمه وأوامر الله " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " كما أنه يضيف فى هذا الصدد أن الأولاد تلعب أدواراً بالنسبة للأسرة ففضلا عن مساعدة أسرهم فى العمل الزراعى فأنهم أيضاً من خلال أعمالهم لدى الغير يساعدون أسرهم " والله يا بيه العيال دول سند وعزوه فى البيت والغيط " وعن عملية المشاركة السياسية يذهب المبحوث إلى أنه لا يشارك فى العملية الانتخابية إذ أنه لا طائل منها وفى ذلك يضيف أنه على الرغم من غيابه عن هذه العملية الا أنه موجود وأيضاً إذ أن هناك من يقوم بدلا عنه بالتعبير عن آرائة واختياراته وينبغى أن نشير هنا إلى أن صاحبنا يرى أنه ليس هناك أية فائدة من عملية التعبير عن آرائة أو مشاركته لأن هناك صيرورة واستمرارية فى الأوضاع القائمة طالما أن الدولة تقرر ذلك .

وعن الخدمات الاجتماعية المتوفرة بالقرية فهو يوضح أن وسائل المواصلات أضحت فى القرية حكرا على القطاع الخاص ، إذ تنعدم تماما وسائل النقل العام وحتى هذه (يقصد الوسائل الخاصة) فهى لا تتسم بالأدمية إذ هى بالأساس لم تجهز لنقل الناس . ويضيف فى ذلك أن ثمن أو تكاليف هذه المواصلات مرتفعة إذا ما قورنت بدخل البسطاء فى القرية .

ويضيف صاحبنا أن القرية يلا تمد أبناءها بما يحتاجون الذين يعتمدون بشكل أساسى الان على المدينة ليس على الصعيد الادارى فقط بـل لتـوفير احتياجـاتهم الأساسية يستطرد صاحبنا فيما يتصل بالخدمات التى تقدمها المؤسسات الاجتماعيـة والخدمية بالقرية ، فيرى أنه لا يستفيد من أى منها ، إذ أن الخدمة المقدمة دائماً مـا تحتاج إلى أموال حتى يمكن لأى فرد أن يحصل عليها فلم تعد الوحـدة الـصحية أو البيطرية أو حتى الاجتماعية تقدم أى عون لآبناء القرية وخاصة الفلاحـين الفقـراء منهم اللهم ألا إذا تحصل من خلال هذه المؤسسات على ثمن تقديم الخدمات .

وإذا كان المبحوث ما يرى أنه لايتحصل من المؤسسات الرسمية بالقرية على أية خدمات الا مقابل أجر أيضاً يرى أنه نتيجة ضعف الامكانيات المادية والبشرية ، فالوحدة الصحية أيضاً مثل سابقيها لاتقدم أى شئ يذكر وإن قدمت فهى تؤدى أشـياء لاتفيده .

ويرى صاحب هذه الحالة أن ثمة تغيرات طرأت على كل شئ فى القريـة ، فلم تعد الأوضاع بالقرية هى كما كانت عليه من قبل ، بل إن هذه الأوضاع ازدادت سوءاً وتدنياً هو فى ذلك لا يشير فحسب إلى الأوضاع الاقتصادية وإنما لم طرأ على القيم الاجتماعية السائدة وخاصة الأخلاق تلك التى تعرضت لهزات عنيفة .

الحالة التاسعة :

صاحب هذه الحالة من الذين لايمتلكون أرضاً زراعية ويعتمد علـى العمـل بالأجر فى الزراعة كمصدر وحيد للدخل ولا يعتبر بيع قوة عمله فقط هو الذى يعنيه على تحمل أعباء المعيشة ، بل يساعده فى ذلك خارج نطاق العمل الزراعـى ابنـه الذى يعمل " ساعياً " لدى أحد الأغنياء وكذلك أبناؤه الذين يعملـون فـى التراحيـل وجمع المحاصيل ولا تقف مصادر الدخل عند هذا الحد ، بل تقوم زوجتـه بحياكـه الملابس لأبناء القرية .

ويعيش المبحوث فى منزل صغير ، يتكون من حجرة واحدة وصـــالة ودورة مياه والمنزل مبنى من الطوب النيئ المسقوف من ألواح الخشب . التى عليها الطين وبعض مخلفات العملية الزراعية ، كما أن المنزل خلو من المياة الجارية ولكن بـــه اضاءه كهربية بواقع مصباح فى الحجرة والصالة والمطلع على مـــسكن صـــاحبنا ، يجد أن الزمن قد أتى فعله تجاهه ، إذ يبدو عليه التهالك والقدم ، فضلا عـــن عـــدم حدوث أى تجديد فيه ، أو قل إنه بات على حالة دون أى تجديد ، وذلك يتضح مـــن كثرة الشقوق الماثلة فى حوائط وجدران المنزل وفى ذلك يذكر صاحب هذه الحالة :

"... أحب أقولك إن دارنا هو الحاجة الوحيدة اللى أنا ورثتها عن أبويـــا وزى ما أنت شايف فيه أوضه وصالة كبيرة وحمام بلدى ... وحته من الـــصالة عاملينهـــا زى المطبخ حطين فيه الوابور والحلل ، والست بتاعتى بتطبخ فيهـــا ... والأوضـــة الكبيرة دى بنأكل فيها وبنام فيها ، وكمان مراتى بتخيط فيها ، وبنستقبل فيها النـــاس اللى بتجينا ... وأنا واخد لمبتين كهرباء بدفع ليهم ٣ جنيه فـــى الـــشهر ، والـــدار مفهاش ميه .."

وفيما يتصل بالدخل النقدى الذى يستطيع أن يستوفى به احتياجاته المعيـــشة ، فإنه يرى أن كل ما تستطيع الأسرة أن تدره يمن دخل ، يكاد يكفى بالكاد بـــرغم أن كل أفراد أسرته تعمل ولا تدخر وسعا فى ذلك فكلما سبق أن ذكرنا فإن الأسرة كلها تبيع قوة عملها لقاء أجر كما أن الزوجة تقوم بحياكة الملابس لأبناء قريتهـــا ولكـــن ينبغى أن نشير فى هذا الصدد إلى أن الموسم الزراعى يتحكم فى مقدار دخل الأسرة وإذا كان صاحب هذه الحالة يتمتع هو وأسرته فى وقت المواسم الزراعية بـــالرواج النقدى ، ألا أنه فى غير هذه الأوقات يواجه عثرات مالية تدفعه إلى الإفتراض حينا أو الحد من عمليات الانفاق الضرورية على المعايش .

وعن أوجه انفاق الدخل يؤكد المبحوث ، أن كل ما يستطيع تجميعه من أموال يتم انفاقها ، حيث لا يتبقى له أية مدخرات يمكنه من خلالهـــا مواجهـــة الظـــروف الطارئة الخارجة عن إرادته مثل العجز أو المرض سواء بالنسبة له أو لبقية أفـــراد

أسرته ويستطرد صاحب هذه الحالة ، فيذهب إلى أنه يقوم بتدبير احتياجاته عن طريق تبادل قوة عمله وعمل أبنائه نظير الحصول على بعض المحاصيل التى يقوم بتخزينها بغرض الاستهلاك كما أنه يحصل على بعض منتجات الأرض التى يعمل بها أو ممن يستطيع أبناؤه الحصول عليها لقاء مزاولتهم لنشاطهم .

وعن استهلاكه للغذاء يتضح من كلام المبحوث أنه لايعتمد على البروتين الحيوانى الا بقدر ضئيل وذلك يرجع إلى ارتفاع أثمانه . وعلى الرغم من عدم اعتماده على البروتين الحيوانى ، إلا أنه يعتمد على البروتين الادجنى الذى يقوم المنزل بتدبيره ، ناهيك عن بعض البروتين المتولد من الأسماك الذى يقوم أحد أبنائه بتوفيره نتجه مزاولة عملية الصيد الذي يقوم به.وفى ذلك يذكر :

"…. أنا باشترى رز وغلة خزين للسنة ، وأسدد تمنه من الأجر أنا وابنى الكبير احنا بنطبخ يوم فى الأسبوع وبنشترى لحمة بس بنجيب نصف كيلو … والست بتاعتى بتربى فراخ وبندبح منها وساعات ابنى الصغير يروح يصطاد فى البحر ويجيب سمك … وسعات بناكل حتة جبنه من الدار ونأكل معاها شوية حاجات من الغيط اللى بتشتغل فيه أيام كتير احنا بنطبخ أرديحى أو بنجيب حاجات شكك ولما تاجى فلوس نسددها …"

وفيما يتعلق بالتعليم يفيد أنه يمثل حلم وأمل وقيمة كبيرة فى نظر صاحب هذه الحالة ، الا ان الظروف الاقتصادية وقفت بالمرصاد أمام تعليم اولاده إنه يرى أنه بسبب الظروف الاقتصادية السيئة التى يعيشها كذا بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة قد دفع بأبنائة إلى العمل الزراعى حتى يساعده فى تدبير الانفاقات الضرورية وفى ذلك يشير :

"… احنا بنطلع العيال من المدارس عشان تساعدنا فى الغيط والبنات تقعد فى البيت عشان تساعد أمهم … مقدرش نعلم العيال ، لأن العلام عايز فلوس واحنا

حالتنا متمشيش مع العلام ده ، لأنه بيكلف فلوس كتيره هو التعلــيم حلــو وكــويس والعيال اللى بتتعلم بتنفع أهاليهــــا، ولكن هنعمل ايه ... الأيد قصيرة ..."

وفيما يتصل بتأسيس منزل صاحب هذه الحالة ، فإنه وفقا لقوله، فإن منزلــه لا يضم أية أشياء ، فضلا عن خلوة من الأشياء الضرورية ، وهذا ما يعكسه الواقــع الاقتصادى للمبحوث وفى ذلك يقول :

"... أنا عندى كنبة وسرير وكليم أنا بنام على السرير مــع الــست بتــاعتى والولاد بيناموا على الكنب وعلى الأرض المفروشة عليها الكليم وفيه بطاطين قديمة ولحاف قديم بيتغطوا بيهم ... واحنا معندناش أى حاجة فى الأوضة ألا راديو صغير بنسمع عليه القرآن والأخبار ، وكمــــان العيال بتسمع عليه الأغانى ... "

وعن موقف المبحوث من المؤسسات الخدمية فى القرية ، فيرى أنه يتعامــل دائماً مع الوحدة الصحية لأنها هى التى تناسب موقعة الاقتصادى وفى الوقت الــذى يلجأ فيه الطب الرسمى فى القرية ، فإنه أيضاً لا يخاصم الطب الشعبى إذ دائماً مــا يلجأ اليه فى حالة الافتقار إلى الاموال اللازمة لشراء العلاج وإذا كان صاحب هــذه الحالة يلجأ إلى الطب الرسمى والشعبى فى الوقت نفسه وفقا لبوصله الدخل ، فإنه لا يلقى بالا بعملية تنظيم الاسرة وهذا ما يدلنا عليه حجم أسرته المكونــة مــن ثمانيــة أفراد بالإضافة له ولزوجته .

وعن مدى توفر المواصلات ، فإن صاحبنا يرى أنها تتوقــف علــى تــوفير القطاع الخاص لها حيث تجهز السيارات لنقل الأفراد من القرية إلى المدينة أو أيــة قرية مجاورة . ويقرر صاحب هذه الحالة أنه على الرغم مــن تــوفر المواصــلات الخاصة ، ألا أنه لا يستخدمها ألا فى الوصول إلى مدينة إطسا ، وحسب الــضرورة ، فنظراً لعدم تحمل دخله أية أعباء أخرى مثل إنفاقات المواصلات ، وكــذلك لقلــة احتياجه للذهاب الى المدينة ، فإنه لا يستخدم مثل هذه المواصلات ، أو قــل إنــه لا يتعامل معه الا فيما ندر وخاصة فى المواسم والأعياد .

وعن مشاركة المبحوث فى العملية السياسية ، يؤكد المبحوث أنه يشارك فقط فى الاستفتاءات العامة فقط ، خوفاً من توقيع الغرامة عليه ، أما فـــى اختيـــار مـــن ينوب عنه ، أو فى اختيار السلطة التى تنوب عن الـــــــــدولة فـــى القـــــرية (العمدة) فإنه يرى أنه لا يشارك فيها ، ايماناً منه أن ذلك سوف تجلب عليه المشاكل ، حيث تلعب فى ذلك العصبيات دوراً محورياً " أنا مش قد مشاكل الناس الكبار دول "

الحالة العاشرة :

يعمل صاحب هذه الحالة فلاحاً ، ويمتلك أرضاً زراعية تقدر بنحـــو فـــدان، وعدد ٢ قيراط وتتكون أسرة (جمعه) من سبعه أولاد ثلاثة ذكور وأربـــع إنـــاث ويذكر صاحب هذه الحالة أنه قام بتعليم أولاده الذكور ماعدا الكبير فيهم الـــذى لـــم يكمل تعليم المرحلة الابتدائية أما الاناث فلم يكملوا تعليمهن ... وفى ذلك يقول :

" ... أنا علمت ولادى الذكور ... الود الكبير طلع من المدارس فى الابتدائى ... والواد التانى أخد دبلوم صنايع والتالت أخذ دبلـــوم تجـــارة .... أمـــام البنـــات فمعلمتهمش ".

ويرى " جمعه " أنه بالرغم من ضعف الدخل ، ألا أنه قـــام بالانفـــاق علـــى زواج أولاده خاصة الذكور ، الذين عقب زواجهم خرجوا إلـــى العمـــل بالخـــارج ، تاركين لرب الأسرة أولادهم وزوجاتهم ويفهم من حالة صاحبنا أنه على الرغم مـــن غياب أولاده فى بلاد الهجرة ألا أنه يكون أسرة ممتدة إذ يعتبر نفسه الأب البـــديل ، حيث يقوم بالانفاق عليهم بدلاً من أبنائة الذى انقطعت عنه معوناتهم المادية منذ فترة طويلة وفى ذلك يقول :

" ... الواد الوسطانى خدت له بنت عمه وجوزته وطلع الأردن من تلت سنين وسايب مراته وبنته الصغيرة معايا ومن يوم ما سافر لابعت حاجة ولا محتاجة وأنـــا قاعد أربى ... والتانى أهو مسافر فى السعودية بردك وقاعد هناك وســـايب مراتـــه وعياله معايا ومش بيعت الا حاجات بسيطة ، وبيقوللى فى الجوابـــات أن المرتبـــات هناك قلت ... "

ويكشف صاحب هذه الحالة عن تردى الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التـــى كان يعيشها فيما قبل سفره إلى إحدى الدول العربية " ليبيا " إذ كـــان يقـــوم بتـــدبير احتياجاته عن طريق سرقة بعض المحاصيل ، وبعـــض الحيوانـــات الـــصغيرة ...

ويضيف أيضاً أنه لولا خروجه للعمل فى ليبيا ما استطاع أن يوفر بعـــض الأمـــوال التى من خلالها استطاع أن يملك الحيازة التى ذكرناها قبل قليل . انه وفقا لقوله فان الهجرة لعبت دوراً كبيرا فى انعاش وضعه الاقتــصادى خاصـــة اذا مـــا قورنـــت بأوضاعه الحالية فضلا عن ابتعاده عن ارتكاب مزيد من الجرائم ... وهو ذلك يذكر :

"... انا كنت باشتغل عند واحد اسمه الشيخ ... ناظر مدرسة ولما مات ولاده قسموا الأرض وجت ليبيا فتحت رحت مسافر عليها ... كانت أيام زمان أيام ضـــنك كان الواحد يخطف من هنا ويسرق من هنا عـــشان يأكـــل العيـــال لـــولا الفـــدانين والقرشين اللى الواحد عملهم من ليبيا كان زمانى داخل السجن ولا مات من الجـــوع ...."

ويذكر " جمعه " أنه بالاضافة إلى الدخل المتولد من العملية الزراعية فهنـــاك مصادر أخرى للدخل تأتى من خلال تربيته لبعض الحيوانات " جاموســـة " إذ مـــن خلالها يتم توليد بعض الأموال نتيجة بيع المواد الناتجة عنها مثل الجـــبن والزبـــد ، والذى يقوم ببيعها فى الأسواق .

وفيما يتصل بوصف منزل المبحوث فيرى أن منزله قد طرأ عليه تطور كبير الآن إذ كان فيما قبل عبارة عن حجرة واحدة غير مجهزة تماماً بالإضافة إلى شحها من المرافق إن التطور الذى طرأ على هذا المنزل نتيجة قيام المبحوث لبيع منزلـــه السابق ، وشراء آخر ، يتصل بشكل مباشر فى الشكل وليس المضمون ، حيـــث أن المنزل الجديد الذى يعيش فيه هو فى طبيعة أو قل من حيث ندره الخدمات والمرافق ولكنه يختلف عن سابقة فيما يتصل بحجم الحجرات أو الاتساع ويحـــاول صـــاحبنا وصف ذلك فيقول :

"…. أن كنت عايش زمان فى بيت مفهوش غير أوضـــة واحـــدة صـــالة ، ومكنش فيه لا حمام ولا مطبخ ولا أى حاجة … إنما دلوقت أنـــا بعـــت البيـــت ده واشتريت قيراط وبنيت عليه بيت كبير قاعد فيه أنا وعيالى .. "

ويتكون منزل " جمعه " من طابق واحد ، مبنى بالطوب الأحمر، وهو يتكون من أربع حجرات وصالة بالاضافة الى مـــبطخ وحمـــام وحجـــرة أخـــرى لتربيـــة المواشى.

وعن الخدمات والمرافق التى تتوفر بمنزل صاحب هذه الحالة فإنه يرى أنـــه منزله يخلو من المياه والكهرباء يستعيض عنها بالانارة عن طريق الكيروسين أمـــا المياة فانه يتغلب عليها عن طريق المياة العمومية التى تقوم زوجته وزوجات ولديـــه (بالتناوب) بتخزينها فى الأماكن المخصصة بذلك أزيار ويرجع صاحب هذه الحالة أن عدم دخول الكهرباء والمياه لمنزله يعود إلى نقص الأموال فضلا عن كون هـــذا المنزل قد تم انشاؤه حديثاً .

وفيما يتصل بالحياة اليومية وأوجة ومصادر الانفاق عليها ، فان صاحب هذه الحالة يرى أنه نتيجة عدم اكتفاء المصادر الرئيـــسية للـــدخل ، وحتـــى المـــصادر الاضافية (مثل بيع المنتجات المنزلية) فانه دائما ما يستعيض عن الاشـــياء التـــى تولدها الوحدة المعيشية بأشياء أخرى أقل تكلفة وتستطيع أن تملء البطون أنه نتيجة لتعايش مجموعة من الأسر فى مكان واحد أو ما يسمى بوجود الأسرة الممتدة فـــإن صاحب هذه الحالة يتغلب على كثرة الأعداد بما يلزم الجـــسد ، ولكـــن بمـــا يمـــلء البطون ويبقها فزيقيا وفى ذلك يقول :

"… زى ما قلت لك احنا كتير عايشين فى البيت ، تلات أسر .. احنا بنحتاج أكل كتير … مراتى بتروح السوق بتبيع الحاجات اللى بتجيبها الجاموســـة أو اللـــى هيه بتربيها ، وهى راجعة بتجيب ٢/١ كيلو لحمة على شوية ملوخية ناشفة وشـــوية طماطم وتطبخ لينا … وعشان الزبدة والحاجات دى غالية احنا بنبيعها وتجيب زيت وكيلو دهنه وبنطبخ بيها … "

وفيما يتصل باللبس فيرى " جمعه " أنه يقوم بشرائها كل عام أو ممن يرسـله ابنائة الآن من الدول العربية التى يعملون بها ويضيف صاحبنا أن فى بعض الأحيان ما يرسل أبناؤه قطعا من القماش ، الذى ما يلبث أن يقـوم هـو بتبـديلها أو بيعهـا وشراء بدلا منها مايلزم أبناؤه وأبناء أبنائة .

وحول موضوع تنظيم الأسرة ش، يمكن أن نستدل من كلام " جمعه " عن أنه يقـف موقفا مناهضاً من هذه المسألة إذ مثله بقية الريفين يرون وفقا لقـيمهم أن الانجـاب يمثل قيمة اجتماعية واقتصادية بالنسبة للأسرة فعلى الرغم من العوز والفقـر الا ان الانجاب إلى الآن مطلياً اجتماعيا فى جميع المستويات الاقتصادية .

وعن مدى توفر الخدمات الاجتماعية مدى استفادة المبحوث منها، يرى صاحب هـذه الحالة أنه لا يستفيد مما تقدمه المؤسسات الخدمية فى القرية خاصـة فـى الوقـت الراهن فبعد أن كانت مثل هذه المؤسسات تمثل عونا دائما لابناء القريـة ، أضـحت الآن لا تمثل الا قيمة جابية لفوائضهم فعلى سبيل المثال بعد أن رفعت الدولة يـدها عن امداد القلاح بكل ما يحتاجة من مستلزمات الانتاج فانه الان اصـبح لا مفـر ان يستعين أبناء القرية بالسوق لتوفير احتياجاتهم وإذا كـان ذلـك يـرتبط بالجمعيـة الزراعية ، فانه أيضاً ينطلى على بقية مؤسسات القريـة مثـل الوحـدة البيطريـة والوحدة الصحية التى لا يتوفر لديهم أية امكانيات للعلاج .

وعن المشاركة فى العملية السياسية يرى صاحب هذه الحالة أنه يعزف تمامـاً عـن المشاركة وانه فى الوقت ذاته يدير ظهرة لمثل هذه العملية لانه وفقا لتـصوراته ان الدولة تضطلع بهذه العملية بعيداً عن اراده الشعب ، ناهيك ان العائلات الكبيرة فـى القرية واموالها تصيغ شكل وطبيعة الصفوات المحلية .

مما سبق يتضح من الدراسة الميدانية أن مساكن الفقراء خلو من المرافق الاساسية (المياة – الكهرباء – الصرف الصحى) فالمياة يتم جلبها من خارج بالمنزل ، فهى اما من القرى المجاورة أو من المصادر العمومية بالقرية وبالنسبة لمدى توفر الكهربـاء توضح الدراسة أيضاً أن معظم منازل الفقراء فى قرى الدراسة تفتقر إلى الكهربـاء حيث يتم التغلب عليها – الى الآن – بمصادر الإنارة التى يستخدم فيها الكيروسـين الذى هو قاسم مشترك فى عملية الوقود أيضاً ولا يختلف نصيب فقراء القريـة مـن الصرف الصحى كثيرا عن نصيبها من الماء والكهرباء ، إذ أن معظم بيوت الفقراء

تخلو من الصرف الصحى الا فما ندر تلك التى يتغلبون عليها بأماكن لتجميع مختلف المنازل والتى يتم نزحها بين الحين والآخر .

وفيما يتصل بتوفير الاحتياجات الاساسية من التعليم والصحة فإن الواقع الميدانى يكشف عن توفر انواع معينه من المدارس (ابتدائى – اعدادى)وهى بالطبع ذات كثافة عالية وتفتقر إلى الامكانيات المادية وحتى البشرية ولا يختلف واقع الصحة عن واقع التعليم،إذ أن معظم الوحدات الصحية بالقرى التى تعرضنا لبعض أسرها تخلو من الأطباء والأدوية الأمر الذى يحدو بالأسر الريفية الى اللجوء الى الطب الشعبى ، ناهيك عن تخيرها إلى حائزى السلطة والقوة .

ويتضح من الدراسة الميدانية أيضا عدم كفاية الغذاء المستخدم لدى الأسر الفقيرة ، فى تلبية احتياجاتهم من القيمة الغذائية أو ما يطلق عليه بالسعرات الحرارية . كما أن البيوت الفلاحية لم تعد وحدات انتاجية مكتفية بذاتها وغالبا ما تتحه الى السوق للوفاء باحتياجاتهم المعيشية إن الصعوبات المالية التى تواجه الفلاحين قد حالت بين تحقيق اشباعتهم وهذا ما يتضح فى النمط الغذائى غير المنظم والذى يعتمد على الكم وليس الكيف .

إن استراتيجية البقاء لدى الأسر الفقيرة تتمثل بالأساس فى بيع قوة عملهم والاعتماد على العمل الأجير وتربية الحيوانات وتكوين الأسر الكبيرة والهجرة للعمل فى الداخل والخارج .

وينبغى أن نشير فى هذا الصدد إلى أن الفلاحين لاتقدم لهم أية مساندة من قبل الدولة إذ أن المؤسسات الاجتماعية التى تقدم الخدمات فى القرية كما سبق أن أشرنا لا يستفيد منها الفقراء حيث تتوجه باستمرار إلى كبار ملاك الأرض أو بمعنى أخر يدرك الفلاحون وفق معطيات الدراسة أن هذه المؤسسات تنحاز بصفة مستمرة إلى كبار ملاك الأرض الذين حلوا محل الدولة فى تقديم الخدمات وحتى ممارسة الاستغلال ان الفلاحين وفق ذلك لا يتجهون إلى المؤسسات الحكومية بقدر ما يتجهون إلى الأفراد فى تلبية احتياجاتهم .

لقد رفعت الدولة يدها عن تدعيم الخدمات الاجتماعية فى القريـــة إذ أطلقــت العنان لكل آليات القطاع الخاص للانتشار والسيطرة على كل شئ بدءاً من التعامــل بمستلزمات الأرض وحتى الاستفادة من الخدمات التى تقدمها مؤسسات القرية ..

إن محاولتنا الراهنة لتقديم تشخيص لطبيعة الفقر فى القرية المــصرية فـــى ضوء السياسات الليبرالية الجديدة التى ارتكنت الدولةلها أخيراً تعد محاولة للكــشف عن المظهر الحالى لبعض الأسر الفقيرة من خلال ما يتصل بتلبية أو مـــدى تـــوافر الحاجات الضرورية لقد حاولنا فى اطار ذلك أن نوضح الصفات المهمة للفقر مثــل توفير الطعام والمسكن والتعليم والاستهلاك تلــك التـــى نطلــق عليهــا بــسمات أو خصائص الفقر ، فضلا عن محاولتنا لتوضيح كيفية توليد الدخل وبعــض العوامــل الديموجرافية المتصلة بعملية الفقر ، أو ما نطلق عليه هناك بالاسباب المؤدية الـــى الفقر.